المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا الشرعية
قسم الكتاب والسنة

قامت الطالبة بإجراءات التصويبات التي طلبتها لجنة المناقشة
اعضاء لجنة المناقشة
أ.د/ محمد خيري عرقسوسي د/ عبد السميع الصائغ د/ منصور بن عون العبدلي



جهاد النفس وثمراته في ضوء الكتاب والسنة

دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

فائزه أحمد سالم بافرج

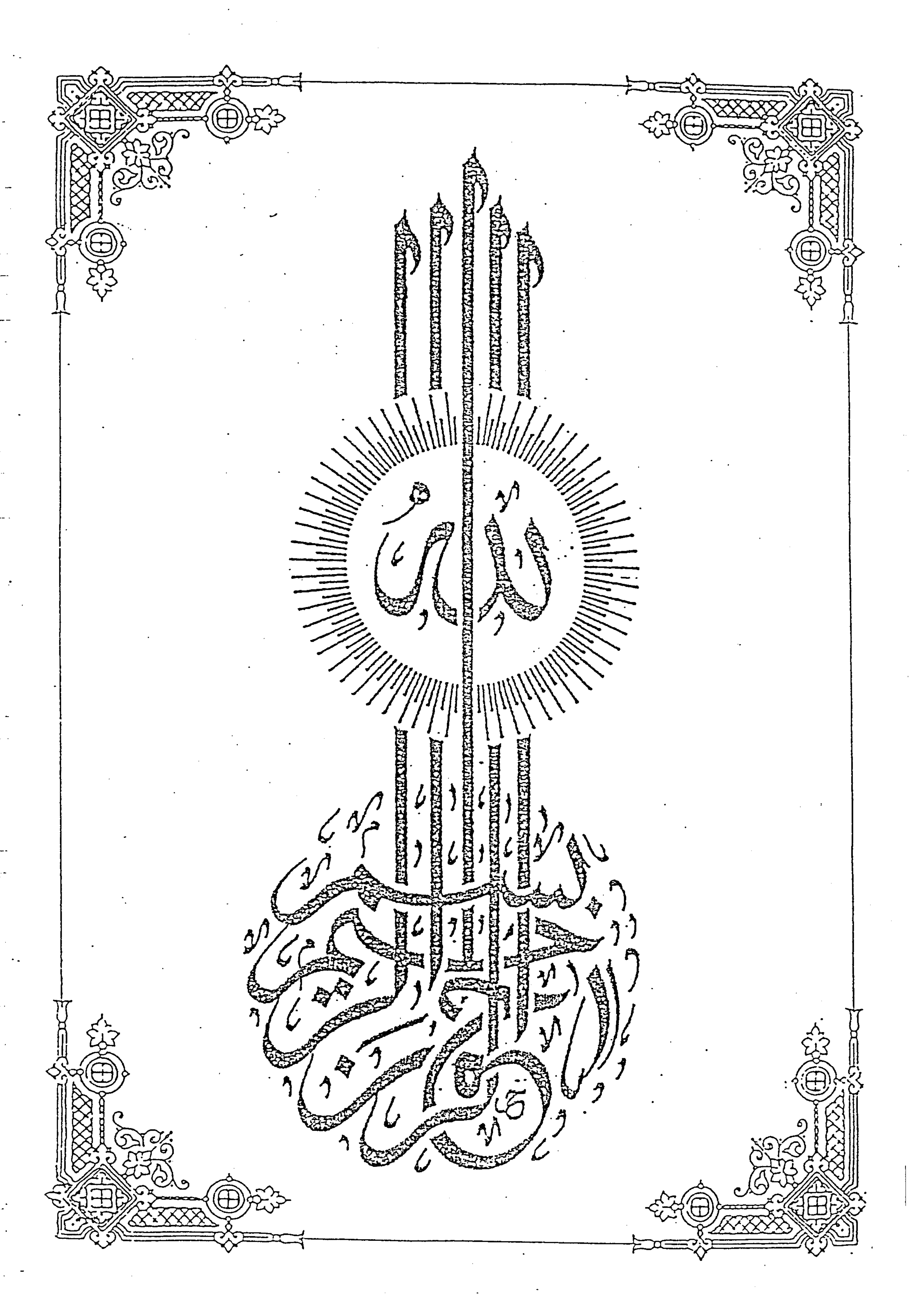
إشراف الدكتور

الشريف منصور بن عون العبدلي

الجزء الأول



العام الدراسي
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : جهاد النفس وثمراتة فى ضوء الكتاب والسنة
الدرجة العلمية : ماجستير .
اسم الطالبة : فائزه أحمد بافرج .

(ملخص الرسالة)

ان موضوع الرسالة لم يسبق أحد بجمع مفرداتة من نصوص القرآن والسنة في كتاب مستقل حسب علمي ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

- التمهيد : وفيه تعريف الجهاد والنفس ومفرداتها ، ودرجات القصد والبواعث النفسية ، وصفات النفس كل ذلك فى لغة العرب وفى استعمالات القرآن والسنة ، ثم بيان المقصود بجهاد النفس .

- الباب الأول : « أمراض النفس وآفاتها »
أ - أمراض العقيدة   ب - أمراض القوة   جـ - أمراض الضعف .

- الباب الثاني «مجاهدة النفس وتقويمها »
١- تعميق الشعور بالمسؤولية .   ٢ - الإيمان بنقاء الفطرة البشرية .
٣ - إدامة التفكر فى خلق الله .   ٤ - الفقه فى الدين .
٥ - التمسك بالدين والاعتزاز به .   ٦ - مراقبة النفس ومحاسبتها .
٧ - كبح جماح النفس .   ٨ - انحرافات فى جهاد النفس .

- الباب الثالث : « ثمرات جهاد النفس »
١ - الطمأنينة .   ٢ - الاستقامة على أمر الله .
٣ - التحلى بمكارم الأخلاق .   ٤ - الإسهام فى بناء المجتمع .

- الخاتمة : فيها النتائج التى توصلت إليها الدراسة منها :

١ - أن جهاد النفس هو امتثال جميع ما أمر الله به ، والإنتهاء عن كل ما نهى عنه ، وكف النفس عن الركون إلى الشهوات والإخلاد إلى الملذات المباحة حتى لا تعتادها النفس وترتكب المعاصي تلبية لرغباتها .

٢ - أن جهاد النفس أصل كل جهاد لأن من لم يجاهد نفسه لم يستجب لداعى الجهاد وقتال الكفار .

٣ - أن النفس الانسانية واحدة ولكنها تتصف بصفات فإذا غلبت عليها نزعة وصفت بها .

٤ - أن أمراض النفس وآفاتها كثيرة وعلاجها التزام كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون غلو ولا تفريط .

٥ - أن إفراد الله بالعباده والإقرار بالشهادتين والعمل بموجبهما أمان من الأمراض الفتاكة بالعقيدة .

٦ - الشعور بالمسؤولية ، ومراقبة النفس ومحاسبتها لهما أثر بالغ فى ضبط النفس وتهذيب غرائزها وشهواتها .

٧ - أن على كل مسلم أن يجاهد نفسه على أن يتعلم من العلم ما يصحح به عقيدته ويزكي عبادته لربه ويضبط سلوكه ويعينه على التحلى بمكارم الأخلاق والفضائل .

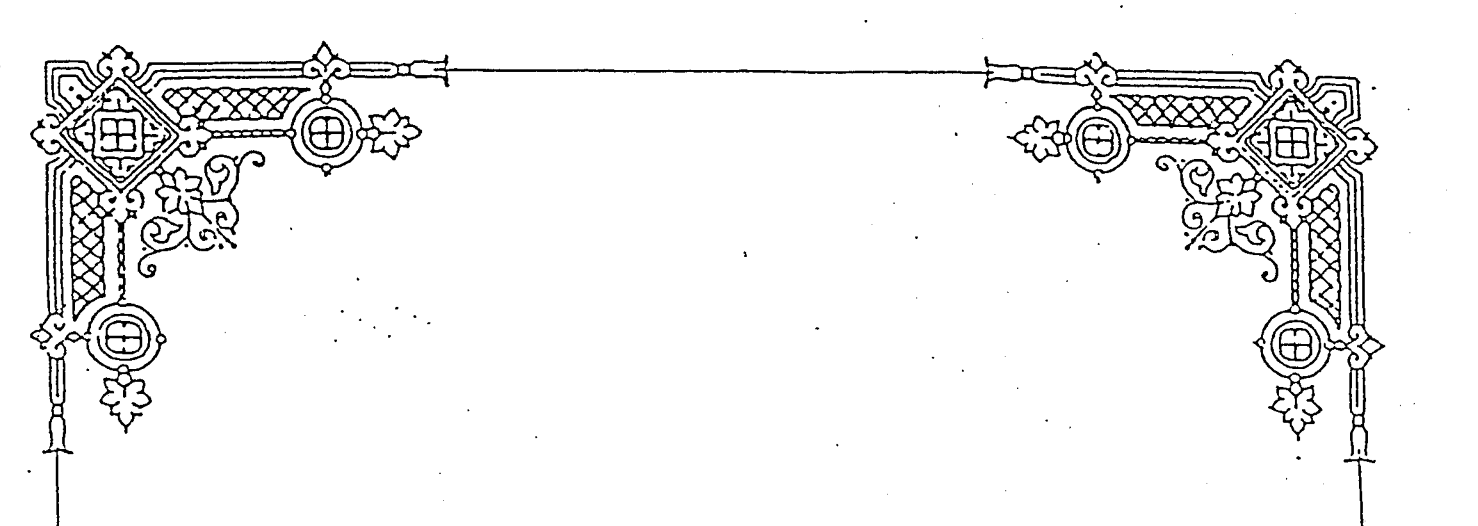
٨ - أن حقيقة الزهد : عدم تعلق القلب بالشهوات والملذات المباحة والانهماك فيها .
قال تعالى :(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

٩ - ليس من الزهد ترك عمارة الأرض والتوجه إلى العبادات ، والتواكل فى الرزق وإهمال شؤون الحياة ، والعزلة عن الناس . وتعذيب البدن . وتحريم ما أحل الله من الطيبات .

١٠ - إن مما يعين على مجاهدة النفس الإكثار من العبادات ، وتعظيم الأمل فى النعيم الأخروى .

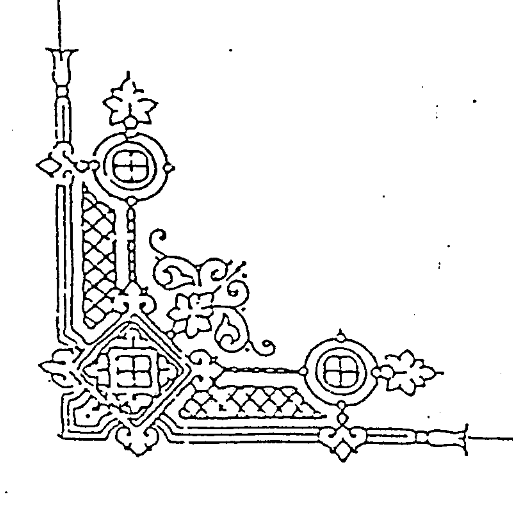
١١ - أن منهج الإسلام تحقيق السعادة للفرد والأسرة والمجتمع وذلك بإصلاح الفرد الذى هو أساس المجتمع وجهاد النفس إصلاح للفرد الذى هو لبنة من لبنات المجتمع .

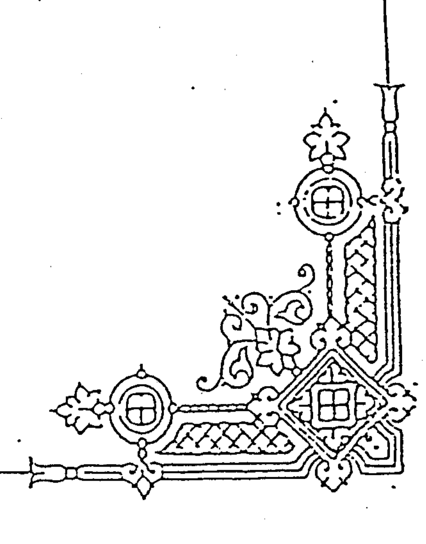
اسم الطالبة	المشرف	عميد كلية الدعوه وأصول الدين
فائزه أحمد بافـرج	د / منصور بن عون العبدلي	د : عبد الله الدميجـــى
٤/١٩		٤/١٩



﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا
قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

سورة الشمس آية «٧: ١٠»





بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله على توفيقه وإحسانه ، الحمد لله على فضله وإنعامه، الحمد لله على جوده وتكريمه ، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ، والصلاة والسلام على الهادي البشير المبعوث رحمة للعالمين القائل « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) .

وتأدباً بأدب المسلم في الاعتراف بالجميل لباذليه ، أقدم عظيم شكري ، وجزيل إمتناني ، وفائق تقديري واحترامي لكل من منحني من وقته الثمين، أو أفادني بعلمه الغزير، وتوجيهاته القيمة، وملاحظاته الصائبة ، وأخص منهم بالذكر أولئك الأساتذة الأفاضل والعلماء الأجلاء الذين تكرموا علي بقبول الإشراف على هذه الرسالة وهم : فضيلة الدكتور : إسماعيل الدفتار ، وفضيلة الدكتور : أبو ضيف مجاهد ، وفضيلة الدكتور : القصبي زلط .

وأتوجه بخالص الشكر وخالص العرفان بالجميل لصاحب الفضل العظيم في هذا البحث بعد الله تعالى مشرفي فضيلة الشيخ الدكتور/ الشريف منصور بن عون العبدلي ، الذي وجهني وأرشدني وما بخل علي بجهده ، ووقته الثمين ، وأعانني أن أنهل من علومه ومعارفه الكثير دونما تضجر ولا ملل ، جزاه الله عني وعن طلبة العلم خير مايجزي المحسنين ، وأسأل الله العلي القدير أن يبارك في عمره وعافيته وعمله وأن يبارك في أهله وذريته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

كما أقدم عظيم شكري وجزيل امتناني لجميع أساتذتي الكرام وأستاذاتي الكريمات في القسم وغيره الذين استفدت كثيراً من دروسهم وتوجيهاتهم الراشدة .

---

(١) سنن الترمذي ٤ / ٣٢٩ ك البر والصله باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك وقال عقبه حسن صحيح .

كما أقدم عظيم شكري وامتناني وولائي لكليتي الموقرة كلية الدعوة وأصول الدين وأخص بالشكر عميدها السابق فضيلة الدكتور / عبدالعزيز الحميدي وعميدها الحالي فضيلة الدكتور / علي العليّان ، ووكيل الكلية الدكتور / أحمد الزهراني وجميع القائمين بالعمل فيها كما أقدم عظيم شكري وتقديري وإمتناني لجامعتي الكريمة جامعة أم القرى فهي صرح شامخ في مهبط الوحي يضيء لطلبة العلم دروب المعرفة على نور الهدى والإيمان . أعان الله القائمين عليها ووفقهم لتيسير سبل المعرفة والعلم لطالبيه وجعل عملهم في ميزان حسناتهم يوم القيامة كما أنني أوجه عظيم شكري وتقديري لوالدي الكريمين وإخواني وأخواتي وكل من مد إليّ يد العون والمساعدة مادياً ومعنوياً في سبيل إنجاز هذا العمل المتواضع راجيةً من الله العلي القدير أن يوفقني وإياهم وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه إنه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين وأرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلامٌ على المرسلين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في محكم كتابه { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا } (١) ، اللهم لك الحمد حمداً نستدر به النعم ، ونستدريء به النقم ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، المبعوث من خير الأمم ، إلى كافة العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك منهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فإن الله تعالى خلق النفس الإنسانية وأبدع خلقها مستعدة لكمالاتها ، وخلقها على الفطرة وسوى خلقها ، وجعلها ذات استعداد مزدوج ، وبين لها طريق الخير وطريق الشر ، وحث على تزكيتها ، وتطهيرها من دنس الذنوب ، وتصفيتها من شوائب الآثام ، وقال في محكم كتابه { قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا } أفلح وأنجح من طهر نفسه ونقاها وزكى بها إلى كمال الأخلاق ، وسامي الصفات ، وألزمها كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ، وحذّر من تدسيتها في المعاصي فقال { وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا } فقد خاب وخسر وألقى بنفسه إلى الهلاك من قاد نفسه إلى ارتكاب المعاصي ، وأغرقها في بحر الذنوب والآثام ، وجرها إلى ارتكاب المحظورات .

وللنفس الإنسانية أمراض وآفات فتاكة تفتك بها في عقيدتها ، وأخلاقها ، وسلوكها ، ومعاملاتها ، وتلقي بها في هاوية الخسارة والهلاك ، فإن رأس المعاصي اتباع الهوى والشهوة ، والله تعالى أنزل في كتابه العزيز وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم بيان هذه الأمراض وعلاجها ، فمن تمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، تمكن من كبح

---

(١) سورة الشمس آيه (٧ - ١٠) .

جماح شهواته ، وألزم نفسه منهج الله القائل { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (١) وذلك بالمحافظة على كل ما أمر الله به ونهى عنه .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر مانهى الله عنه » (٢) .

فإن اتباع الشهوات رأس كل خطيئة ، ولايكمل إيمان من لم يجعل هواه اتباع شرع الله،وامتثال أوامره عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » (٣) وأثنى الله عز وجل على من خالف هواه واتبع اوامر الله قال تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } (٤) .

هذا ولما رأيت أن انحراف البشرية عن المنهج الحق والصراط المستقيم ناشيء من انحراف النفس الإنسانية ، نتيجة بعدها عن هدى الله ، وسيرها وراء ماتمليه عليها غرائزها ، وشهواتها ، اخترت أن تكون رسالتي في مرحلة الماجستير (جهاد النفس وثمراته في ضوء الكتاب والسنة) حيث إنني لم أجد من كتب فيها كتابة مستقلة ، لعلي بجهدي اليسير أساهم في تجلية مفهوم (جهاد النفس) مستنيرة بنصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة ، بعيداً عن الغلو والتفريط .

هذا ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

تناولت في المقدمة بيان أسباب اختياري لهذا البحث ، وخطة البحث ، ومنهجي الذي سرت عليه في كتابة البحث .

---

(١) سورة الحج آية (٧٨) .

(٢) سيأتي تخريجه في بيان المقصود بجهاد النفس (١١٣) .

(٣) سيأتي تخريجه في مبحث (الهوى) (٥٩) .

(٤) سورة النازعات آية (٤٠) .

وتناولت في التمهيد بيان الآتي :

المطلب الأول : التعريف بالجهاد في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

المطلب الثاني : النفس في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

المطلب الثالث : مرادفات النفس ويتضمن الآتي :

١ - الروح في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

٢ - القلب في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

٣ - العقل في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

المطلب الرابع : درجات القصد ويتضمن الآتي :

١ - الإدراك .

٢ - الرغبة .

٣ - النيـة .

المطلب الخامس : البواعث النفسية ويشمل الآتي :

١ - الهـوى .

٢ - الشهـوة .

٣ - العنـاد .

٤ - الجحـود .

٥ - الإخـلاص .

المطلب السادس : صفات النفس ويتضمن الآتي :

١ - النفس الأمارة بالسوء .

٢ - النفـس اللوّامـة .

٣ - النفـس المطمئنـة .

المطلب السابع : المقصود بجهاد النفس :

والباب الأول في (أمراض النفس وآفا تها) ويقع في فصول ثلاث :

الفصل الأول : (أمراض العقيدة)

الشرك - الشك - الوسوسة - المحاكاة والتقليد .

الفصل الثاني : (أمراض القوة)

الكبر - الخيلاء - الفخر - المنّ - الغضب - الجدل - القسوة

الفصل الثالث : (أمراض الضعف)

الجبن - الجزع - اليأس - الإستكانة - الحسد - النفاق

والباب الثاني في (مجاهدة النفس وتقويمها) ويشمل على الآتي :

الفصل الأول : تعميق الشعور بالمسؤولية .

الفصل الثاني : الإيمان بنقاء الفطرة البشرية .

الفصل الثالث : إدامة التفكر في خلق الله .

الفصل الرابع : الفقه في الدين .

الفصل الخامس : التمسك بالدين والإعتزاز به .

الفصل السادس: مراقبة النفس ومحاسبتها . ويشمل الآتي :

١ - الخشية من الله .

٢ - الرضى بقضاء الله وقدره .

٣ - معرفة الإنسان نفسه .

٤ - التوبة .

الفصل السابع : كبح جماح النفس . ويتضمن الآتي :

١ - الزهد

٢ - الإلتجاء إلى العبادات [الصلاة - الصوم - الذكر]

٣ - تعظيم الأمل في النعيم الأخروي

الفصل الثامن : انحرافات في جهاد النفس . ويحتوي على :

١ - انحرافات في العبادات [الصلاة - الصوم - الذكر]

٢ - تحريم ما أحل الله من الطيبات .

٣ - تعذيب البدن بزعم أنه طاعة لله .

٤ - العزلة وإهمال شئون الحياة .

والباب الثالث في (ثمرات جهاد النفس) ويحتوي على :

تمهيد في بيان ثمرات جهاد النفس سبق ذكرها في الباب الثاني :

الفصل الأول : الطمأنينة .

الفصل الثاني : الاستقامة على أمر الله .

الفصل الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق .

الفصل الرابع : الإسهام في بناء المجتمع .

والخاتمة في النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

هذا وقد كان منهجي في كتابة البحث على النحو الآتي :

١ - عمدت إلى تعريف عناصر الموضوع في اللغة وذلك بعزوها إلى مصادرها الأصيلة ووجوه إستعمالاتها فيها .

٢ - وعمدت إلى تعريف عناصر الموضوع في استعمالات القرآن والسنة . ثم بيان المعنى المقصود في بحثي .

٣ - جمعت عناصر موضوعاته من نصوص القرآن والسنة . وإذا كانت كثيرة اكتفيت ببعضها .

٤ - درست هذه النصوص ببيان مقام ذكرها .

٥ - بيان ماتفيده تلك النصوص من حقائق وتوجيهات .

٦ - عنيت ببيان غريب القرآن والحديث وبيان النصوص التي تحتاج إلى بيان في الهامش ، وعزو ذلك إلى مراجعه الأصيلة .

٧ - خرجت الأحاديث من مصادرها الأصيلة .

٨ - اذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذكرهما . أما اذا كان الحديث في غيرهما فإني اعتمدت حكم أهل العلم عليه .

٩ - ترجمت للأعلام في ملحق آخر البحث .

١٠- الرموز المستعملة في الرسالة :

خ مع فتح الباري	صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري
م	صحيح مسلم
ت	سنن الترمذي
ن	سنن النسائي
د مع مختصره	سنن ابي داود المطبوع مع مختصره
جه	سنن ابن ماجه
حم	مسند أحمد بن حنبل

١١ - إن للامام الترمزي في سننه مصطلحات يذكرها عقب الأحاديث وبيان المراد منها فيما يأتي :-

أ- ماقال فيه (حسن صحيح)

فالمراد حسن بإعتبار وصفه عند قوم وصحيح بإعتبار وصفه عند قوم . هذا اذا حصل التفرد .

وإذا لم يحصل التفرد فاطلاق الوصفين معاً على الحديث يكون بإعتبار اسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن .

ب - ماقال فيه (حسن غريب لا نعرفه الامن هذا الوجه)

فالمراد : بحسب المتن حسن وبحسب الإسناد غريب ، لأن هذا الغريب معروف عن جماعة من الصحابة ولم يروه عن تلك الجماعة إلا واحد . فتفرد بروايته عن صحابي فهو غريب .

جـ - ما قال فيه (حسن صحيح غريب)

إنما يريد به ضيق المخرج أنه لم يخرج إلا من جهة واحدة ولم تتعدد طرق خروجه إلا أن راو ية ثقة فلا يضر ذلك .

هذا ما أعانني الله على بذله من الجهد واستفراغ ما في وسعي وطاقتي في دراسة هذا الموضوع وتقديمه على الوجه الذي انتهى اليه ، وأحمد الله على عونه ومدده لي بفيض من الصبر والعون والتيسير ، واسأله التوفيق والسداد لي ولوالدي ولكل من أسدى لي يد العون لإبراز هذه الرساله إلى حيز الوجود .

هذا ويعلم الله أنني ماقصرت وأنني بذلت أقصى ما في جهدي وطاقتي ، فان كان في هذا البحث صواب فهو من فضل الله وتوفيقه وكرمه ، وما كان من خطأ فمن نفسي ، فاسأله العفو والمغفرة وأن يتقبل هذا العمل مني ويجعله في ميزان حسناتي ، كما أسأله أن ينفعني وينفع به .. آمين ..

تمهيد في التعريف بجهاد النفس :

ويشمل المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف الجهاد في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

المطلب الثاني: النفس في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

المطلب الثالث: مرادفات النفس ويتضمن الآتي :

١ - الروح : في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة.

٢ - القلب : في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة .

٣ - العقل : في اللغة وفي استعمالات القرآن والسنة.

المطلب الرابع : درجات القصد ويتضمن الآتي :

١ - الإدراك .

٢ - الرغبة .

٣ - النيـة .

المطلب الخامس : البواعث النفسية ويتضمن الآتي :

١ - الهـوى .

٢ - الشهـوة .

٣ - العنـاد .

٤ - الجحـود .

٥ - الإخلاص .

المطلب السادس : صفات النفس ويتضمن الآتي :

١ - النفس الأمّارة بالسوء .

٢ - النفس اللوّامة .

٣ - النفس المطمئنة .

المطلب السابع : المقصود بجهاد النفس

تمهيد في التعريف بجهاد النفس

المطلب الأول :- تعريف الجهاد

الجهاد في اللغة :

مصدر جاهد أي بالغ واستفرغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل

قال ابن منظور : [وحقيقة الجهاد استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل] (١) .

واصل الجهاد من الجهد بالفتح وهو المشقة أو من الجهد بالضم وهو الطاقة وبذل الوسع (٢) .

الجهاد في الشرع :

(الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله) *

خصه الفقهاء ببذل الجهد في قتال الكفار .

١ - عرفه الحنفيه بقولهم [بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشره أو معاونه بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك] (٣) .

٢ - عرفه المالكية بأنه [بذل الجهد في قتال الكفار] (٤) .

وقيل : [قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لاعلاء كلمة الله] (٥) .

٣ - وعرفه الشافعية بأنه [بذل الجهد في قتال الكفار] (٦) .

(١) لسان العرب ١٣٣/٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٣٧/٦ ، الصحاح ٤٦٠/٢ ، معجم مقاييس اللغه ٤٨٦/١ .

(٣) انظر : حاشيه المختار على الدر المختار شرح تنوير الابصار ١٢١/٤ ، شرح العناية على الهداية مع شرح فتح القدير ٢٧٩/٤ .

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ ٢/٣ .

(٥) انظر الشرح الصغير على اقرب المسالك للدردير ٢٦٧/٢ ، الجهاد في سبيل الله للقادري .

(٦) أنظر المهذب للشيرازي ٢٢٨/٢ ؛ فتح الباري لابن حجر ٣/٦ ك الجهاد ، .

* التعريفات للجرجاني (٨٠) ، الكليات لأبي البقاء ٢ / ١٧٥ .

وقيل هو [قتال الكفار لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله] (١) .

وعرِّف في كتب الحنابلة بأنه [قتال الكفار] (٢) .

ويؤيد ماذهب إليه الفقهاء من القرآن الكريم النصوص التالية :-

١ - قوله تعالى : { لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (٣) .

٢ - وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٤) .

٣ - وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . . . } (٥) .

٤ - وقوله تعالى : { انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } (٦) .

---

(١) القول الحسن شرح بدائع المنن ٢/٢ .

(٢) انظر الجهاد في سبيل الله لقادري ٤٩/١ ، نقلاً عن مطالب أولي النهي ٤٩٧/٢

(٣) سورة النساء آية (٩٥) .

(٤) سورة المائدة آية (٣٥) .

(٥) سورة الأنفال آية (٧٢) .

(٦) سورة التوبة آية (٤١) .

٥ - وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (١) .

٦ - قوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم - وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمه » (٢) .

٧ - ما رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يارسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله .. » (٣) .

٨ - وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه وإذا استنفرتم فانفروا » (٤) .

وورد اطلاق الجهاد في الشرع على ما يأتي :-

١ - **مجاهدة النفس :**

هي (محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع) (٥)

---

(١) سورة التوبة آية (٧٣) .

(٢) خ مع فتح الباري ٦/٦ ك الجهاد باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله

(٣) خ مع فتح الباري ٦/٦ ك الجهاد باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله

(٤) خ مع فتح الباري ٦/٣ ك الجهاد باب فضل الجهاد السير .

م ٣/٤٨٧ ك الاماره باب المبايعة بعد الفتح .

(٥) انظر التعريفات للجرجاني (٢٠٤) .

(١) ومما ورد فيه قوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (١) .

(٢) وقوله تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (٢) .

وقد ورد في تفسير ذلك عند بعض المفسرين بأن المراد [جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردّها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظلمة في رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم] (٣) .

(٣) وقوله تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } (٤) .

وذلك فيمن يخاف عند المعصية مقامه بين يدي الله فينتهي عن الذنب، فهذا مجاهدة للنفس للالتزام بطاعة الله والإنتهاء عن معاصيه (٥) .

(٤) وقوله تعالى : { وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ } (٦) . بمعنى [من جاهد في الدين، وصبر على قتال الكفار، وأعمال الطاعات، فإنما يسعى لنفسه] (٧) وذلك لأن عمل الطاعات فيه مشقة على النفس لما جبلت عليه من الميل إلى الشهوات والملذّات، فمن يجاهدها على الطاعات كان أجر ذلك لنفسه فإن الله غني عن العالمين .

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦٩) .
(٢) سورة الحج آية (٧٨) .
(٣) تفسير القرطبي ٣٦٩/١٢ وانظر تفسير الفخر الرازي ٧٢/٢٣ .
(٤) سورة النازعات آية (٤٠ - ٤١) .
(٥) انظر تفسير القرطبي ٢٠٨/١٩ . زاد المسير ٢٤/٩ ، تفسيرابن كثير ٢١٠/٧ ، نظم الدرر ٢٤٤/٢١ .
(٦) سورة العنكبوت آية (٦) .
(٧) انظر تفسير القرطبي ٣٢٧/١٣ .

(٥) ومنه ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّه « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد . فقال : أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال ففيهما فجاهد » (١) .

قال ابن حجر : [خصَّهما بجهاد النفس في رضاهما] (٢) .

(٦) ما رواه فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل ميت يختم على عمله إلاَّ الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمَّى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المجاهد من جاهد نفسه » (٣) .

وفي رواية لأحمد ابن حنبل « المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل » (٤) .

وأخرجه ابن المبارك بلفظ «المجاهد من جاهد نفسه بنفسه» (٥) .

والمعنى[من قهر نفسه الأمَّارة بالسوءعلى مافيه رضا الله من فعل الطاعات،وتجنب المعاصي،وجهادها أصل كل جهاد،فإن من لم يجاهدها لم يمكنه جهاد عدوه] (٦)

---

(١) خ مع فتح الباري ١٤٠/٦ ك الجهاد باب الجهاد بإذن الأبوين .
م ١٩٧٥/٤ ك البر باب برّ الوالديّن .
وانظر : نيل الأوطار ٤٠/٨ ك الجهاد وباب إستئذان الأبوين .

(٢) فتح الباري ١٤٠/٦ .

(٣) ت : ١٦٥/٤ ك فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً . وقال عقبه حسن صحيح .

(٤) حم مع الفتح الرباني ١٠/١٤ ك الجهاد باب فضل الرباط في سبيل الله . صحيح ابن حبان ٦٩/٧ ذكر انقطاع الأعمال عن الموتى وبقاء عمل المرابط إلى يوم القيامة .

(٥) الجهاد لابن المبارك (١٦٢) .

(٦) تحفة الأحوذي ٢٥٠/٥ .

٢ - مجاهدة الشيطان :

وذلك مايدل عليه عموم لفظ الجهاد .

في قوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } (١) .

وقوله تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (٢) .

وقد سبق بيان قول بعض المفسرين بأنه ليس المراد بالجهاد قتال الكفار، بل إن في الآيات الكريمة إشارة إلى الامتثال إلى جميع ما أُمر الله به، والانتهاء عن كل مانهى الله عنه، بمجاهدة النفس، والهوى، ومجاهدة الشيطان برد وسوسته وكيده (٣) .

وفي القرآن الكريم أثبت عز وجل عداوة الشيطان لابن آدم في مواطن كثيرة منها :-

قوله تعالى: { يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ } (٤)

وقوله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } (٥) .

والأمر بإتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ مافي الوسع في محاربته، ومجاهدته، كأنه عدو لايفتر، ولايقصر عن محاربة العبد على عدد أنفاسه (٦) .

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦٩) .

(٢) سورة الحج آية (٧٨) .

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٣/٣٦٥ ، تفسيرالفخر الرازي ٢٣/٧٢ .

(٤) سورة الأعراف آية (٢٧) .

(٥) سورة فاطر آية (٦) .

(٦) انظر : زاد المعاد ٣/٦ .

٢ - مجاهدة العدو الظاهر :

= وذلك بالقتال بالسلاح أو بإقامة الحجة والبرهان (١) .

ومما ورد فيه قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٢) .

ومنه قوله تعالى : { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } (٣) .

= ومما ورد في الجهاد بالحجة والبرهان .

١ - قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (٤) .

قال ابن عباس : [إن الأمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ](٥) .

= ومما ورد في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم في جهاد العدو الظاهر بالنفس والمال (٦) .

(١) ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى

---

(١) انظر : المفردات (١٠١) ، نزهة الأعين النواظر (٢٣١) ، الأشباه والنظائر (٢٩٠) بصائر ذوي التمييز ٤٠٢/٢ .
(٢) سورة البقرة آية (٢١٨) .
(٣) سورة النساء آية (٩٥) .
(٤) سورة التوبة آية (٧٣) .
(٥) انظر : تفسير القرطبي ٢٠٤/٨ .
(٦) النهاية في غريب الحديث ٣١٩/١ .

الله عليه وسلم فقال : " يارسول الله أيُّ الناس خير ؟ قال : رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره "(١) .

(٢) ماثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض .. » (٢) .

(٣) وما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » (٣) .

٤ - بذل الجهد مطلقاً : ومن النصوص على ذلك

قوله تعالى : { وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا } (٤) .

وقوله تعالى : { وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا } (٥) .

---

(١) خ مع فتح الباري ١١/٣٣٠ ك الرقاق باب العزلة راحة من خلاط السوء .
٦/٦ ك الجهاد باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله .
م ٣/١٥٠٣ ك الجهاد باب فضل الجهاد والرباط .

(٢) خ مع فتح الباري ٦/١٠ ك الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله .

(٣) خ مع فتح الباري ٦/١٣ ك الجهاد باب الغدوة والروح في سبيل الله .

(٤) سورة العنكبوت آية (٨) .

(٥) سورة لقمان آية (١٥) .

المطلب الثاني

النفس

النفس في اللغة :

وردت كلمة (النفس) في معاجم اللغة لعدة معان :

١ - الـروح :

يقال : خرجت نفسه أي روحه (١).

قال ابو خراش :

نجا سالم والنفس منه بشدقه .·. ولم ينج إلا جفن سيف ومئزراً (٢)

أي بجفن سيف ومئزر .

٢ - الـدم :

يقال : سالت نفسه . ويقال إذا فقد الدم من بدن الانسان فقد نفسه والحائض تسمى نفساء لخروج دمها (٣) .

ومنه قول الفقهاء مالا نفس له سائلة فإنه لاينجس الماء (٤) .

٣ - الجسـد : (٥)

---

(١) الصحاح ٩٨٤/٣ . وانظر ، معجم مقاييس اللغة ٤٦٠/٥ ، لسان العرب ٢٣٤/٦ القاموس المحيط ٢٦٤/٢ .

(٢) شرح اشعار الهذليين ٥٥٨/٢

(٣) انظر المراجع السابقة في رقم (١) ٩٠

(٤) النهاية في غريب الحديث ٩٦/٥ وعزاها الى النخعي .

(٥) انظر: الصحاح ٩٨٤/٣ ، معجم مقاييس اللغة ٤٦٠/٥ ، لسان العرب ٢٣٤/٦ ، القاموس المحيط ٢٦٤/٤ .

قال الشاعر :

نبئت أن بني سحيم ادخلوا .·. ابياتهم تامور نفس المنذر (١) .

٤ - **الانسان :**

يقولون ثلاثة أنفس فيذكرونه لان المراد به الانسان (٢) .

٥ - **العين :**

يقال أصابت فلاناً نفس ، ونفسه بنفس إذا أصبته بعين (٣) .

٦ - **ذات الشيء وحقيقته :**

يقال رأيت فلاناً نفسه وجاءني بنفسه (٤) .

(النفس) في استعمالات القرآن والسنة :

وردت كلمة النفس في القرآن والسنة على وجوه :

١ - الذات : (٥)

ومما ورد في ذلك قوله تعالى : { لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } (٦) .

---

(١) الشاعر هو أوس بن حجر يحرض عمرو بن هند على بني حنيه .انظو ديوانه (٤٧) .التامور : الدم .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) انظر المراجع السابقة .

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٨ ، المفردات (٥٠١) ، الكليات ٣٤٧/٤ .

(٦) سورة آل عمران آية ٢٨ . بمعنى ويحذركم الله ذاته .

انظر : تفسير أبي السعود ٢٣/٢ ، روح المعاني ١٢٦/٤ ، مجموعة فتاوي ابن تيمية ٢٩٢/٩ .

وقوله تعالى : { كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } (١) .

وقوله تعالى : { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } (٢) .

وقوله تعالى : { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (٣) .

وقوله تعالى : { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم .. } (٤) .

وقوله تعالى : { وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } (٥) .

وقوله تعالى : { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة » (٧) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً .. » (٨) .

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢) .

(٢) سورة الكهف آية (٦) . [المراد بالنفس ذات النبي صلى الله عليه وسلم] .

(٣) سورة الشعراء آية (٣) .

(٤) سورة الكهف آية (٢٨) .

(٥) سورة البقرة آية (٤٨) [المراد بالنفس الذات الإنسانية] انظر الأشباه والنظائر /٢٧٠ ، نزهة الأعين النواظر /٥٩٥ ، تفسير الفخر الرازي ٥٣/٣.

(٦) سورة البقرة آية (٢٨١) .

(٧) م : ١٠٦/١ ك الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .
جه: ٣١٦/١ أبواب ما جاء في الصيام باب ماجاء في النهي عن صيام أيام التشريق .

(٨) م : ١٩٩٤/٤ ك البر باب تحريم الظلم .

٢ - الـروح : (١)

منه قوله تعالى :{ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ .. } (٢)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم « الميت تحضره الملائكة وإذا كان الرجل صالحاً قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة .. » (٣) .

٣ - القلـب : (٤)

ومما ورد فيه قوله تعالى : { وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ } (٥)

وقوله تعالى : { وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ } (٦) . ومنه { وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ } (٧) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء « واجعل في نفسي نوراً » (٨) .

وقوله عليه الصلاة والسلام « .. والنفس تمنى وتشتهي » (٩) .

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر /٢٧٠ ، نزهة الأعين /٥٩٥ ، المفردات /٥١٠ ، الكليات ٣٤٧/٤ ، تفسيرالفخر الرازي ٨٣/١٣ .

(٢) سورة الأنعام آية (٩٣) .

(٣) جه ١٤٤٠/٢ . قال المحقق [قال البوصيري في الزوائد (٢٦٤) إسناده صحيح ورجاله ثقات] .

(٤) انظر الأشباه والنظائر /٢٧٠ ، نزهة الأعين /٥٩٦ ، تفسيرالفخر الرازي ١٠٦/١٥.

(٥) سورة الأعراف آية (٢٠٥) .

(٦) سورة النجم آية (٢٣) .

(٧) سورة ق آية (١٦) .

(٨) م / ٥٣٠ ك صلاة المسافر بين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٩) خ مع فتح الباري ٥٠٣/١١ ك القدر باب (وحرام على قريه أهلكناها أنهم لايرجعون) .

٤ - آدم عليه السلام : (١)

ومما ورد فيه قوله تعالى:{ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} (٢) .

وقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ } (٣) .

٥ - الغيـب : (٤)

منه قوله تعالى : {... تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ } (٥) .

٦ - النوع أو الجنس : (٦)

منه قوله تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ } (٧) .

وقوله تعالى : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ } (٨) .

٧ - البعـض : (٩)

منه قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ

---

(١) انظر: نزهة الأعين /٥٩٥ ، تفسيرالفخر الرازي ١٥٨/٩ ، ١٦١ .

(٢) سورة النساء آية (١) .

(٣) سورة الأنعام آية (٩٨) .

(٤) انظر : تفسيرالطبري محقق ٢٣٨/١١ ، زاد المسير ٤٦٤/٢ ، تفسير الفخر الرازي ١٣٥/١٢،المفردات /٥١٠،الكليات ٣٤٧/٤، بصائر ذوي التمييز ٩٧/٥

(٥) سورة المائدة آية (١١٦) .
قال أبو جعفر [.. ولا أعلم أنا ما أخفيته عنّي فلم تطلعني عليه] .

(٦) انظر تفسيرالطبري المحقق ٣٦٩/٧ ، ٥٨٤/١٤ ، نزهة الأعين /٥٩٦ ، غرائب القرآن ٤٦/١١ ، تفسيرالفخر الرازي ٢٣٦/١ .

(٧) سورة آل عمران آية (١٦٤) .

(٨) سورة التوبة آية (١٢٨) .

(٩) انظر الأشباه والنظائر/٢٧٠، غريب القرآن لإبن قتيبة /٣٠٩ ، تفسيرالطبري المحقق٢/ ٣٠٠ ، ٢٢٩/٨ ، نزهة الأعين /٥٩٦ . تفسيرالفخر الرازي ١٧٠/٣ .

أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ } (١) .

٨ - العيـن : (٢)

منـه قولـه صلى اللـه عليـه وسلـم : « لا رقيـة إلا فـي نفس أو حمَّـى أو لدغة » (٣) .

٩ - الـدم : (٤)

منه قول [كل شيء ليست له نفس سائلة فإنه لاينجس الماء إذا سقط فيه] (٥) .

* * *

مما سبق تبينت المعاني التي وردت فيها كلمة (النفس) في القرآن والسنة والمعنى المقصود في هذا البحث هو النفس بمعنى ذات الإنسان لأنها هي المكلفة بالمجاهدة لتصل لطريق الهداية والاطمئنان وتنال رضا رب العالمين .

---

(١) سورة البقرة آية (٨٤) .

قال أبو جعفر [.. ولكنهم نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضاً فكان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه إذ كانت ملَّتهما واحدة فهما بمنزلة الرجل الواحد] ٣٠٠/٢ .

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث ٩٦/٥ ، بصائر ذوي التمييز ٩٧/٥ .

(٤) سنن أبي داود مع مختصره ٣٦٤/٥ ك الطب باب ماجاء في الرقي .

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث ٩٦/٥ ، مجموعة فتاوي ابن تيمية ٢٩٣/٩ .

المطلب الثالث [مرادفات النفس]

[أ] الــروح

الروح في اللغة :

مشتق من الريح وهو ماتقوم به حياة الإنسان (١) .

قال ابن فارس [الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد يدل على سعة وفسحة وإطراد وأصل ذلك كله الريح . وأصل الياء في الريح الواو وإنما قلبت ياء لكسرة ماقبلها،فالروح روح الإنسان وإنما هو مشتق من الريح وكذلك الباب كله ..] (٢) .

وقال ابن منظور : [الروح بالضم في كلام العرب النفخ سمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح]. ومنه قول ذي الرمة في نار اقتدحها وأمر صاحبه بالنفخ فيها فقال :

فقلت له ارفعها إليك وأحيها .·. بروحك واجعله لها قيتة وقدراً .

أي أحييها بنفخك وأجعله لها] (٣) .

الروح في استعمالات القرآن والسنة :

وردت كلمة (الروح) بضم الراء في القرآن والسنة على وجوه :-

١ - **الرحمــة** : (٤)

ومنه قوله تعالى : { وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } (٥) أي رحمة .

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤٥٤/٢ ، الصحاح ٣٦٧/١ ، جمهرة اللغة ١٤٦/٢ ، لسان العرب ٤٥٩/٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٥٤/٢ ، وانظر الصحاح ٣٦٧/١ .

(٣) لسان العرب ٤٥٩/٢ . وانظر المفردات /٢٠٥ .

(٤) انظر: الأشباه والنظائر /١٦١ ، المفردات /٢٥ ، النهاية ٢٧١/٢ ، نزهة الاعين /٣٢٢ ، بصائر ذوي التمييز ١٠٥/٣ .

(٥) سورة المجادلة آية (٢٢) .

٢ - **جبريل عليه السلام** : (١)

منه قوله تعالى : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ } (٢) .

وقوله تعالى : { وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ } (٣) .

وقوله تعالى : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } (٤) .

ومنه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » (٥) .

وعن سعيد بن المسيب قال : [مر عمر في المسجد وحسان ينشد فقال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال :

أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أجب عني، اللهم أيده بروح القدس ؟ قال : نعم »](٦) .

٣ - القرآن : (٧)

منه قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا } (٨) .

وقوله تعالى : { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ } (٩) .

---

(١) انظر المراجع السابقة .

(٢) سورة الشعراء آية (١٩٣) .

(٣) سورة البقرة آية (٢٥٣) .

(٤) سورة النحل آية (١٠٢) .

(٥) م : ٣٥٣/١ ك الصلاة باب مايقال في الركوع والسجود .

(٦) خ مع فتح الباري ٣٠٤/٦ ك بدء الخلق باب ذكر الملائكة .

(٧) انظر الاشباه والنظائر /١٦١ ، المفردات /٢٥ ، نزهة الاعين /٣٢٢ ، النهاية ٢٧١/٣ ، المجموع المغيث ٨١٣/١ .

(٨) سورة الشورى آية (٥٢) .

(٩) سورة النحل آية (٢) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «تحابُّوا بذكر الله وروحه» (١) . لأن القرآن به حياة القلوب .

٤ - **اللطيفه التي فيها مدد الحياة : (٢)**

منه قوله تعالى : {وَيَسۡأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي} (٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرجت روح المؤمن تلقّاها ملكان يصعدانها ... ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه ... » (٤) .

وما رواه ابن مسعود رضي الله عنه « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح فسكت حتى نزلت الآية » (٥) .

وما رواه عبدالله رضي الله عنه قال « بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكيء على عسيب إذ مراليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ... فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال : {وَيَسۡأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا} (٦) .

---

(١) انظر النهاية ٢/٢٧١ .

(٢) انظر الأشباه والنظائر /١٦١ ، المفردات (٢٥) ، نزهة الأعين /٣٢٢ ، النهاية ٢/ ٢٧١ .

(٣) سورة الإسراء آية (٨٥) .

(٤) م : ٤/٢٢٠٢ ك الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار .

(٥) خ مع فتح الباري ١٣/٢٩٠ ك الإعتصام باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري .

(٦) خ مع فتح الباري ٨/٤٠١ ك تفسير باب ويسألونك عن الروح .

وما رواه عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أحدكم يُجمع خلقَه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقةً مثل ذلك ... ثم ينفخ فيه الروح ... » (١) .

النفس والروح :

اختلف أهل العلم في النفس والروح إلى قولين :

١ - أنَّ النفس والروح شيء واحد حكاه ابن القيم عن الجمهور (٢) .

٢ - أنَّ النفس أعم من الروح، فالنفس تطلق على الروح اذا كانت الروح مقرونةً بالبدن، لأن الروح بها حياة البدن، ولا تطلق الروح على النفس اذا كانت الروح غير مقرونة بالبدن (٣) .

وقال ابن تيميةً : [ويراد بالنفس عند كثير من المتأخرين صفاتها المذمومة] (٤) .

---

(١) خ مع فتح الباري ٦/٣٠٣ ك بدء الخلق باب ذكر الملائكة .

(٢) الروح لابن القيم ٣٩٠ .

(٣) المرجع السابق . وانظر : تفسير البحر المحيط ١/٢٩٧ .

(٤) مجموعة فتاوي ابن تيمية ٩/٢٩٣ .

[ب] القلـب

القلب في اللغة :

وردت كلمة (قلب) في لغة العرب على معان :

١ – قلب الإنسان : (١)

وهي مضغة من الفؤاد معلقةً بالنياط (٢) .

٢ – تحويل شيء من جهة إلى جهة : (٣)

يقال : قلبت الثوب قلباً ، وقلبت الشيء فانقلب أي إنكب وقلب الشيء تصريفه ، وقلب الله فلاناً إليه . توفاه (٤) .

٣ – العقـل : (٥)

يقال : مالك قلب . وماقلبك معك تقول ماعقلك معك فأين ذهب قلبك أي عقلك (٦) .

٤ – الفـؤاد : (٧) .

قال الأزهري : [رأيت بعض العرب يسمي لحمة القلب كلها وشحمها

---

(١) انظر جمهرة اللغة لابن دريد١/٣٢٢ ، الصحاح للجوهري١/٢٠٤ ، لسان العرب لابن منظور ١/٦٨٧ ، القاموس المحيط للفيروز آبادي١/١١٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغه للأزهري ٩/١٧٢ ، لسان العرب ١/٦٨٧ .

(٣) معجم مقاييس اللغه ٥/١٧ .

(٤) انظر: جمهرة اللغه١/٣٢٢ ، الصحاح ١/٢٠٤ ، لسان العرب ١/٦٨٧ ، القاموس المحيط ١/١١٩ .

(٥) انظر المراجع السابقة .

(٦) تهذيب اللغة ٩/١٧٣ .

(٧) انظر:جمهرة اللغة ١/٣٢٢، الصحاح ١/٢٠٤ ، لسان العرب ١/٦٨٧ ، القاموس المحيط ١/١١٩ .

وحجابها قلباً وفؤاداً . ولم أرهم يفرقون بينهما . قال : ولا أنكر أن يكون القلب هو العلقة السوداء في جوفه] (١) .

وسمي قلباً لتقلبه في الأشياء بالخواطر، والعزوم، والاعتقادات، والإرادات، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه .

قال الشاعر :

ماسمِّي القلب إلاَّ من تقلبه .·. والرأي يصرف بالانسان أُطواراً (٢) .

[والقلب هو محل (النفس) والعقل والفهم والعزم] (٣) . قاله ابن الجوزي .

القلب في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال كلمة (القلب) في القرآن والسنة على وجوه ثلاث : (٤) .

الأول : القلب الذي في الصدر :

وهو الجسم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر (٥) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » (٦) .

---

(١) تهذيب اللغة ١٧٤/٩ ، وانظر لسان العرب ٦٨٧/١ .

قال الرازي (القلب هو العلقة السوداء في جوف الفؤاد دون ما يكتنفها من اللحم والشحم ومجموع ذلك هو الفؤاد) تفسير الرازي ٢٤ / ١٦٨

وقال الكفوي الفرق بين القلب والفؤاد (أن القلب محل الإيمان والفؤاد محل رؤية الحق) الكليات ٤ / ٧ .

(٢) انظر : نزهة الاعين /٤٨٢ ، تهذيب اللغة ١٧٣/٩ ، لسان العرب ٦٨٧/١ .

(٣) نزهة الأعين / ٤٨٢ .

(٤) انظر : اصلاح الوجوه والنظائر (٣٨٨) ، نزهة الاعين (٤٨٢) ، بصائر ذوي التمييز ٢٨٨/٤ .

(٥) انظر : روح المعاني ١٣٤/١ ، احياء علوم الدين مع اتحاف الساده ٢٠٢/٧ ، تفسير المراغي ١١١/٩ .

(٦) خ مع فتح الباري ١٢٦/١ ك الايمان باب فضل من استبرأ لدينه . =

الثاني : الـرأي :

منه قوله تعالى : { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى } (١) .

الثالث : العقـل : ومحل الايمان والعلم والفهم والتدبر .

منه قوله تعالى : { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } (٢) .

منه قوله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } (٣) .

= م : ١٢١٩/٣ ك المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

- (مضغة) : أي قدر مايمضغ وعبّر بها هنا عن مقدار القلب في الرؤية .

قال ابن حجر [وسمّى القلب قلباً لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص مافي البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوباً] فتح الباري ١٢٨/١ .

- (إذا صلحت) (إذا فسدت) إذا صار الصلاح هيئة لازمة لشرف ونحوه، وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه .. ويستدل به على أن العقل في القلب .

وفي تشبيه صلاح نفس الإنسان بصلاح قلبه كالجسد يصلح بصلاح القلب .

(١) سورة الحشر آية (١٤) .

والمعنى [تحسبهم في صورتهم مجتمعين على الألفة والمحبة أما قلوبهم فشتى لأن كل واحد منهم على مذهب آخر] تفسير الفخر الرازي ٢٩٠/٢٩ .

(٢) سورة ق آية (٣٧) .

والمعنى [لمن كان له عقل] . انظر : معاني القرآن للفراء ٨٠/٣ ، تفسير الطبري غير محقق ١٧٧/٢٦ ، تفسير الفخر الرازي ١٨٢/٢٨ ، روح المعاني ١٩١/٢٦ ، تفسير ابن كثير ٤٠٩/٦ .

(٣) سورة الحج آية (٤٦) . =

وقوله تعالى : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ .. } (١) .

وقوله تعالى : { لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا } (٢)

وقوله تعالى : { قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } (٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن،كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك » (٤) .

ومنه ما ورد عن عبدالله (٥) قال [كثيراً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم

== قال القرطبي [أضاف العقل إلى القلب لأنه محله كما أن السمع محله الأذن] ٧٧/١٢ .

(١) سورة البقرة آية (٧) .

[قدم سبحانه الختم على القلوب لأن الآية تقدير لعدم إيمانهم تناسب تقديم القلوب لأنها محل الإيمان] روح المعاني ١٣٤/١ .

(٢) سورة الاعراف آية (١٧٩) .

(لايفقهون) : [الفقه العلم بالشيء والفهم له .. وهو دقة الفهم والتعمق في العلم ليترتب عليه أثره والإنتفاع] تفسير المراغي ١١١/٩ .

والمعنى كما قال ابن كثير [أي ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية] تفسير ابن كثير ٢٥٦/٣ ، وانظر روح المعاني ١١٩/٩.

(٣) سورة البقرة آية (٩٧) .

[وخص القلب لأنه محل العقل والعلم وتلقي الإرادات] تفسير البحر المحيط ٣٢٠/١ .

(٤) م : ٢٠٤٥/٤ ك القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء .

(٥) هو عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما .

يحلف « لا ومقلب القلوب » (١) . قال ابن حجر [قال القاضي أبو بكر بن العربي : القلب جزء من البدن خلقه الله وجعله للإنسان محل العلم والكلام وغير ذلك من الصفات الباطنة، وجعل ظاهر البدن محل التصرفات الفعلية والقولية وكّل بها ملكاً يأمر بالخير وشيطاناً يأمر بالشر، فالعقل بنوره يهديه، والهوى بظلمته يغويه، والقضاء والقدر مسيطر على الكل، والقلب يتقلب بين الخواطر الحسنة والسيئة، واللَّمة من الملك تارة ومن الشيطان أُخرى، والمحفوظ من حفظه الله تعالى] (٢) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً .. » (٣)

وفي رواية « أضعف قلوباً وأرق أفئدة .. » (٤) .

قال الغزالي [وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ..] (٥) .

---

(١) خ مع فتح الباري ٥١٣/١١ ك القدر باب يحول بين المرء وقلبه .

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري ٥٢٧/١١ .

(٣) خ مع فتح الباري ٩٨/٨ ك المغازي باب قدوم الأشعريين .

[الفؤاد غشاء القلب فإذا رق نفذ القول وخلص إلى ماوراءه وإذا غلظ بعد وصوله إلى داخل وإذا كان القلب ليناً علق كل مايصادفه] فتح الباري ١٠٠/٨

(٤) المرجع السابق ٩٩/٨ .

(٥) إحياء علوم الدين مع إتحاف السادة المتقين ٢٠٩/٧ .

[جـ] العقـــل

العقل في اللغة :

يطلق في اللغة على معان :

١ - الحِجْرُ والنُهَى ضد الحمق : (١)

يقال : عقل الرجل يعقل عقالاً وعاقلاً .

وقيل إنما سمي عقل الإنسان عقلاً لأنه يعقله أي يمنعه من التورط في الهلكة كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه .

قال ابن فارس [العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطّرد يدل عُظمه على حُبسة في الشيء أو مايقارب الحُبسةَ من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل] (٢) .

يقال : رجل عاقل . وهو الجامع لأمره ورأيه . وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها (٣) .

٢ - الديـــة : (٤)

وإنما سميت بذلك لأن الإبل كانت تعقل بفناء ولي المقتول ثم كثر استعماله حتى قالوا : عقلت المقتول إذا أعطيت ديّته دراهم أو دنانير (٥) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٢٤٠/٩ ، الصحاح ١٧٦٩/٥ ، لسان العرب ٤٥٨/١١ .

(٢) مقاييس اللغة ٦٩/٤ .

(٣) لسان العرب ٤٥٨/١١ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٣٨/٩ ، وانظر : الصحاح ١٧٦٩/٥ ، الفائق في غريب الحديث ٦٧/٤ ، مقاييس اللغة ٧٠/٤ ، النهاية في غريب الحديث ٢٧٨/٣ ، لسان العرب ٤٦٠/١١ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٣٨/٩ . وانظر المراجع السابقة .

٣ - الملجأ والحصن : (١)

والجمع عقول ومنه المعقل . يقال : فلان معقل لقومه أي ملجأ لهم .

قال أحيحة : (٢)

وقد أعددت للحدثان (عِقلاً) .'. لو أن المرء تنفعه العقول (٣)

قال الأزهري [أراه أراد بالعقول التحصن في الجبل ، يقال وعلٌ عاقل إذا تحصن بوزره عن الصياد ولم أسمع العقل بمعنى المعقل لغير الليث] (٤) .

٤ - التثبت في الأمور . (٥)

٥ - القلب : (٦)

قال الأزهري [قال ثعلب عن ابن الأعرابي ..... العقل القلب والقلب العقل] (٧) .

٦ - نقيض الجهل : (٨)

يقال عقل يعقل عقلاً إذا عرف ما كان يجهله قبل أو انزجر عمّا كان يفعله .

---

(١) تهذيب اللغة ٢٤١/٩ ، الصحاح ١٧٦٩/٥ ، مقاييس اللغة ٧٠/٤ ، لسان العرب ٤٦٥/١١ .

(٢) أُحيحة بن الجلاح .

(٣) [عقلاً : بكسر العين جمع عقل وهو الحصن والمعقل أي التحصن في الجبل] انظر الأغاني ٤٨/١٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٤١/٩ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٤١/٩ ، لسان العرب ٤٥٨/١١ .

(٦) تهذيب اللغة ٢٤١/٩ ، لسان العرب ٤٥٨/١١ .

(٧) تهذيب اللغة ٢٤١/٩ .

(٨) انظر مقاييس اللغة ٦٩/٤ ، غريب الحديث لأبي إسحاق الحربي ١٢٢٩/٣ ذكره عن وهب .

٧ - **الفهم والبيان** : (١)

يقال قلب عقول أي فهم ، وعقل الشيء يَعقِله عَقْلاً فهمه (٢) .

والعرب إنّما سمَّت الفهم عقلاً لأن مافهمته فقد قيَّدته بعقلك وضبطه كما البعير قد عقل .

٨ - التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان (٣) .

* * *

(١) العقل وفهم القرآن (٢٩) .

(٢) انظر المحكم ١/١١٩ . لسان العرب ١١/٤٥٩ .

(٣) لسان العرب ١١/٤٥٩ .

العقل في استعمالات القرآن والسنة :

لم يرد استعمال مادة (عقل) بمعنى المصدر أو الاسم وإنَّما وردت بصيغ متعددة . ورد بصيغة الفعل المضارع والفعل الماضي ... ونحوه في المعاني التالية :

١ - الفهم والضبط :

ومنه قوله تعالى : { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (١) أي فهموه وضبطوه بعقولهم (٢) .

وقوله تعالى : { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } (٣) .

وقوله تعالى : { أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } (٤) .

ومنه ماورواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ؟ قلنَّ بلى.قال : فذلك من نقصان عقلها » (٥) وفي رواية مسلم « ... وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب

---

(١) سورة البقرة آية (٧٥) .

(٢) انظر الكشاف ٧٧/١ ، تفسير أبي السعود ١١٦/١ .

(٣) سورة الأنفال آية (٢٢) .

قال أبو السعود [تحقيقاً لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويُفْهِمُه غيره بالإشارة ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه وأما إذا كان فاقد العقل فهو الغاية في الشر وسوء الحال] تفسير أبي السعود ١٥/٤ .

(٤) سورة يونس آية (٤٢) وانظر : تفسير أبي السعود ١٤٨/٤ .

(٥) خ مع فتح الباري ٢٦٦/٥ ك الشهادات باب شهادة النساء .

لذي لب منكن » (١) .

ومنه ماورد في حديث الأمانة الذي رواه حذيفة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر . حدثنا "أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة " وحدثنا عن رفعها قال « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوكت . ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيقال إن في بني فلان رجلاً أميناً . ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان .. » (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة النائم حتى يستيقظ وعن الطفل حتى يحتلم وعن المجنون حتى يبرأ أو يعقل » (٣) .

وما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه » (٤) .

٢ - **التفكر :**

منه قوله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى

---

(١) م ٨٧/١ ك الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الكلمات وبيان اطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله .

(٢) خ مع فتح الباري ٣٣٣/١١ ك الرقاق باب رفع الأمانة .
الوكت : بفتح الواو وسكون الكاف بعدها مثناة . أثر النار ونحوه .
المجل : بفتح الميم وسكون الجيم بعدها لام هو أثر العمل في الكف
المنتبر : بنون ثم مثناة مفتوحة ثم موحدة مكسورة وهو المتنقط .

(٣) مسند أحمد محقق ٢٧٩/٢ وقال المحقق اسناد صحيح .
د ١٤٠/٤ ك الجهاد باب في المجنون يسرق .

(٤) ت ٥٦١/٥ ك المناقب باب في كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

﴿ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١) . عبر بالقلب عن العقل لأنه محله (٢)

٣ - **الديــة :**

منه مارواه أبو جحيفه قال : [سألت علياً رضي الله عنه : هل عندكم ماليس في القرآن، وقال مرة : ماليس عند الناس . فقال : والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن - إلا فهماً يعطي رجل في كتابه - وما في الصحيفة قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل، وفكاك الأسير، وأن لايقتل مسلم بكافر] (٣) .

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنين إمرأه من بني لحيان سقط ميتاً بغرة عبد، أو آمة، ثم إن المراه التي بالغرة توفيت، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ميراثها لبنيها، وزوجها، وأن العقل على عصبتها » (٤) .

---

(١) سورة الحج آية (٤٦) .

(٢) انظر: ذم الهوى (١٣) . تفسير ابي السعود ١١١/٦ قال [قلوب يعقلون بها] مايجب ان يعقل من التوحيد] .

(٣) خ مع فتح الباري ٢٤٦/١٢ ك الديات باب العاقله .

قال ابن حجر [بكسر القاف العاقلة جمع عاقل وهو دافع الدية، وسميت الدية عقلاً تسمية بالمصدر لأن الإبل كانت تعقل بفناء ولي القتيل، ثم كثر الاستعمال حتى أُطلق العقل على الدية، ولو لم يكن ابلاً . وعاقلة الرجل قراباته من قبل الأب، وهم عصبته، وهم الذين كانوا يعقلون الابل على باب ولي المقتول ...] فتح الباري ٢٤٦/١٢ .

(٤) خ مع فتح الباري ٢٤/١٢ ك الفرائض باب ميراث المرأة والزوج مع الولد وغيره .

(الغرة) قال ابن الأثير [العبد نفسه أو الأمة . وعند الفقهاء ما بلغ ثمنه نصف عُشر الدية من العبيد أو الإماء] انظر النهاية ٣٥٣/٣ .

٤ - الحبس والمنع : (١)

ومنه مارواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال [دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت اليه وعقلت الجمل في ناحية البلاط فقلت : هذا جملك . فخرج فجعل يطيف بالجمل . قال : « الجمل والثمن لك »] (٢) .

كما ورد للعقل ألفاظ مرادفه منها :

١ - اللب :

ومنه قوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } (٣) .

وقوله تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ } (٤) أي أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل (٥) .

وقوله تعالى : { هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ } (٦) .

وقوله تعالى : { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (٧) .

---

(١) انظر غريب الحديث للحربي ١٢٢٥/٣ .

(٢) خ مع فتح الباري ١١٧/٥ ك المظالم باب من عقل بعيره على البلاط او باب المسجد .

(٣) سورة آل عمران آية (١٩٠) .

(٤) سورة الزمر آية (٢١) .

(٥) تفسير أبي السعود ٢٥٠/٧ .

(٦) سورة غافر آية (٥٤) .

وانظر : تفسير أبي السعود ٢٨٠/٧ قال (هداية وتذكرة لذوي العقول السليمه) .

(٧) سورة الزمر آية (١٨) .

٢ - **النُّهى :**

ومنه قوله تعالى : { كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى } (١) . أي أولي العقول (٢) .

قال أبو السعود في تفسيره [جمع نُهيَة سمي بها العقل لنهيه عن إتباع الباطل وارتكاب القبائح كما سمّي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك ...] (٣).

وقوله تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى } (٤) أي لذوي العقول الناهية عن القبائح (٥) .

٣ - **الحجـر :**

ومنـه قولـه تعالى : { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ } (٦) أي لذي عقل (٧) .

العقل في الاصطلاح :

العقـل صفـة المراد بهـا الغريـزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد النافع دون الضار .

---

(١) سورة طه ، آية (٥٤)

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن (٢٧٩) ؛ العندة في غريب القرآن (٢١٠) ؛ تحفة الأريب : (٣٠٤)

(٣) انظر تفسير أبي السعود : ٦/٢٢

(٤) سورة طه ، آية (١٢٨)

(٥) تفسير أبي السعود : ٦/ ٤٩

(٦) سورة الفجر ، آية (٥)

(٧) تفسير غريب القرآن : ٥٢٦ ؛ العمدة في غريب القرآن : ٣٤٦ ؛ معجم غريب القرآن من صحيح البخاري /٣٣ ؛ تفسير أبي السعود ١٥٤/٩ . قال [الحجر العقل لأنه يحجر على صاحبه أي يمنعه من التهافت فيما لاينبغي كما سمّي عقلاً ونُهى لأنه يعقل وينهى] .

قال ابن تيميه [أن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل . وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى : { لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } .

وقوله { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا }

كما قال أحمد بن حنبل، والحارث المحاسبي وغيرهما إن العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن العين قوة بها يبصر، وفي اللسان قوة بها يذوق ، وفي الجلد قوة بها يلمس ، عند جمهور العقلاء] (١) .

من النصوص السابقة في بيان استعمالات القرآن والسنة للعقل نستنتج الآتي :

١ - لم يرد استعمال العقل بمعنى (النفس) .

٢ - استعمل العقل بمعنى (القلب) وذلك مادل عليه قوله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا .. } وعبر بالقلب عن العقل لأنه محلّه وذلك ماورد عن الجمهور (٢) .

---

(١) مجموعة الفتاوي الكبرى ٢٨٦/٩ ، ٢٨٧ .
وانظر : ذم الهوى ١٣ ؛ العقل وفهم القرآن /١٠١ - ٢٠٥ .
محقق كتاب العقل وفهم القرآن ذكر الاقوال في تعريف العقل ودرسها دراسة دقيقه يمكن الرجوع إليها في مظانّها .

(٢) ذم الهوى ١٣ ؛ الكليات / ٢١٩ .
قال ابن الجوزي [أن محله القلب وقال : مروي عن الشافعي وعليه أكثر أصحابنا] .وقال الكفوي [اختلف في محل العقل فذهب أبو حنيفة وجماعة من الأطباء إلى أن محل العقل الدماغ وذهب الشافعي وأكثر المتكلمين إلى أن محله القلب] .

٣ - إن العقل من قوى النفس لأنه محل العلم والمعرفة التي تؤدي إلى الإيمان بالله تعالى، والعمل على طاعته، واجتناب نواهيه، ولذلك وصف بعض العلماء العاقل [بأنه المؤمن الخائف من الله عز وجل] (١) .

٤ - وردت أحاديث كثيرة في فضل العقل وقد اختلف في صحّتها .

قال ابن حجر [ومن كتاب العقل لداود بن المحبر أودعها الحارث بن أبي أسامه في مسنده وهي موضوعةٌ كلها لايثبت منها شيء] (٢) .

* * *

مقارنة بين المصطلحات الأربع :

١ - أن العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى:{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا }.

٢ - القلب يطلق ويراد به المضغة الصنوبرية الشكل ، ويطلق ويراد به باطن الإنسان مطلقاً فقلب الشيء باطنه ..

٣ - الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا . ومايتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا ولكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ . ومبدأ الإرادة في القلب والعقل يراد به العلم ويراد به العمل . فالعلم والعمل الإختياري أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب (٣) .

---

(١) انظر العقل وفهم القرآن /٢١٨ .

(٢) انظر : المطالب العالية بزوائد الثمانية ٣/١٢ - ٢٣ .

(٣) انظر : مجموعة الفتاوي الكبرى ٩/٣٠٣ - ٣٠٤ (بتصرف) .

المطلب الرابع [درجات القصد]

[أ] الإدراك

الإدراك في اللغة :

الدال والراء والكاف أصل واحد وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه يقال : أدركت الشيء أدركه إدراكاً (١) .

ويقال أدرك الشيء بمعنى بلغ أقصى الشيء، ويقال أدرك الصبي والجارية إذ بلغا غاية الصبا حين البلوغ (٢) .

ويقال : أدرك الشيء بمعنى بلغ وقته وانتهى وفني (٣) .

وقد أدركت الشيء دركاً ودِراكاً إذا وصلت إليه وبلغته (٤) .

الإدراك في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال كلمة (أدرك) في القرآن والسنة في وجوه :

١ - **الإحاطة :**

منه قوله تعالى : { لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (٥) .

---

(١) مقاييس اللغة ٢٦٩/٢ ، وانظر : تهذيب اللغه ١١٠/١٠ ، جمهرة اللغة ٢٥٤/٢ ، لسان العرب ٤٢١/١٠ ؛ القاموس المحيط ٣٠١/٣ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ٢٥٤/٢ ، أساس البلاغه/١٢٩ ، المفردات /١٦٨ ، لسان العرب ٤٢١/١٠ ؛ القاموس المحيط ٣٠١/٣ .

(٣) لسان العرب ٤٢١/١٠ ؛ القاموس المحيط ٣٠١/٣ .

(٤) انظر منال الطالب ٤/١ .

(٥) سورة الأنعام آية (١٠٣) .

وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إلى غايته والإحاطة به (١) .

٢ - اللحوق : (٢)

منه قوله تعالى : { حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ } (٣) .

وقوله تعالى : { قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ } (٤) أي ملحقون .

ومنه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جَهد البلاء ودرك الشقاء .. » (٥) . قال ابن الأثير [أدرك اللّحاق والوصول إلى الشيء] (٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة،إذا لم تستحي فاصنع ماشئت » (٧) .

ومنه ماروواه أبو هريرةَ رضي الله عنه قال « جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى،والنعيم المقيم،يصلون كما نصلي،ويصومون كما نصوم،ولهم فضل من أموال يحجون بها، ويعتمرون،ويجاهدون،ويتصدقون . قال : ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من

---

(١) روح المعاني ٢٥٤/٧ ؛ وانظر تفسير الطبري محقق ١٥/١٢ ، تفسير ابن كثير ٧٤/٣ .

(٢) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (١٧٢) ، روح المعاني ١٨١/١١ .

(٣) سورة يونس آيه (٩٠) ، وأنظر روح المعاني ١٨١/١١ .

(٤) سورة الشعراء آيه (٦١) .

(٥) خ مع فتح الباري ١٤٨/١١ ك الدعوات باب التعوذ من جهد البلاء .

(٦) النهاية في غريب الحديث ١١٤/٢ .

(٧) خ مع فتح الباري ٥١٥/٦ ك الأنبياء باب الذكر بعد الصلاة .

سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلاَّ من عمل مثله . تسبحون وتحمدون وتكبِّرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين .. » (١) .

٣ - **الاجتماع** : (٢)

ومنه قوله تعالى : { لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ.. } (٣)

وقوله تعالى : { حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا } (٤) أي إذا تداركت الأمم في النار جميعاً يعني إجتمعت فيها (٥) .

* * *

والإدراك الذي هو من درجات القصد ما كان بمعنى الوصول وبلوغ الغاية . لأنه إذا أدرك غايته ولحق بها فقد وصل لقصده .

---

(١) خ مع فتح الباري ٢/٣٥٥ ك الآداب باب الذكر بعد الصلاة .

(٢) إصلاح الوجوه والنظائر (١٧٢) .

(٣) سورة يس آية (٤٠) .

(٤) سورة الأعراف آية (٣٨) .

(٥) تفسير الطبري المحقق ١٢/٤١٦ .

[٣] الرغبـــة

الرغبة في اللغة :

الإرادة يقال : رغبت في الشيء اذا أردته،رغبة ورغبا بالتحريك . ورغبت عن الشيء إذا لم ترده وزهدت فيه (١) .

قال ابن فارس [الراء والغين والباء أصلان أحدهما طلب الشيء،والآخر سعة في شيء . فالأول : الرغبة في الشيء : الإرادة له . رغبت في الشيء . فاذا لم ترده قلت رغبت عنه .... والآخر . الشيء الرغيب الواسع الجوف ...] (٢).

الرغبة إذا تعدت بـ (في) كانت بمعنى المحبة .

وإذا تعدت (بعن) كانت بمعنى الترك .

وإذا تعدت (بإلي) كانت بمعنى السؤال والطلب .

قال ابن منظور [رغبت إلى فلان في كذا وكذا أي سألته إياه] (٣) .

الرغبة في استعمالات القرآن والسنة :

وردت في معان منها :

١ - **إرادة الشيء** : (٤)

منه قوله تعالى : { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ .. } (٥) .

---

(١) انظر: الصحاح ١٣٧/١ ، جمهرة ٢٦٧/١ ، لسان العرب ٤٢٣/١ .

(٢) مقاييس اللغة ٤١٦/٢ .

(٣) لسان العرب ٤٢٢/١ .

(٤) انظر: تفسير الطبري المحقق ٢٦٤/٩ ؛ تفسير ابن كثير ٤٠٥/٢ ؛ تفسير المراغي ١٧/٥ .

(٥) سورة النساء آيه (١٢٧) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء قبل النوم « اللهم أسلمت وجهي إليك،وفوضت أمري إليك،وألجأت ظهري إليك،رغبة ورهبة إليك،لا ملجأ ولا منجا منك إلاَّ إليك » (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين » (٢) .

ومنه ماورد في الحديث القدسي قول الله تعالى « انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه » (٣) .

٢ - **الزهد في الشيء وعدم إرادته :**

منه قوله تعالى : { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } (٤) . بمعنى وأي الناس يزهد في ملة إبراهيم ويتركها رغبة عنها إلى غيرها (٥) .

وقوله تعالى : { قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ } (٦) يعني إن كنت لاتريد عبادتها (٧) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٨).

---

(١) خ مع فتح الباري ١٠٩/١١ ك الدعوات باب إذا بات طاهراً .
قال العيني [رغبة بمعنى يطمع في الثواب ويخاف من العقاب] انظر عمدة القاري ٢٨٣/٢٢ .

(٢) خ مع فتح الباري ٣٧٧/١١ ك الرقاق باب الحشر .

(٣) مختصر سنن أبي داود ٣٨٢/٣ ك الجهاد باب الرجل يشري نفسه .

(٤) سورة البقرة آية (١٣٠) .

(٥) انظر تفسير الطبري المحقق ٨٩/٣ .

(٦) سورة مريم آية (٤٦) .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٤٦٠/٤ .

(٨) خ مع فتح الباري ١٠٤/٩ ك النكاح باب الترغيب في النكاح .

قال ابن حجر [والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره،والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني] (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لاترغبوا عن آبائكم،فمن رغب عن أبيه فقد كفر » (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « مابال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية ... » (٣) .

٣ - السؤال والطلب :

منه قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } (٤) بمعنى نسأله أن يعطينا من فضله مانرجوه (٥) .

وقوله تعالى : { إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ } (٦) أي طالبون منه الخير راجعون إليه (٧) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبة » (٨) .

قال ابن الأثير : [أي قلت العفة وكثر السؤال] (٩) .

---

(١) فتح الباري ١٠٤/٩ .

(٢) خ مع فتح الباري ٥٤/١٢ ك الفرائض باب من إدعى إلى غير أبيه .

(٣) م ١٨٢٩/٤ ك الفضائل باب علمه صلى الله عليه وسلم وشدة خشيته .

(٤) سورة التوبه آيه (٥٩) .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٤١١/٣ ؛ فتح القدير ٣٧١/٢ .

(٦) سورة القلم آيه (٣٢) .

(٧) فتح القدير ٢٧١/٥ .

(٨) حم ٣٣٣/٦ ، مصنف ابن أبي شيبة ٤٧/١٥ ، المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢٤ ، ٢٦/٢٤ . مجمع الزوائد ٣١٠/٧ . وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله ثقات

(٩) النهاية في غريب الحديث ٢٣٧/٢ .

ومنه ما ورد عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت : [قدمت علي أمي وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : نعم صلي أمك] (١) . أي طائعة تسأل شيئاً (٢) .

٤ - **الحرص والترفع :**

ومنه قوله تعالى : { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ .. } (٣) أي لايترفعون بأنفسهم عن نفسه بأن يصونوها عما لم يصنها عنه (٤) .

٥ - **الدعاء والتضرع :**

ومنه قوله تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً } (٥) .

وقوله تعالى : { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب } (٦) يريد أنه يضرع إليه راهباً من النار (٧) .

* * *

هذا وإن الرغبة بمعنى إرادة الشيء والحرص عليه هو المقصود في بحثي وهي درجة من درجات القصد .

---

(١) م ٦٩٦/٢ ك الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين .

(٢) لسان العرب ٤٢٢/١ .

(٣) سورة التوبة آية (١٢٠) .

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي ٢٢٤/١٦ ؛ تفسير ابن كثير ؛ فتح القدير ٤١/٢ ؛ روح المعاني ٤٦/١١ .

(٥) سورة الأنبياء آية (٩٠) .

(٦) سورة الشرح آية (٨) .

(٧) انظر: فتح القدير ٤٢٥/٣ ؛ تفسير ابن كثير ٥٩٠/٤ ؛ فتح القدير ٤٦٢/٥ ؛ روح المعاني ٨٧/١٧ .

الحث على الرغبة والثناء على الراغبين في القرآن والسنة :

١ - في مقام الثناء على آل نبي الله زكريا عليه السلام وصفهم الله بخير الصفات ومنها الرغبة (١) .

قال تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (٢) .

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.فالرغبة في الله،والرهبة منه، من الصفات التي أحبها الله من عباده ولذلك أثنى عليهم بها ومدحهم .

٢ - في مقام الحض على أن يتجه الإنسان برغبته في رحمة الله ونيل رضاه إلى الله عز وجل (٣) .

قال تعالى فيما أمر به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ } (٤) .

أي إجعل رغبتك إلى ربك دون سواه من خلقه .

٣ - ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن الله عز وجل أنه يباهي الملائكة بالمجاهد إذا فرَّ رفقاؤه من الحرب وهو ثابت « انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي .. » (٥) .

٤ - ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في الدعاء قبل النوم « اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك .. » (٦) فهذا تسليم كامل

---

(١) انظر : تفسير الطبري غير المحقق : ١٧/٨٤ ؛ تفسير ابن كثير ٤/٥٩٠ .

(٢) سورة الأنبياء آية (٩٠) .

(٣) انظر / تفسير الطبري غير المحقق ٣٠/٢٣٤ .

(٤) سورة الشرح آية (٨) .

(٥) سبق تخريجه (٣٩) .

(٦) سبق تخريجه (٣٩) .

لله تعالى وتفويض الأمر إلى الله عز وجل رغبة فيما عنده من الرحمة والرضى.

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التالية :-

١ - أن الرغبة يجب أن تكون في طاعة الله ورضاه، والعمل الصالح لنيل رحمة الله ورضاه .

٢ - الرغبة نوع من الإرادة . وعلى الإنسان أن يكون قوي الإرادة والرغبة في الوصول إلى مقصوده ومطالبه في الحياة إبتغاء مرضاة الله .

٣ - أن لايرجع الإنسان عن رغبته في نيل رضا الله، وذلك ماورد في الحديث القدسي فان المجاهد إذا فر رفقاؤه استمر لتحقيق رغبته فيما عند الله من الرجاء والرحمة .

٤ - أن التزام العبادة يزيد العبد قوة وإرادة ، ليحقق رغبته فيما عند الله من الأجر العظيم وذلك ماحض الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ } .

٥ - الإخلاص لله تعالى في توجيه الرغبة إليه وذلك ما أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء قبل النوم « اللهم أسلمت روحي اليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك . » ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

مما سبق يتبين أن الرغبة من درجات القصد في العمل، فإن العبد إذا قصد العمل، عليه أن يوجه رغبته فيما عند الله من الأجر والثواب العظيم، وأن يستعين على ذلك بالعبادة، والإقبال على الله تعالى بشتى وسائل القوى والطاعة .

[٣] النية

النية في اللغة :-

قصد الشيء والعزم عليه (١) .

قال الجوهري : [يقال نَوَيْتُ نِيَّةً ونَوَاة أي عزمتُ وانْتَوَيْتُ مثله ...

صرمَتْ أميمةُ خُلَّتي وصِلاتي .·. ونَوَتْ ولم تَنْتَوِ كَنَواتي

أي لم تنو فيَّ كما نويت في موَّدتها] (٢) .

قال ابن فارس [النون والواو والحرف المعتل أَصل صحيح يدل على معنيين :-

أحدهما : مَقْصَدٌ لشيء . والآخر عَجَمُ الشيء . فالأول النوى قال أهل اللغة: النوى التحول من دار إلى دار، هذا هو الأصل ثم حمل عليه الباب كله فقالوا : نوى الأمر ينويه إذا قصد له .

والأصل الآخر : النوى . نوى التمر وربما عبَّروا به عن بعض الأوزان] (٣)

النية في استعمالات القرآن والسنة :

١ - ورد استعمال (نوى) بمعنى عجمة التمر (٤) .

منه قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ } (٥) .

ومنه مارواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) انظر : الصحاح ٢٥١٦/٦ ؛ لسان العرب ٣٤٧/١٥ .

(٢) الصحاح ٢٥١٦/٦ .

(٣) مقاييس اللغة ٣٦٦/٥ .

(٤) انظر النهاية في غريب الحديث ١٣٢/٥،المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٣٦٥/٣ .

(٥) سورة الأنعام آية (٩٥) .

الدعاء قبل النوم « اللهم رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى .. » (١)

٢ - **وزن نواة التمر :**

منها ماورد عن عبدالرحمن بن عوف أنه تزوج امرأة على وزن نواة، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم بشاشة العرس فسأله : فقال (إني تزوجت امرأة على وزن نواة) وفي رواية (على وزن نواة من ذهب) (٢) .

لفظ النواة من ذهب عبارة عمّا قيمته خمسة دراهم من الوزن، ذكره ابن حجر عن عياض عن أكثر العلماء وجزم به الخطابي واختاره الأزهري (٣) .

٣ - **قصد الشيء والعزم عليه :**

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيّات وإنّما لكل امريء مانوى » (٤) .

النية : القصد وهي عزيمة القلب، ذكره ابن حجر وعزاه إلى النووي (٥) .

وعرّفه البيضاوي وأبو البقاء الكفوي [النية عبارة عن إنبعاث القلب نحو مايراه موافقاً لغرض من جلب نفع، أو دفع ضر حالاً ومآلاً . والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لإبتغاء رضى الله وامتثالاً لحكمه].

---

(١) م ٢٠٨٤/٤ ك الذكر باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع .
(٢) خ مع فتح الباري ٢٢١/٩ ك النكاح باب الوليمة ولو بشاة .
(٣) فتح الباري ٢٢١/٩ .
(٤) خ مع فتح الباري ٩/١ ك بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) فتح الباري ١٣/١ .

والنية في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده ...] (١) .

والمعنى المقصود من النية في هذا البحث ماكان بمعنى القصد والعزم .

* * *

النية ومجالاتها في القرآن والسنة :

ورد في القرآن الكريم نصوص تتضمن معنى النية ولم يرد استعمال النية بمعنى القصد في القرآن الكريم . ومما ورد في معناها :

١ - في معرض بيان حكم اليمين الجارية على اللِّسان قال تعالى : { لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (٢) .

قال أبو جعفر [... فالذي تكسبه قلوبهم من الإيمان هو ماقصدته وعزمت عليه على علم ومعرفة منها بما تقصده وتريده] (٣) .

٢ - في مقام بيان علاج الخلاف بين الزوجين قال تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً } (٤) .

والمراد من الإرادة : خلوص نيّتهما وقصدّهما وإصلاح ذات البين (٥) .

---

(١) انظر فتح الباري ١/١٣ ، الكلِّيات ٤/٣٥١ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٢٥) .

(٣) انظر تفسير الطبري المحقق ٤/٤٥٤ .

(٤) سورة النساء آية (٣٥) .

(٥) انظر: فتح القدير ١/٤٦٣ ؛ روح المعاني ٥/٢٧ ؛ إتحاف السادة ١٠/٤ .

٣ - في مقام الإقرار بأن كل إنسان يعمل بنيّته وقصده والله أعلم بنيّاتهم قال تعالى : { قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا } (١) .

وقوله : { قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ } أي على ناحيته وعلى ماينوي (٢) .

٤ - في مقام بيان أن النية مناط الأعمال مارواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إنّما الأعمال بالنّيات وإنّما لكل إمريء مانوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٣) .

وفي رواية « العمل بالنّيّة وإنّما لإمريء مانوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » (٤)

وفي رواية مسلم « إنما الأعمال بالنّيّة وإنما لإمريء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه » (٥) .

---

(١) سورة الإسراء آية (٨٤) .

(٢) انظر : تفسير الطبري غير محقق (١٥/١٥٤) .

قال ابن حجر [وتفسير الشاكلة بالنّيّة صح عن الحسن البصري ومعاوية بن قرّه المزني وقتادة. أخرجه عبد بن حميد والطبري عنهم] فتح الباري ١/١٣٦.

(٣) خ مع فتح الباري ١/٩ ك بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي .

(٤) خ مع فتح الباري ٩/١١٥ ك النكاح باب من هاجر أو عمل خيراً ليتزوج إمرأة فله مانوى .

(٥) م ٣/٥١٥ ك الأمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم (إنمّا الاعمال بالنّيّة) .

قال ابن حجر [وردت بعض الروايات بالجمع (إنما الاعمال بالنّيّات) وهو من مقابلة الجمع بالجمع أي كل عمل بنيته . وورد في بعض الروايات بإفراد =

٥ - ومنه ماارواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة واذ استنفرتم فانفروا » (١)

٦ - ومنه ماورد عن عائشه وأم سلمة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قالت : قلت يارسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم قال : يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نيّاتهم » (٢) .

وفي رواية عن مسلم لأم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعوذ عائذ بالبيت فيبعث اليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت يارسول الله فكيف بمن كان كارهاً . قال : يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيّته » (٣) . وهذا يثبت أن الشر يعم

= (النية) ووجهه أن محل النيّة القلب وهو متحد فناسب إفرادها بخلاف الأعمال فإنها متعلقة بالظواهر وهي متعددة فناسب جمعها . ولأن النيّة ترجع إلى الإخلاص وهو واحد للواحد الذي لا شريك له ..] انظر : فتح الباري ١٢/١ (بتصرف) .

(١) خ مع فتح الباري٣٧/٦ك الجهاد باب وجوب النفير ومايجب من الجهاد والنّية م ٤٨٧/٣ ك الأمارة باب المبايعة بعد فتح مكه .

قوله (ولكن جهاد ونيّة) قال ابن حجر [قال الطيبي وغيره هذا الإستدراك يقتضي مخالفة حكم مابعده لما قبله . والمعنى : أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت إلاّ أن المفارقة بسبب نيّة صالحة كالفرار من دار الكفر، والخروج في طلب العلم، والفرار بالدين من الفتن والنيّة في جميع ذلك] فتح الباري ٣٧/٦ .

(٢) خ مع فتح الباري ٣٣٨/٤ ك البيوع باب ماذكر في الأسواق .

(٣) م ٢٢٠٩/٤ ك الفتن باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت .

والخير يخص وأن الأعمال تعتبر بنيّة العامل .

ومما ورد في معنى النيّة :-

١ - ما رواه أبو مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقه » (١) . أفاد مفهوم الحديث أن الأمر في الإنفاق إنما يحصل بقصد القربة .

٢ - ماورد في رواية عامر بن سعد عن سعد ابن أبي وقاص أنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله إلاّ أجرت عليها حتى ماتجعل في فيّ امرأتك » (٢) .

٣ - مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٣).

ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أنما تكون على نيّة العبد وعمله دون الشكل الظاهر من العبد (٤) .

---

(١) خ مع فتح الباري ١٣٦/١ ك الإيمان باب ماجاء أن الاعمال بالنيّة والحسبة .

(٢) خ مع فتح الباري ١٣٦/١ ك الإيمان باب ماجاء أن الاعمال بالنيّة والحسبة . قال ابن حجر [قال القرطبي : أفاد منطوقه أن الأجر في الإنفاق إنما يحصل بقصد القربة سواء كانت واجبة أو مباحة وأفاد مفهومه أن من لم يقصد القربة لم يؤخذ لكن تبرأ ذمته من النفقة الواجبة لأنها معقولة المعنى ..] فتح الباري ١٣٦/١ .

(٣) م ١٩٨٧/٤ ك البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله وإحتقاره ودمه وعرضه وماله .

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢١/١٦ . قال النووي [أن الأعمال الظاهرة لايحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك =

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التالية :

١ - أن النية مناط الأعمال وأن الأعمال تعتبر فيها النية وذلك مادل عليه قوله تعالى : { لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ . . } (١) .

والمراد بقوله { بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } أي ماقصدته وعزمت عليه على علم ومعرفة منها بما تقصده وتريده (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « إنّما الأعمال بالنّيات » وقد ترجم البخاري باباً في ذلك وقال [باب ماجاء أن الأعمال بالنّية والحسبة ولكل امريء مانوى فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصيام والأحكام . قال تعالى : { قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ } (٣) . على نيته نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة . ولكن جهاد ونيّة] (٤) .

٢ - إنّ الأجر والجزاء يوم الحساب يكون على ماتقصده القلوب وتقوم عليه وذلك مادل عليه قوله تعالى : { قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ } (٥) أي على ناحيته وقصده (٦) .

= على ما في القلب دون الصور الظاهرة ونظر الله ورؤيته محيط بكل شيء . ومقصود الحديث الإعتبار في هذا كله بالقلب] .

(١) سورة البقرة آية (٢٢٥) .

(٢) تفسير الطبري المحقق ٤/٤٥٤ .

(٣) سورة الإسراء آية (٨٤) .

(٤) خ مع فتح الباري ١/١٣٥ .

(٥) سورة الإسراء آية (٨٤) .

(٦) تفسير الطبري غير المحقق ١٥/١٥٤ .

وقوله تعالى : { لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ .. } (١) . والذي تكسبه القلوب هو ماتقصده وتعزم عليه .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الجيش الذي يغزو الكعبة (يبعثون على نيَّاتهم) فإذا بعثوا على نيَّاتهم وقعت المؤاخذة على المختار دون المكره(٢).

٣ - أن صحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنِّية وإن النِّية هي الفاصلة بين مايصح وما لاصح (٣) .

٤ - النيِّة أبلغ من العمل ولهذا تقبل النِّية بغير عمل كما ورد في الحديث « من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همَّ بحسنة فعملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف ، ومن همَّ بسيِّئه فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت » (٤) .

قال الإمام العيني [تقبل النِّية بغير العمل فإذا نوى حسنة فإنه يجزى عليها ولو عمل حسنة بغير نية لم يجز بها] (٥) .

٥ - أن الهجرة بمعنى مفارقة الوطن مازالت باقية بحسب النيِّة،فالهجرة بسبب الجهاد،أو بسبب طلب العلم،أو الفرار بالدين من الفتن،مازالت قائمة.أما الهجرة التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت بفتح مكه (٦) .

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢٥) .

(٢) فتح الباري ١١٥/٤ .

(٣) عمدة القاري ٣٠/١ .

(٤) م ١١٨/١ ك الإيمان باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت له وإذا همَّ بسيِّئة لم تكتب له .

(٥) عمدة القاري ٥٣/١ .

(٦) فتح الباري ٣٧/٦ .

وذلك ما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة ».

٦ - أن الأعمال الظاهرة لايحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته وذلك مادل عليه قوله صلى الله وسلم «إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

قال النووي [ومعنى نظر إليه هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة ..] (١) .

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢١/١٦ .

المطلب الخامس [البواعث النفسية]

[أ] الهـــوى

الهوى في اللغة :

الهوى مقصورة وردت في معان ..

١ - ميل النفس إلى الشهوات :

ويجمع على أهواء يقال : هوِى يَهْوَى هوىً شديداً . وإذا أضفته إليك قلت هواي (١) .

٢ - العشق ويكون في الخير والشر : (٢)

٣ - المحبـة : (٣)

قال الشاعر :

أراك إذا لم أهوى أمراً هويته .·. ولست لما أهوى من الأمر بالهوى (٤)

ويقال هو من أهل الأهواء صفة ذم .

قال ابن فارس [الهاء والواو والياء أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء وسمّي لخلوّه، وأما الهوى هوى النفس فمن المعنيين جميعاً لأنه خالٍ من كل خير ، ويهوي بصاحبه فيما لاينبغي] (٥) .

---

(١) انظر: الصحاح ٢٥٣٧/٦ ؛ جمهرة اللغة ١٨٣/٤ ؛ أساس البلاغة/٤٨٩ ؛ لسان العرب ٣٧٢/١٥ ؛ بصائر ذوي التمييز ٣٥٩/٥ .

(٢) انظر: لسان العرب ٣٧٢/١٥ ؛ القاموس المحيط ٤٠٤/٤ ؛ بصائر ذوي التمييز ٣٥٩/٥ .

(٣) انظر الصحاح ٢٥٣٨/٦ ؛ أساس البلاغة/ ٤٨٩ .

(٤) انظر المراجع السابقة .

(٥) مقاييس اللغة ١٦/٦ .

٤ - **إرادة النفس : (١)**

الهوى في استعمالات القرآن والسنة :

وردت مادة (هوى) في القرآن والسنه على وجوه منها :

١ - **الشهوة وميل النفس إلى ماتستلذه :**

ومنه قوله تعالى { وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } (٢) وقوله تعالى : { وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } (٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » (٤) .

ومنه مارواه البخاري عن الحسن تعليقاً أنه قال [أَخذ الله على الحكّام، أن لايتبعوا الهوى، ولايخشون الناس، ولا يشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، ثم قرأ { يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } (٥)] (٦) .

٢ - **السقوط :**

منه قوله تعالى : { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى } (٧) أي سقط (٨) .

---

(١) انظر: القاموس المحيط ٤/٤٠٤ ؛ بصائر ذوي التمييز ٥/٣٥٩ .

(٢) سورة النازعات آيه (٤٠) .

(٣) سورة النجم آيه (٢٣) .

(٤) ت ٤/١٣٨ ك القيامة باب (٢٥) وقال عقبه حديث حسن .

(٥) سورة ص آيه (٢٦) .

(٦) خ مع فتح الباري ١٣/١٤٦ ك الأحكام باب متى يستوجب الرجل القضاء .

(٧) سورة النجم آيه (١) .

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٦/٤٤١ ؛ اصلاح الوجوه والنظائر /٤٧٩ .

٣ - **الهلاك :**

منه قوله تعالى : { وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ } (١) يعني هلك (٢)

٤ - **الهواء الشيء القائم بين الصدر والحلق :**

منه قوله تعالى : { لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ } (٣) يعني الكفار وهواء .. الشيء القائم بين الصدر والحلق فلا يخرج من الحلق ولا يرجع إلى الصدر (٤) .

٥ - **الذهاب بالشيء :**

قوله تعالى:{ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } (٥) يعني تذهب به (٦)

٦ - **المحبة :**

ومنه حديث « يأخذ كل واحد من البيع ماهوى » أي ما أحب (٧) .

ومنه قول عمر رضي الله عنه في قصة أسارى بدر : [فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي قال أبو بكر ولم يهو ماقلت] (٨) .

من المعاني السابقة فإن المقصود في هذا البحث،الهوى بمعنى ماتستلذه النفس،وتميل إليه من الشهوات،من غير داعية الشرع (٩) . لأن جميع المعاصي إنما تنشأ من اتباع الهوى .

---

(١) سورة طه آيه (٨١) .

(٢) انظر : الأشباه والنظائر للبلخي /٣٢٦ ؛ إصلاح الوجوه والنظائر/٤٨٠ .

(٣) سورة ابراهيم آيه (٤٣) .

(٤) انظر : الأشباه والنظائر/ ٣٢٦ ؛ إصلاح الوجوه والنظائر /٤٨٠ .

(٥) سورة الحج آيه (٣١) .

(٦) الأشباه والنظائر : ٣٢٦ ؛ إصلاح الوجوه والنظائر /٤٨٠ .

(٧) ن ٢٥١/٧ ك البيوع باب (١٠) ، مستدرك الحاكم ١٦/٢ ك بيوع وقال صحيح على شرطهما،وأقره الذهبي ، المعجم الكبير للطبراني ٢٤٤/٧ .

(٨) انظر: فتح المبين بشرح الاربعين /٢٧٩ ؛ جامع العلوم والحكم /٣٤١ .

(٩) المفردات /٥٤٨٠ ؛ الكليات ٨٣/٥ .

ذم الهوى وأضراره في نصوص القرآن والسنة :

ورد ذم إتباع الهوى، وتقريع من إتبع هواه، وبيان سوء عاقبته، في مواضع منها :

١ - في مقام تقريع اليهود وتوبيخهم على إتباع هواهم وشهواتهم وتكبرهم على الحق (١)

قال تعالى : { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ } (٢) وقال تعالى : { كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ } (٣) .

٢ - في مقام تسفيه آراء المشركين، والتبكيت بهم، وبيان أن لا فائدة من دعوتهم لأنهم إتبعوا أهواءهم، وجعلوها لهم آلهة ينقادون لها، ويعرضون عن سماع الحجج والبراهين الواضحة - والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٤) .

قال تعالى: { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً } (٥) .

٣ - في مقام التحذير من إتباع الهوى والأمر بإتباع الحق في الحكم بين الله عز وجل أن إتباع الهوى سبب الضلال واستحقاق العذاب الشديد (٦) .

قال تعالى : { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } (٧) .

---

(١) انظر روح المعاني ٣١٩/١ ؛ المنار ٣٧٧/١ .

(٢) سورة البقرة آية (٨٧) .

(٣) سورة المائدة آية (٧٠) .

(٤) انظر تفسير المراغي ٢٠/١٩ .

(٥) سورة الفرقان آية (٤٣) .

(٦) انظر تفسير المراغي ١١٢/٢٣ .

(٧) سوره ص آية (٢٦) .

ومنه ما أخرجه البخاري بسنده عن الحسن أنه قال [أخذ الله على الحكام ألا يتبعوا الهوى ولايخشون الناس ولايشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، ثم قرأ { يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }] (١) .

٤ - في مقام بيان أن إتباع الهوى سبب الغفلة عن ذكر الله لسوء استعداد النفس وإتباع الشهوات (٢) قال تعالى : { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } (٣) .

٥ - في مقام التبكيت بمن إتبع هواه وبيان استحقاقه الضلال عن هداية الله (٤). قال تعالى : { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٥) .

٦ - في بيان سوء عاقبة من إتبع هواه بغير حجة من كتاب الله ولا سنة رسوله

---

(١) سبق تخريجه ص (٥٤) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣٨٣/٤ ؛ تفسير القرطبي ٣٩٢/١٠ .

(٣) سورة الكهف آية (٢٨) .

قوله {ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا } أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا وختمنا على قلبه بالغفلة عن التوحيد { واتبع هواه } اشرك بالله { وكان أمره فرطاً } من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان .

قال ابن كثير [أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولاتكن مطيعاً له ولا محباً لطريقته ولاتغبط بما هو فيه] انظر المراجع السابقة .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢٨٧/٥ .

(٥) سورة القصص آية (٥٠) .

والمعنى [فإن لم يجيبوك عمّا قلت لهم ولم يتبعوا الحق فاعلم أنما يتبعون أهواءهم بلا دليل ولا حجة ومن أظلم ممن إتبع هواه بغير حجة مأخوذة من كتاب الله إن الله لايهدي القوم الظالمين] انظر تفسير ابن كثير ٢٨٧/٥ .

وأنه استحق الخسران في الدنيا والآخرة منها .

(١) قوله تعالى : { فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ } (١) .

(٢) في مقام التهديد، والوعيد الشديد، لمن يتبع هوى أهل الباطل، ومحاولة استرضائهم، وبيان سوء عاقبتهم (٢) .

قال تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (٣) .

وقال تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ } (٤) .

وقال تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ } (٥) .

وقال تعالى :{ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } (٦)

وقال تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (٧) .

---

(١) سورة طه آية (١٦) .

والمعنى [لاتتبعوا سبيل من كذَّب بالساعة، وأقبل على ملاذه في دنياه، وعصى ربه، واتبع هواه، فمن وافقهم فقد خاب، وخسر، وتردَّى في الهلاك] ؛ تفسير ابن كثير ٥٠١/٤ .

(٢) انظر تفسير المراغي ١١٣/١٣ ؛ المنار ٤٤٥/١ ؛ ١٨/٢ .

(٣) سورة البقرة آية (١٢٠) .

(٤) سورة البقرة آية (١٤٥) .

(٥) سورة الرعد آية (٣٧) .

(٦) سورة محمد آية (١٦) .

(٧) سورة الجاثية آية (٢٣) .

٧ - في مقام الثناء على من خالف هواه، واتبع ما أمر الله به، وذم من إتبع هواه وبيان حسن عاقبة من خالف هواه واتبع أمر الله (١) .

قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » (٣) .

وفي هذا دلالة على أن من إتخذ إلهه هواه، واتبع هواه، فهو خارج عن صفة الإيمان التي دل عليها قوله صلى الله عليه وسلم . والمراد من قوله في الحديث (لايؤمن) [هو نفي لتمام الإيمان عمن إتبع هواه فيما أمر الله ورسوله ونهى عنه، فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ورسوله

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢١٠/٧ .

(٢) سورة النازعات آية (٤٠، ٤١)

(٣) شرح السنة ٢١٣/١ ك الإيمان باب رد البدع والأهواء .

قال المحقق [إسناده ضعيف] وقال ابن رجب [تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه منها أنه حديث يتفرد به نعيم بن حماد المروزي ..] جامع العلوم والحكم /٣٣٨ .

وقال ابن حجر في كتابه فتح المبين [حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح . ويؤيده أن الحافظ أبا نعيم اخرجه في كتابه الأربعين التي شرط أولها أن يكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار ومما أجمع الناقلون على عدالة ناقله وخرّجه أئمة آخرون في مسانيدهم كالطبراني وزاد بعد (به) (لايزيغ عنه) والحافظ ابن أبي عاصم الأصبهاني لكن اعترض على بعضهم تصحيحه بقوادح أبداها في سنده حاصلها أنه تعارض في اثنين من رجاله، توثيق، وتجريح، وتعيين، وإيهام، ولاشك أن التعيين مقدم وكذا التوثيق من الأعلم، الأدرى، ولايبعد أنه هنا لذلك كيف والبخاري أخرج له ووثقه آخرون] فتح المبين /٢٧٩ .

محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه وأن يكره ماكرهه الله تعالى ورسوله كراهة توجب له الكف عمّا حرم عليه منه] (١) .

قال ابن حجر الهيثمي [إذ من أحب شيئا اتبعه هواه ، ومال عن غيره إليه ، ومن ثمّ آثر النبي صلى الله عليه وسلم التعبير بذلك على نحو ، حتى يأتمر بكل ماجئت به ، لأن المأمور بالشيء قد يفعله اضطراراً ، واعلم أن الهوى يميل بالإنسان بطبعه إلى مقتضاه ، ولا يقدر على جعله تبعاً لما جاء به صلى الله عليه وسلم إلاّ كل ضامر مهزول] (٢) .

ومنه مارواه شدّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني » (٣) .

ومنه ما أخرجه أبو داود بسنده عن أبي أمية الشعباني - واسمه يُحْمُد شامي - قال : سألت أبا ثعلبة الخشني (٤) فقلت يا أبا ثعلبة ، كيف تقول في هذه الآية : { عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُم } قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً . سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً . ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك - يعني بنفسك - ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر الصبر فيها مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم /٣٣٩ (بتصرف) .

(٢) انظر : الفتح المبين / ٢٧٩ .

(٣) ت ١٣٨/٤ ك القيامة .

(٤) أبي ثعلبة الخشني - إسمه فيه اختلاف كثير - قيل جرثومة ، وقيل . جرهم وقيل . عمرو وقيل الأشر وقيل الأشق وقيل غير ذلك] انظر مختصر سنن أبي داود (١٨٩/٦) . الآية: سورة المائدة آية (١٠٥) .

يعملون مثل عمله وزادني غيره قالوا : يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم » (١) .

من النصوص السابقة تجلّت الحقائق التالية :

أن إتباع الهوى دليل على مرض القلب،لأن في إتباع الهوى ضعفا للنفوس عن تحمّل حرمانها من المحظورات،وبالتالي فإنّها تسير في ضلال مبين .

وإتباع الهوى سبب في إرتكاب المعاصي،والمحرمات، وهو يلحق بالعبد أضراراً جسيمة في الدنيا والآخرة .

أما الأضرار الدنيوية فمنها :

١ - غفلة القلب عن ذكر الله وذلك دليل على ظلمة النفس،لأن ذكر الله نور في القلب ينير الطريق،ويجعل العبد يرى الحق من الضلال،وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .. } الآيه تفيد التحذير من أمرين :

الأول : { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ } .

الثاني: لاتطع من إتبع هواه فهي تحذير من إتباع الهوى .

٢ - أن إتباع الهوى سبب للتفريط في الأعمال،والأقوال،وإرتكاب المحرمات، والمنهيّات،وعدم كبح جماح النفس عن شهواتها،لضعف النفوس عن ذلك وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } .

٣ - أنه سبب الضلال عن طريق الحق وذلك مادل عليه قوله تعالى في خطابه لداود عليه السلام :

---

(١) د مع مختصره ١٨٨/٦ ك الملاحم باب الأمر والنهي .
قال المنذري [وأخرجه الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حسن غريب] .
جه ٣٨٤/٢ أبواب الفتن باب في قوله تعالى (يأيها الذين امنوا عليكم أنفسكم) .

{ ... فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ... } .

وقوله تعالى : { ... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ... } .

٤ - وصم من إتبع هواه بصفة الظلم وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ } وذلك فيمن إتبع أهواء أهل الكتاب وجعل هواه وفقاً لهم .

وقوله تعالى : { ... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } .

٥ - التردي في الهلاك في الدنيا والآخرة . وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى } .

٦ - حرمانه الولي والنصير من الله في الدنيا وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } .

وقوله تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ } .

٧ - الختم على قلبه وسمعه وبصره فلا يرى الحق ولا الهدى وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } .

وأما الأضرار الأخروية فمنها :

١ - إستحقاق من إتبع هواه ماتوعدهم به الله عز وجل من العذاب الشديد وذلك مادل عليه قوله تعالى في خطابه لداود عليه السلام بأن لايتبع الهوى في حكمه { ... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } .

٢ - التردي في الهلاك يوم القيامة وذلك ما دلّ عليه قوله تعالى : { ... وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى } .

٣ - حرمانه نعيم الجنة وذلك مادل عليه قوله تعالى فيمن خاف مقام ربه (والحساب) ونهى نفسه عن هواها (بأنه يستحق الجنة وهذا يدل على أن من أتبع نفسه هواها حرم ذلك النعيم لقوله تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } .

٤ - حرمانه ولاية الله ونصرته يوم القيامة لقوله تعالى : { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } .

[٣] الشهـوة

الشهوة في اللغة :

توقان النفس وميل الطباع إلى المشتهى وليست من قبيل الإرادة (١) .

ويجمع على (شهوات) وهو ميل جبلّي غير مقدور للبشر (٢) .

والفرق بين الشهوة والهوى : - أن الهوى لطف محل الشيء من النفس، مع الميل إليه بما لاينبغي، ولذلك غلب على الهوى صفة الذم، وقد يشتهى الإنسان الطعام ولا يهوى الطعام (٣) .

الشهوة في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال الشهوة بمعنى إنفعال النفس بسبب الشعور بالحاجة إلى ماتستلذه وتميل إليه مما وافق الشرع ومما يخالف الشرع .

الأول : مما وافق الشرع :

، قوله تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } (٤) . فهذه الشهوات هذه مباحة وهي من متاع الدنيا ولكن الإنهماك فيها منهي عنه .

ومنه ماورد في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال[خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غـزوة بنـي المصطلق فأصبنا سبيـاً من سبـي العـرب

---

(١) انظر : الفروق اللغوية (٩٨) ؛ المصباح المنير (٣٢٦) ؛ لسان العرب ٤٤٥/١٤.
(٢) الكلّيات ١٠٥/١ .
(٣) انظر الفروق اللغوية (١٠١) .
(٤) سورة آل عمران آية (١٤) .

(القناطير) جمع قنطار وقد إختلف أهل التأويل في تحديد مقداره. وقال ابن جرير [إن العرب لاتحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن ولكنّها تقول (هو قدر وزن)] تفسير الطبري المحقق ٢٤٩/٦ .

فاشتهينا النساء فاشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ماعليكم ألا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة » (١) .

ومنه مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال [ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً قط إن إشتهاه أكله وإن كرهه تركه] (٢) .

الثاني : مما خالف الشرع :

١ - قوله تعالى : { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً } (٣)

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» (٤) .

والمراد بالشهوات : مايستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه، إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات، ويلتحق بذلك

---

(١) خ مع فتح الباري ١٧٠/٥ ك العتق باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع .

(٢) خ مع فتح الباري ٥٤٧/٩ ك الأطعمة باب ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً قط .

م ١٦٣٢/٣ ك الأشربة باب لايعيب طعام .

(٣) سورة النساء آية (٢٧) .

[قوله (ويريد الذين يتبعون الشهوات) الذين يطلبون لذات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها (أن تميلوا) عن أمر الله تبارك وتعالى فتجوروا عنه بإتيانكم ماحرم عليكم وركوبكم معاصيه (ميلاً عظيماً) جوراً وعدولاً عنه شديداً] .

انظر تفسير الطبري المحقق ٢١٢/٨ .

(٤) خ مع فتح الباري ٣٢٠/١١ ك الرقاق باب حجبت النار بالشهوات .

م ٢١٧٤/٤ ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها . بلفظ (حفت) .

الشبهات والإكثار مما أبيح خشية أن يوقع في المحرم، أو يقسي القلب، أو تشغل عن الطاعات (١) .

الثالث : المحبة :

منه ما أخرجه الشيخان بسندهما عن عبدالله أنه قال قال رسول اله صلى الله عليه وسلم « اقرأ علي قال : قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري » (٢) وفي رواية « قال إني أحب أن أسمعه من غيري » (٣)

* * *

هذا وإن المعنى المقصود في هذا البحث هو إتباع الشهوات مما تستلذه النفس مما نهى الشرع عنه وأن كل خطيئة أصلها إتباع الشهوات .

---

(١) انظر فتح الباري ٣٢٠/١١ ؛ زاد مسلم ١٧٢/١ .

(٢) خ مع فتح الباري ٩٨/٩ ك فضائل القرآن باب البكاء عند قراءة القرآن .
م ٥٥١/١ ك صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن .

(٣) خ مع فتح الباري ٩٨/٩ ك فضائل القرآن باب البكاء عند قراءة القرآن .

ذم إتباع الشهوات وأضرارها في القرآن والسنة :

١ - في مقام استئناس نفوس المؤمنين، واستنزال نفوسهم إلى الامتثال لأحكامه، والتنبه إلى دخائل أعدائهم، ليعلموا الفرق بين مراد الله الخالق، ومراد أعوان الشياطين أعدائهم، الذين يتبعون الشهوات (١) .قال تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً } (٢) .

٢ - في مقام الترهيب من الاقبال على شهوات الدنيا وملذاتها، وبيان أنها سبب للتفريط فيما عند الله من النعيم المقيم، وسبب لتحقق الخسارة في الآخرة (٣) . قال تعالى : { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً } (٤) .

٣ - في معرض التشويق والترغيب فيما عند الله من الشهوات الأبدية، واللذات التي لاتنقطع، ورد في بيان نعيم الجنة، وذلك جزاء من زهد في شهوات الدنيا الفانية، بأن جعل الله له شهوات أبدية وملذات دائمة .

١ - قال تعالى:{ وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَدَّعُونَ } (٥) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٥٢ ؛ التحرير والتنوير ٥/١٨ - ٢١ .

(٢) سورة النساء آية (٢٦،٢٧) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٦٩ ؛ التحرير والتنوير ١٦/١٣٤ .

(٤) سورة مريم آية (٥٩) .

قال ابن عاشور [.. الإضاعة مجاز في التفريط بتشبيهه بإهمال العرض النفيس فرطوا في عبادة الله واتبعوا شهواتهم فلم يخالفوا ماتميل إليه أنفسهم مما هو فساد ..] ؛ التحرير والتنوير ١٦/١٣٤ .

(٥) سورة فصلت آية (٣١) .

٢ - وقال تعالى : { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ } (١) .

٣ - وقال تعالى : { وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ } (٢) .

٤ - وقال تعالى : { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ } (٣) .

٤ - ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره » (٤) .

قال ابن حجر [قال العلماء : هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وبديع بلاغته التي أوتيها عليه الصلاة والسلام من التمثيل الحسن، ومعناه : لايوصل إلى الجنة إلاّ بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب] (٥) .

من النصوص السابقة تجلّت الحقائق التالية :

١ - أن إتباع الشهوات المباحة والانهماك فيها سبب من أسباب التلهي عمّا به الفوز في الآخرة (٦) وذلك مادلّ عليه :

---

(١) سورة الزخرف آية (٧١) .

(٢) سورة الطور آية (٢٢) .

(٣) سورة المرسلات آية (٤١، ٤٢)

(٤) سبق تخريجه ص (٦٥) .

قوله (حجبت) [أي غطيت بها فكانت الشهوات سبباً للوقوع في النار] فتح الباري ٣٢٠/١١ .

(المكاره) [ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً، وتركاً، كالإتيان بالعبادات على وجهها، والمحافظة عليها، واجتناب المنهيّات قولاً، وفعلاً، وأطلق عليها المكاره، لمشقتها على العامل، وصعوبتها عليه ..] انظر فتح الباري ٣٢٠/١١ ؛ زاد المسلم ١٧٢/١ .

(٥) انظر : فتح الباري ٣٢٠/١١ ؛ زاد المسلم ١٧٢/١ .

(٦) انظر السراج المنير ٢٠٠/١ ؛ التحرير والتنوير ١٧٨/٣ .

قوله تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ . . . ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } .

٢ - أن إتباع الشهوات من أسباب الانحراف والبعد عن طريق الحق (٢) وذلك ما أشار إليه قوله تعالى : { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً } .

٣ - أن الإقبال على الشهوات يؤدي للتفريط فيما عند الله من النعيم المقيم ويسبب الخسران المبين يوم القيامة (٣) وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً } .

قال ابن عاشور [.. الإضاعة مجاز في التفريط بتشبيهه بإهمال العرض النفيس فرّطوا في عبادة الله واتبعوا شهواتهم فلم يخالفوا ماتميل إليه أنفسهم مما هو فساد ..] (٤) .

٤ - أن إتباع الشهوات من الأسباب التي تفضي بصاحبها إلى النار، وإن قيام الإنسان بالتكاليف التي كلّفه الله بها مع كونها لا تتفق مع ماتشتهيه بعض النفوس التي ترغب في تحقيق ماتستلذه من الرّاحة والدّعة سبب في إكرامه بالجنة، وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « حجبت النار بالشّهوات وحجبت الجنة بالمكاره » .

قال النووي[وأما الشّهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر أنّها الشّهوات

---

(١) انظر السراج المنير ٢٠٠/١ ؛ التحرير والتنوير ١٧٨/٣ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ١٨/٥ - ٢١ ؛ تفسير شلتوت /١٠٩ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ١٦٤/١ .

(٤) المرجع السابق .

المحرّمه كالخمر، والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والغيبة، واستعمال الملاهي، ونحو ذلك وأمّا الشّهوات المباحة فلا تدخل في هذه، لكن يكره الإكثار منها مخافة أن يجر إلى المحرّمة، أو يقسي القلب، أو يشغل عن الطاعات، أو يحوج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا للصرف فيها ونحو ذلك] (١) .

٥ - حرمان المنهمك في إتباع الشهوات الذي يحرص على اكتساب كل ماتستلذه نفسه من متاع وملذات مما أدى به إلى التفريط في جنب الله ، حرمانه من نعيم الجنة وما أعده الله فيها من الشهوات الأبدية التي جعلها فيها . وذلك مادلت عليه نصوص نعيم الجنة وقوله تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَامَاتَدَّعُونَ } .

وقوله صلى الله عليه وسلم : { ... سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : أدخل الجنه . فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له :-

أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت رب . فيقول : لك ذلك ومثله . ومثله ومثله ومثله . فقال في الخامسة . رضيت رب . فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك فيقول رضيت رب) (٢) .

---

(١) انظر : شرح صحيح مسلم ١٧/١٦٥ ؛ زاد المسلم ١/١٧٢ .

(٢) م ١/١٧٦ ك الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

[٣] العنـاد

العناد في اللغة :

معارضة الحق بالخلاف

قال الأزهري [المعاند المعارض بالخلاف لا بالوفاق] (١)

يقال رجل عنيد ومعاند وهو الذي يعرف الحق فيأباه، ويكون منه في شق ، من العند وهو الجانب (٢) .

قال الجوهري [عنِد يعنِد بالكسر عَنُوداً أي خالف وردَّ الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند] (٣) .

وقال ابن فارس [العين والنون والدال أصل صحيح واحد يدل على مجاوزة وترك طريق الاستقامة ، قال الخليل : عَنَدَ الرجل وهو عَانِد يَعْنُد عُنوداً إذا عتا وطغى وجاوز قدره . ومنه المعانَدة وهي أن يعرف الرجل الشيء ويأبى أن يقبله . يقال عَنَدَ فلان عن الأمر إذا حاد عنه] (٤) .

العناد في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال كلمة (عند) بمعنى طغا وجاوز الحد في العصيان (٥) .

ومنه قوله تعالى : { وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } (٦) .

---

(١) تهذيب اللغة ٢/٢٢٢ .

(٢) أساس البلاغة /٣١٤ .

(٣) الصحاح ٢/٥١٣ .

(٤) مقاييس اللغة ٤/١٥٣ .

وانظر : جمهرة اللغة ٢/٢٨٣ ؛ تهذيب اللغة ٢/٢٢٢ ؛ الصحاح ٢/٥١٣ ؛ المصباح المنير /٤٣١ ؛

(٥) انظر : تفسير الطبري المحقق ١٥/٣٦٦ ؛ روح المعاني ١٢/٨٧ .

(٦) سورة هود آية (٥٩) .

وقوله تعالى : { أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ } (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً » (٢) .

قال ابن الاثير [العنيد : الجائر عن القصد، الباغي الذي يرد الحق مع العلم به] (٣) .

ومنه (إنه عرق عاند) (٤) في حديث المستحاضة . شبه به لكثرة مايخرج منه على خلاف عادته، وقيل العاند (٥) الذي لايرقأ .

مما سبق من تعريف العناد يتضح أنه باعث نفسي يؤدي إلى تفشي أمراض النفوس ويؤدي إلى الخسارة والضلال لأنه معرفة للحق ومخالفته .

ذم العناد وبيان مساوئه في نصوص القرآن والسنه :

١ - في معرض ذكر جحود قوم عاد لدعوة نبيهم بين عز وجل أن سبب مانزل بهم من بلاء هو عنادهم وإنكارهم لدعوة نبيهم (٦) .

---

(١) سورة ق آيه (٢٤) .

(٢) جه ٢/٢٣٣ ابواب الاطعمه باب الاكل متكئاً .وقال المحقق [قال البوصيري إسناده صحيح] .

(٣) النهايه في غريب الحديث ٣/٣٠٨ .

(٤) النهايه في غريب الحديث ٣/٣٠٨ .

النهاية ١/١١٦ ك الطهاره باب ذكر الإغتسال من الحيض . جمع الروايات ذكرت بلفظ (عرق) ولم تذكر (عائد) .

(٥) ن ١/١٨٤ ك الحيض باب جمع المستحاضه بين الصلاتين .

(٦) انظر : تفسير الطبري المحقق ١٥/٣٦٦ ؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢/٤٠ ؛ روح المعاني ١٢/٨٧ ؛ تفسير المراغي ١٢/٥١ ؛ التحرير والتنوير ١٢/١٠٥ .

قال تعالى : { وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ . أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ } (١) .

٢ – في مقام بيان ماستحقه الذين كفروا بدعوة رسلهم بأن هلكوا وخسروا في الدنيا والآخرة (٢) . قال تعالى : { وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } (٣) .

٣ – في معرض حكاية مصير الكافر العنيد يوم الحشر قال تعالى موجهاً خطابه للملكين السائق والشهيد (٤) { أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ } (٥) .

٤ – في معرض التنديد بجحود الوليد بن المغيرة وتهديده بالوعيد الشديد الذي سيلقاه عندالله بيّن عز وجل أن سبب كفره وجحوده إنما هو العناد (٦) .
قال تعالى : { كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } (٧) .

٥ – وفي بيان سوء عاقبة ومآل العنيد قوله صلى اله عليه وسلم « تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصوّرين » (٨) .

---

(١) سورة هود آية (٥٩-٦٠)
(٢) انظر/ تفسير الطبري المحقق ٥٤٢/١٦ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١١٤/١٣ ؛ روح المعاني ٢٠١/١٣ .
(٣) سورة إبراهيم آية (١٥) .
(٤) انظر: روح المعاني ١٨٥/٢٦ ؛ تفسير المراغي ١٦٣/٢٦ ؛ التحرير والتنوير ٣١٢/٢١ .
(٥) سورة ق آية (٢٤) .
(٦) انظر : روح المعاني ١٥٣/٢٩ ؛ تفسير المراغي ١٣٢/٢٩ .
(٧) سورة المدثر آية (١٦) .
(٨) ت : ٧٠١/٤ ك صفة جهنم باب ما جاء في صفة جهنم . وقال أبو عيسى حديث حسن غريب صحيح .

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التالية :

١ - أن العناد سبب من الأسباب التي تؤدي الى الكفر بالله، والردّة عن الدين، وذلك مادل عليه قوله تعالى : { إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } وذلك في بيان سبب كفر الوليد بن المغيره وقد ترجم البخاري في صحيحه كتاباً بعنوان كتاب إستتابة المرتدين والمعاندين .

وهذا دليل على أن العناد من الأسباب التي تؤدي الى الكفر والردة عن الدين .

٢ - إستحقاق المعاندين اللعن في الدنيا والآخرة وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

٣ - تحقق الخسارة والهلاك لهم في الدنيا والآخرة كما أشار إليه قوله تعالى : { وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } بمعنى هلك وخسر كل متكبر جائر حائد عن الاقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له (١) .

٤ - أن العناد أثر من آثار التجبر والمتجبر هو المتكبر وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } وقوله : { وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث « ولم يجعلني جباراً عنيداً » .

قال ابن عاشور [والجبّار : المتكبر إشارة إلى أنّ فيه خلق الاستكبار . والعنيد إشارة الى الأثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانباً للحق منحرفاً عنه] (٢) .

٥ - أن المعاند للحق والمخالف له مع علمه به يستحق عذاب النار وقد وكل الله النار بهم يوم القيامة كما دل عليه قوله تعالى : { أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ } . وفي الحديث « تخرج عنق من النار يوم القيامة .. يقول : إني وكلت بثلاث ، بكل جبار عنيد ... » .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٥٤٢/١٦ ؛ روح المعاني ٢٠١/١٣ ؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١١٤/١٣ .

(٢) انظر / التحرير والتنوير ١٠٥/١٢ .

[٤] الجحـود

الجحود في اللغه :

ضد الإقرار كالإنكار والمعرفة (١) .

يقال جَحَد يَجْحد جَحْداً وجُحوداً .

والجحود الإنكار مع العلم (٢) .

قال ابن فارس [الجيم والحاء والدال أصل يدل على قلة الخير . يقال عام جحد قليل المطر ... ومن هذا الباب الجحود وهو ضد الإقرار ، ولايكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح . قال تعالى : { وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ } . وماجاء جاحد بخير قط] (٣) .

الجحود في استعمالات القرآن والسنة :

ورد إستعمال (الجحود) بمعنى الإنكار مع العلم ومن ذلك :

١ - قوله تعالى : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ } (٤) .

٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم « إن أول من جحد آدم عليه السلام قالها ثلاث مرات ... » (٥)

* * *

من بيان الاستعمالات في اللغة والقرآن والسنة . تبيَّن أن الجحود لم يستعمل إلا في معنى واحد وهو الإنكار مع العلم .

---

(١) انظر / تهذيب اللغة ١٥٤/٤ ؛ الصحاح ١٥٤/٢ ؛ لسان العرب ١٠٦/٣ .

(٢) الصحاح ٤٥١/٢ .

(٣) مقاييس اللغة ٤٢٦/١ .

(٤) سورة الأنعام آية (٣٣) .

(٥) مسند أحمد المحقق ١٧٤/٥ . وقال المحقق إسناده صحيح .

ذم الجحود وبيان مساوئه في نصوص القرآن والسنة :

ورد في ذم الجحود ومقت الجاحدين وبيان سوء عاقبة الجاحد نصوص كثيرة منها :

١ - في معرض مواساة النبي صلى الله عليه وسلم على مايجد من تكذيب قومه بيّن عز وجل بأنهم لايكذبونه فهم يعلمون صدقه ولكنهم ينكرون ماجاء به عناداً وبغياً (١) قال تعالى : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } (٢) .

٢ - في مقام التشنيع على قوم عاد وبيان أن سوء عملهم وسبب ماحل بهم من العذاب والنقمة إنّما كان جحودهم لآيات الله تعالى (٣) قال تعالى : { وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } (٤) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } (٥) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٣٣٤/١١ ؛ تفسير الخازن ١٣/٢ .

(٢) سورة الأنعام آية (٣٣) .

قال الخازن [إنهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذي أنزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم { وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً }] تفسير الخازن ١٣/٢ .

(٣) انظر / تفسير الطبري المحقق ٣٦٦/١٥ ؛ تفسير الخازن ٣٣٨/٢ .

(٤) سورة هود آية (٥٩) .

قوله [جبار : مستكبر . عنيد : حائد عن الحق لا يذعن له ولا يقبله ..] تفسير الطبري المحقق ٣٦٦/١٥ .

(٥) سورة فصلت آية (١٥) .

٣ - في مقام الإنكار على المشركين جحودهم لنعم الله وعبادة غيره (١) قال تعالى : { وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } (٢) .

٤ - في مقام ذم فرعون وقومه وتحذير أمثالهم من أن يحل بهم ماحل بفرعون وقومه (٣) .

قال تعالى : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } (٤) .

٥ - في مقام التشنيع على الجاحدين والتنديد بأعمالهم ووصمهم بأبشع الصفات (٥) .

قال تعالى : { وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ } (٦) .

وقال تعالى : { وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ } (٧) .

وقال تعالى : { وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ } (٨) .

---

(١) انظر تفسير الخازن ١٢٦/٣ .

(٢) سورة النحل آية (٧١) .

(٣) انظر تفسير الخازن ٣٧٧/٣ ؛ روح المعاني ١٦٨/١٩ .

(٤) سورة النمل آية (١٤) .

قال الخازن [أنكروا الآيات ولم يقروا أنها من عند الله ... جحدوا بألسنتهم واستيقنوا بها بقلوبهم وضمائرهم ظلماً وعلواً . شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى] تفسير الخازن ٣٧٧/٣ .

(٥) انظر تفسير الخازن ٤٢٣/٣ ، ٤٢٤ ، ٤٤٣ .

(٦) سورة العنكبوت آية (٤٧) .

(٧) سورة العنكبوت آية (٤٩) .

(٨) سورة لقمان آية (٣٢) .

[(ختار) غدار والختر أقبح الغدر].. تفسير غريب القرآن /٣٤٥ ؛ العمدة في غريب القرآن/٢٤٠ [(كفور) جحود لأنعمنا عليه]؛ انظر تفسير الخازن ٤٤٣/٣

وقال تعالى : { كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } (١) .

٦ - في مقام التنديد بالجاحدين وبيان سوء عاقبتهم في الآخرة وحرمانهم من النعيم وخلودهم في العذاب (٢) . قال تعالى : { .. فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } (٣) .

وقال تعالى : { ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } (٤) .

٧ - ومنه ماورد عن علي رضي الله عنه أن ابا جهل قال : للنبي صلى الله عليه وسلم « إنا لانكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }(٥)

٨ - وفي بيان سوء عاقبة الجاحدين يوم القيامة ماورد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :«إذا جمع الله النّاس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار تركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفّونها وهي تقول : وعزة ربي ليخلينّ بيني وبين أزواجي أو لأغشينّ النّاس عنقاً واحدة فيقولون . ومن أزواجك ؟ فتقول : كل متكبر جبّار . فتخرج لسانها فتلتقطهم من بين ظهراني النّاس فتقذفهم في جوفها ثم تستأخر . ثم تقبل يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفّونها وهي تقول : وعزة ربي ليخلينّ بيني وبين أزواجي أو لأغشينّ النّاس عنقاً واحدة . فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل جبّار كفور . فتلتقطهم بلسانها من بين ظهراني النّاس فتقذفهم

---

(١) سورة غافر آية (٦٣) .

(٢) انظر/ تفسير الطبري المحقق ٤٧٦/١٢ ؛ تفسير الخازن ٣٣/٢ ، ٧٧/٤ ، ٨٥ ؛ روح المعاني ٨٣/٢٤ ، ١١٩/٢٤ .

(٣) سورة الأعراف آية (٥١) .

(٤) سورة فصلت آية (٢٨) .

(٥) سورة الأنعام آية (٣٣).

في جوفها ثم تستأخر . ثم تقبل يركب بعضها بعضاً،وخزنتها يكفونها،وهي تقول : وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي،أو لأغشين الناس عنقاً واحدة، فيقولون ومن أزواجك ؟ فتقول : كل جبّار فخور . فتلتقطهم بلسانها فتقذفهم في جوفها،ثم تستأخر ويقضي الله بين العباد » (١) .

وفي هذا الحديث بيان عقاب المتكبر ، الجبار ، الفخور ، الكفور . وقد وصف الله تعالى في كتابه العزيز الجاحدين بهذه الصفات في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ .

٩ - ومنه مارواه أبو سعيد قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم « يخرج عنق من النار يوم القيامة،فتكلم بلسان طلق ذلق،لها عينان تبصران،ولها لسان تكلم به،فتقول إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبّار عنيد، وبمن قتل نفساً بغير نفس،فتنطلق بهم قبل سائر النَّاس بخمسمائة عام » . وفي روايه « فتنطوي عليهم فتقذفهم في جهنَّم » (٢).

---

(١) مجمع الزوائد : ٢٩٢/١٠ ك صفه النار . باب في أهل النار وعلامتها . وقال الهيثمي . [رواه ابو يعلي ورجاله وثقوا إلا أن إبن اسحاق مدلس] وقد أخرجه ابن حجر في المطالب العالية(٣٨٥/٤)وقد أورد المحقق في الحاشية نقلاً عن البوصيري قوله[رواه أبو يعلي بسند ضعيف لتدليس ابن اسحاق والحديث يرتقى بالشواهد إلى الحسن لغيره].

(٢) مجمع الزوائد : ٢٩٢/١٠ ك صفة النار باب في اهل النار .
وقال الهيثمي [رواه البزاز واللفظ له،وأحمد باختصار،وأبو يعلي بنحوه ، والطبراني في الأوسط،وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح] .

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التالية :

١ - أن الجحود من صفات الظالمين وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } .

٢ - أن الجحود بآيات الله سبب كفر الأمم بدعوة أنبيائهم ورسلهم وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } .

وقوله تعالى : { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ .. وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } .

وقوله تعالى في إنكاره على المشركين جحودهم بأنعم الله { .... أفبنعمة الله يجحدون } .

وقوله تعالى : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } .

٣ - أن الجحود بآيات الله لايكون إلاّ من الكافر ، والظالم ، والغدار الجاحد . وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَمَايَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ } .

وقوله تعالى : { وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ } وقوله تعالى : { وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ } .

٤ - أن الجحود بآيات الله يسبب خسائر عظيمة للجاحد في الدنيا والآخرة .

فمن الأضرار الدنيوية :

١ - أن الجاحد بآيات الله متكبر متعالٍ على آيات الله والقبول بها والإذعان لما أمر فيها .

٢ - مقت الله عز وجل ثم مقت النّاس والصالحين . لأن الجاحد ينكر الحق وهو يعرفه .

٣ - الجحود بآيات الله سبب من أسباب الإنصراف عن التزود للآخرة والغفلة عنها والضلال عن طريق الحق وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } أي يصرفون عن الحق .

ومن الأضرار والخسائر الأخروية :

١ – استحقاقه ماتوعّد الله به الجاحدين فينساهم من رحمته وذلك ما دلّ عليه قوله تعالى : { فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } .

٢ – الخلود في نار جهنّم بسبب جحودهم ووصمهم بالعداء لله عز وجل وذلك مآلهم وذلك ما دلّ عليه قوله تعالى : { ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } .

وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج عنق من النّار يوم القيامة فتكلم .. » .

[5] الإخلاص

الإخلاص في اللغة :

مصدر من خَلَصَ الشيء - بالفتح - يَخْلُص خُلُوصاً . أي صار خالصاً . وخلصته صفيته (١) .

قال صاحب أساس البلاغة [ومن المجاز أخلص له المودة ، وأخلص لله دينه ، وهو عبد مُخْلِص ومُخَلَّص] (٢) .

الإخلاص في استعمالات القرآن والسنة :

ورد الإخلاص في القرآن :

بمعنى الخالص من الشوائب الصافي (٣) .

منه قوله تعالى : { نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا } (٤) .

ومنه قوله تعالى : { وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (٥) .

وقوله تعالى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « .. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلاَّ اللّه خالصاً من قلبه أو نفسه » (٧) .

---

(١) انظر : الصحاح ١٠٣٧/٣ ؛ أساس البلاغة /١١٨ ؛ لسان العرب ٢٧/٧ .

(٢) أساس البلاغة /١١٨ .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن /١٥٤ .

(٤) سورةالنحل آية(٦٦).وانظر:تفسيرالقرطبي١٢٤/١٠؛تفسير ابن كثير ٢٠٤/٤

(٥) سورة لقمان آية (٣٢) . وانظر : تفسير القرطبي ٨٠/١٤ .

(٦) سورة العنكبوت آية (٦٥) . وانظر / تفسير القرطبي ٣٦٣/١٣ .

(٧) خ مع فتح الباري ١٩٣/١ ك العلم باب الحرص على الحديث .

ومنه ماورد من حديث عبدالله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدّعها . إذا أُئتمن خان ، وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (١) .

الإخلاص في القرآن والسنة :

ورد الإخلاص في القرآن والسنة للدلالة على أنه مطلوب في جميع الأعمال والأقوال، وأن قبول الأعمال، والطاعات، والعبادات عند الله تعالى منوط بالإخلاص لله تعالى، وإبتغاء مرضاته، ومدار الإخلاص على أن يكون الباعث على العمل أولاً إمتثال أمر الله تعالى / وتأكيد أن العمل بدون إخلاص النيّة لله تعالى فهو هباء لا خير فيه ولانفع من ذلك :

١ - في مقام دحض دعوى اليهود والنصارى أن دينهم خير من دين النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأن كتابهم كان قبله (٢) قال تعالى : { قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } (٣) .

---

(١) خ مع فتح الباري ٨٩/١ ك الإيمان باب علامة المنافق .
م ٧٨/١ ك الإيمان باب بيان خصال المنافق .
قوله (كان منافقاً خالصاً) أي شديد الشبه بالمنافقين لأنّ هذه الخصال خصال منافقين وقد توجد خصلة منها في المسلم فكانت هذه التسمية مجازاً والمراد بإطلاق النفاق . الإنذار والتحذير عن إرتكاب هذه الخصلة وأن الظاهر غير مراد . انظر فتح الباري ٩٠/١ .

(٢) انظر تفسير الطبري المحقق ١٢١/٣ .

(٣) سورة البقرة آية (١٣٩) .
قوله { ونحن له مخلصون } [أي مخلصون له العبادة لم نشرك به شيئاً وقد أشركتم في عبادتكم إياه فعبد بعضكم العجل وعبد بعضكم المسيح] تفسير الطبري ١٢٢/٣ .

٢ - لما ذكر الله عز وجل مآل المنافقين في الآخرة وأن مقامهم الدرك الأسفل من النار استثنى الذين تابوا وأخلصوا دينهم لله (١) قال تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (٢) .

٣ - وفي بيان أن الإخلاص سبب النجاة من المهالك .

(١) ذكر الله عز وجل أن إخلاص يوسف عليه السلام سبب نجاته من مراودة امرأة العزيز له (٣) . قال تعالى : { .. كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } (٤) .

(٢) لما ذكر الله تعالى تمرد إبليس وعتوّه أخبر سبحانه عن عجز إبليس إغواء المخلصين لله تعالى في العبادة والتوحيد قال تعالى (٥) حكاية عن إبليس : { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (٦) .

وفي موضع آخر قال تعالى حكاية عن إبليس { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (٧) .

---

(١) انظر تفسير الطبري المحقق ٣٤٠/٩ .

(٢) سورة النساء آية (١٤٦) .

(٣) انظر تفسير الطبري المحقق ٣٣/١٦ .

(٤) سورة يوسف آية (٢٤) .

قوله { إنه من عبادنا المخلصين } أي من الذين أخلصوا لله التوحيد والعبادة ومن أخلص توحيد الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئاً فهو من أخلصه الله . انظر تفسير الطبري ٥٠/١٦ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١٦١/٤ .

(٦) سورة الحجر آية (٣٩ - ٤٠) .

(٧) سوره ص آية (٨٢ - ٨٣) .

٤ - في مقام الحث على عبادة الله وحده مع الإخلاص والصدق في العمل (١) .

(١) قال تعالى : { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } (٢) .

(٢) قال تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته والاخلاص له في العباده (٣) { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } (٤) .

(٣) في مقام إعلان مفارقة العاصين المفسدين فإن من يعبد الله مخلصاً لايعصيه ويخاف عقابه .

قال تعالى آمراً النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلنها حاسمة (٥) { قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي } (٦) .

٥ - في مقام الانكار على اليهود والنصارى تفرقهم بعد أن جاءتهم البينه والتشنيع عليهم وبيان أنهم ما أمروا إلا بعبادة الله وحده والإخلاص من الشرك (٧) . قال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (٨) .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٦/٧٨ ؛ التفسير الواضح ٢/٣٢٠ .

(٢) سورة الزمر آيه (٣) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٦/٨٣ ؛ التفسير الواضح ٢/٣٢٣ .

(٤) سورة الزمر آيه (١١-١٢) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٦/٨٤ ؛ التفسير الواضح ٢/٣٢٣ .

(٦) سورة الزمر آيه (١٤) .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٧/٣٤٥ ؛ التفسير الواضح ٢/٥٩٨ .

(٨) سورة البينه آيه (٥) .

٦ - وفي بيان أن الإخلاص في العمل له ثمرات نافعة في الدنيا والآخرة .

فمن الثمرات الدنيوية :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم « نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلَّغها فَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لايُغَلُّ عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن الدعوة تحيط من ورائهم » (١) .

ومن الثمرات الأخروية :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم « ... أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلاَّ اللَّه خالصاً من قلبه أو نفسه » (٢) .

من النصوص السابقة تجلَّت الحقائق التالية :

١ - أَن الإخلاص باعث قوة فهو يدفع العبد لإخلاص العمل والقول والنِّية لله تعالى مما يجعله في حصن من إغواء الشيطان والنجاة من براثنه ، وذلك مادلَّ عليه ما حكاه تعالى عن عجز إبليس من إغواء عباد الله المخلصين بقوله { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ } .

٢ - أَن الإخلاص سبب النجاة من المهالك وما يؤدي إلى إرتكاب الكبائر والمحرمات مما يغضب الله تعالى ، وذلك مادل عليه قوله تعالى فيما أُخبربه تعالى من عصمته ليوسف عليه السلام من الوقوع في معصية ربه .

٣ - السلامة من الغل والحسد والحقد .

٤ - النجاة والفوز في الآخرة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وحشرهم مع المؤمنين .

---

(١) ت ٣٤/٥ ك العلم باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع (وسكت عنه) .
جه ١٨٨/٢ أبواب المناسك باب الخطبة يوم النحر .

(٢) سبق تخريجه ص (٨٣) .

المطلب السادس
صفات النَّفس

تمهيد :

خلق الله تعالى النَّفس الإنسانية وأبدعها مستعدة لكمالاتها (١) ، وبيَّن لها طريق الخير وطريق الشر ومكَّنها من اختيار أيُّهما شاءت ، ولعظم شأن النَّفس وأثرها البالغ في حياة الإنسان أقسم الله عز وجل بها في كتابه العزيز ضمن ما أقسم به من مخلوقاته – ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته .– قال تعالى : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } (٢) .

فكان مما أقسم الله عز وجل به من عظيم مخلوقاته النَّفس البشرية ذات الإستعداد المزدوج ، خلقها عز وجل على الفطرة وسوَّى خلقها وبيَّن لها ماينبغي أن تأتي أو تذر من خير أو شر، من طاعة أو معصية (٣) ومناط القسم فيها هو تأكيد طبيعة النَّفس البشرية، وزيادة التعريف بميزتها الخاصة، ألاَ وهي استعدادها للميل نحو الخير، وللميل نحو الشر، فإذا مالت نحو الخير كانت نفساً زكية ، وإن مالت نحو الشر كانت نفساً شقية . وإلهامها : تعريفها بحيث تميِّز بين رشدها وضلالها (٤) .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٦٤/٩ ؛ روح المعاني ١٤٢/٣٠ .

(٢) سورة الشمس آية (٧ – ٨) .

(٣) انظر / تفسير الطبري غير المحقق ٢١٠/٣٠ ؛ روح المعاني ١٤٣/٣٠ ؛ معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٣ ؛ التيسير في أحاديث التنزيل ٤٣١/٦ .
(فألهمها) [الإلهام في الأصل إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن ثم أطلق هنا على مطلق التبيِّن] حاشية الصاوي ٣٢٣/٤ .

(٤) انظر : روح المعاني ١٤٣/٣٠ ؛ التيسير في أحاديث التنزيل ٤٣١/٦ .

وقال تعالى : { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (١) بمعنى طبعنا طبيعته على استعداد مزدوج استعداداً للخير إن اختاره واستعداداً للشر إن أراده و{ النَّجْدَيْنِ } نجد الخير ونجد الشر أي الطريقان المؤديان إليهما (٢) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً } (٣) .

فالله سبحانه وتعالى بيَّن للإنسان طريق الخير وطريق الشر بمابثه في الكون من دلائل وآيات كونية، وبما بعث به الرسل من براهين وآيات ليرشدوهم إلى طريق الجنَّة.والنَّاس أمام ذلك صنفان إمَّا شاكر مؤمن وإمَّا جاحد كافر . وعلى اختياره يجازى ويحاسب (٤) .

فقوله تعالى : { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ } بمعنى عرَّفناه السبيل (٥) .

وقد خلق الله تعالى الإنسان على الفطرة كما دلَّ عليه قوله تعالى: { فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } (٦) . فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إلٰه غيره (٧) .

ودلَّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم « مامن مولود إلاَّ يولد على الفطرة » (١)

---

(١) سورة البلد آية (١٠) .

(٢) انظر : تفسير الطبري غير المحقق ١٩٩/٣٠ ، التيسير في أحاديث النذير ٤٢٩/٦ ؛ دراسات إسلامية في العلاقات الإجتماعية والدولية /٩٢ .

(٣) سورة الإنسان آية (٢ - ٣) .

(٤) انظر : تفسير الطبري غير المحقق ٢٠٦/٢٩ ؛ تفسير ابن كثير ١٧٨/٧ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢١٤/٣ .

(٦) سورة الروم آية (٣٠) .

(٧) تفسير ابن كثير ٣٥٨/٥ .

(٨) خ مع فتح الباري ٤٩٣/١١ ك القدر باب الله أعلم بما يكدحون .

كما ورد في السنة:أن كل إنسان مطالب بالعمل الذي يسَّره الله له،وأن مآله ومصيره محجوب عنه،فعلى كل إنسان أن يبذل جهده،ويجاهد نفسه في عمل الطاعات .

وذلك ماورد من رواية عمران بن حصين قال « قال رجل يارسول الله أيعرف أهل الجنّة من أهل النّار ؟ قال : نعم . قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال : كل يعمل لما خلق له أو لما يُسِّر له » (١) قال ابن حجر [في الحديث إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف فعليه أن يجتهد في عمل ما أمره به،فإنّ عمله أمارة على مايؤول إليه أمره غالباً،وإن كان بعضهم يختم له بغير ذلك .. ولكن لا إطلاع له على ذلك،فعليه أن يبذل جهده،ويجاهد نفسه في عمل الطاعات،ولايترك وكولاً إلى مايؤول إليه أمره فيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبة] (٢) .

وفي رواية مسلم « أن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله:أرأيت مايعمل النّاس اليوم ويكدحون فيه،أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق،أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال : لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }» (٣) .

صفات النفس :

النفس الإنسانية واحدة،ولكنها تتصف بصفات،فإذا غلبت عليها صفة

---

(١) خ مع فتح الباري ٤٩١/١١ ك القدر باب جف القلم على علم الله .

(٢) فتح الباري ٤٩٣/١١ .

(٣) م ٢٠٤١/٤ ك القدر باب كيفيه خلق الآدمي في بطن أمه .

(يكدحون) الكدح هو السعي في العمل سواء كان للآخرة أو الدنيا . شرح النووي ١٩٩/١٦ .

سمِّيت بها (١) وقد جاء وصف النَّفس الانسانية في القرآن الكريم على النحو التالي :

١ - **النفس الأمَّارة بالسوء :**

وذلك فيما حكاه القرآن على لسان امرأة العزيز حيث قال تعالى : { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } (٢) .

قال ابن تيمية [تطلق النفس عند كثير من المتأخرين والمراد بها الصفات المذمومة في العبد] (٣)

٢ - **النفس اللوّامة :**

وذلك ما جاء في قوله تعالى : { لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } (٤) .

وذلك أن المؤمن لا تراه إلاّ يلوم نفسه على كل حالة لأنه يستقصرها في كل ماتفعل فيندم ويلوم نفسه (٥) .

٣ - **النفس المطمئنة :**

وذلك في قوله تعالى : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } (٦) .

---

(١) انظر : مجموعه فتاوي ابن تيمية ٢٩٤/٩ ؛ حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢٤٧/٢ ؛ النَّفس الإنسانية لسرسيق / ٨٣ . إغاثة اللّهفان ٧٥/١ .

(٢) سورة يوسف آية(٥٣).

(٣) مجموعة فتاوي ابن تيمية ٤٩٣/٩ .

(٤) سورة البلد آية (١ - ٢) .

(٥) التبيان في أقسام القرآن (١٥) .

(٦) سورة الفجر آية (٢٧-٣٠)

قال ابن تيميه [فهذه صفات وأحوال لذات واحدة،وإلا فالنفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة،وهذا أمر يجده الانسان من نفسه] (١) .

---

(١) مجموعة فتاوي ابن تيمية ٢٩٤/٩ ؛ وانظر : النفس الانسانية (٨٤) ؛ إغاثة اللهفان ٧٥/١ .

[أ] النَّفس الأمّارة بالسوء

(الأمّارة) من أمر الذي هو نقيض النهي كقولك إفعل كذا (١) .

وأمّارة صيغة مبالغة تدل على كثرة وقوع ذلك الفعل منها وبيان أنه عادتها ودأبها (٢) .

كما ورد في ألفية ابن مالك الأندلسي في الصيغ القياسية .

فعّال أو مفعال أو فعولٌ في كثرة عن فاعل بديل (٣) .

(السوء) : اسم جامع للآفات والداء يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء إذا قبُح (٤) . وقيل [هو كل مايغم الإنسان من أمور الدارين، ومن الأحوال النفسية، والبدنية، والخارجية، من فوات مال وجاه، وفقد حميم] (٥) .

وقد تميّزت هذه النّفس - الأمّارة بالسوء - بصفتين أساسيتين وهما : إنهماك في الشهوات وامتناع عن الطاعات (٦) .

وقد أوردها تعالى في قوله حكاية عن امرأة العزيز { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ } (٧) بصيغة الاستغراق لتفيد عموم الجنس بمعنى أن النّفس الأمّارة عامّة في كل إنسان (٨) .

قال الشيخ الصاوي في حاشيته على الجلالين [أعلم أن النّفس واحدة فأول

---

(١) مقاييس اللغة ١/١٣٧ ؛ القاموس المحيط ١/٣٦٥ .
(٢) أنظر : إغاثة اللّهفان ١/٧٧ ؛ أمراض القلوب /٧٧ ؛ النّفس الإنسانية لسرسيق ٤٨ .
(٣) انظر / أوضح المسالك ٢/٢٥٠ ؛ شرح ابن عقيل ٣/١١١ .
(٤) تهذيب اللغة ١٣/١٣١ .
(٥) المفردات (٢٥٢) بصائر ذوي التمييز ٣/٢٨٨ .
(٦) انظر : فتح الباري ١١/٣٣٨ .
(٧) سورة يوسف آية (٥٣) .
(٨) النّفس الإنسانية لسرسيق /٥٢ .

أمرها تكون أمَّارة بالسوء تدعو إلى الشهوات وتميل اليها ..] (١) .

والنبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بالله من شر النفس، ومن شر ماينتج منها . وذلك ماورد في حديث عبدالله بن مسعود قال «علَّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة : أن الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، فمن يهده الله لا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... » (٢) .

وعلَّم النبي صلى الله عليه وسلم حصين والد عمران رضي الله عنهما لمَّا أسلم (اللَّهم ألهمني رشدي وأعذني من شرِّ نفسي) (٣) .

مجالات النَّفس الأمَّارة بالسوء :

السوء إسم جامع للآفات والداء (٤) . فكل آفة وداء من أُمراض القلوب مرجعها النَّفس الأمَّارة بالسوء، فهي تسوِّل للإنسان وتزيِّن له كل منكر وقبيح حتى يأتيه تلبيه لشهواتها، وإشباعاً لملذاتها، وإرضاء لنهمها للمعاصي والتمتع بها .

(وإذا أطاع الإنسان نفسه الأمَّارة فهي إما تهبط به إلى دركة الفحش والفجور، أو تهوي به الى استحلال المعاصي وهو من الكفر) (٥) .

ويدخل السوء في مختلف مجالات الحياة ومن أُبرزها :

---

(١) حاشية الصاوي علي الجلالين ٢٤٧/٢

(٢) سنن أبي داود مع مختصره ٥٣/٣ ك النكاح باب في خطبة النكاح .

ت ٤١٣/٣ ك النكاح باب ماجاء في خطبة النكاح.وقال أُبو عيسى حديث صحيح .

(٣) ت ٥١٩/٥ ك الدعوات باب (٧٠) وقال أبوعيسى حديث غريب .

(٤) تهذيب اللغه ١٣١/١٣ .

(٥) تفسير المنار ٥٤٧/٩ .

أولاً : السوء في العقيدة :

إنَّ النَّفس الأمَّارة تسوِّل لصاحبها أن يشرك بالله، وتزيِّن له الكفر بالواحد الأحد، وإعتبار أن الدين قيد عن الحرية، والحضارة، حيث نشأت المذاهب الهدَّامة والعقائد الضالة التي تنادي بالحرية وهي عن الحرية والعدالة في منأى وبعد كبير، كالشيوعية (١) والرأسمالية (٢) والقاديانية (٣) ونحوها .

والنَّفس الأمَّارة سوَّلت للسَّامري (٤) في عهد نبي الله موسى عليه السلام

---

(١) (الشيوعية) [مذهب فكري يقوم على الإلحاد وإنكار وجود الله، وأن المادة أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الإقتصادي، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس، وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا عام ١٩١٧م بتخطيط من اليهود وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنَّار وقد تضرر المسلمون منها كثيراً ومحيت شعوب من التاريخ بسببها] انظر / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة /٣٠٩ .

(٢) (الرأسمالية) [نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها متوسعاً في مفهوم الحرية حتى بلغ إلى الإباحية . وهي تناهض الدين وتتمرد على كل قانون أخلاقي] انظر الموسوعة الميسرة ٢٣٣ - ٢٣٨ .

(٣) (القاديانية) [حركة نشأت عام ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لايواجهو المستعمر باسم الإسلام وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية] انظر الموسوعة الميسَّرة /٣٨٩ .

(٤) السامري : كان عظيماً في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ولكنه نافق بعد ماقطع البحر مع موسى عليه السلام، فلمَّا مرت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم (قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فاغتنمها السامري وعلِم أنَّهم يميلون إلى عبادة العجل فاتخذوا العجل] انظر تفسير القرطبي ٢٣٩/١١ .

أن يصنع عجلاً لبني اسرائيل ليعبدوه،ولما سأله موسى عليه السلام عن سبب مافعل قال { وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي } (١) وذلك فيما حكاه القرآن عن قيل السامري لموسى عليه السلام،والمعنى:أن نفسه زينت له (٢) ذلك العمل فاستجاب بعمل العمل،وإغواء بني إسرائيل بأن يعبدوه ولايعبدوا الواحد الأحد .

ثانياً : السوء في الغاية :

إن لكل انسان هدفاً وغاية يسعى لتحقيقها .. فمن كانت غايته الحياة الدنيا،والتمتع بملذاتها،فذلك الذي سيطرت عليه نفسه الأمارة،وهو الذي ينقلب يوم القيامة يدعو ثبوراً وهذا النوع من النفوس هو الذي قال تعالى عنهم في كتابه العزيز : { فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } (٣) .

وأمّا الذي جعل الله عز وجل غايته،وسعى فيما يرضي رب العالمين،فذلك الذي انتصر على نفسه الأمارة،وأصبح مالكاً لها فاستحق الثناء عليه وماوعد الله عز وجل به في قوله تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } (٤) . وقال ابن حزم [إن هذه الآية تجمع كل فضيلة،لأن نهي النفس عن الهوى،هو ردعها عن الطبع الغضبي،وعن الطبع الشهواني،لأن كليهما واقع تحت موجب الهوى ..] (٥) .

فإن من النّاس من يسعى إلى ديار الجهاد في أنحاء العالم الاسلامي،حتى يقال إنه مجاهد . ومن الناس من يسعى ويكد في طلب العلم،والحصول على الشهادات العلمية،والرحلة في طلب العلم،ليقال إنه عالم ، ومن الناس من يتصدق

---

(١) سورة طه آيه (٩٦) .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢٣٩/١١ .

(٣) سورة النازعات آيه (٣٧ - ٣٩) .

(٤) سورة النازعات آيه (٤٠ - ٤١) .

(٥) الأخلاق ومداواة النفوس /١٣ (بتصرف) .

ويقدم التبرعات ويقيم المشروعات الخيرية ليقال إنه جواد كريم . وإنَّما مناط الأعمال النِّية .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في قوله « إنَّما الأعمال بالنِّيات وإنَّما لكل إمريء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » (١) .

وفي الحديث دلالة على أن صلاح العمل وفساده بحسب النِّية المقتضية لإيجاده، وأن ثواب العامل على عمله بحسب نيتَّه الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيتَّه الفاسدة (٢) .

ومما ورد في بيان مآل العمل للرياء والسمعة، قوله صلى الله عليه وسلم : « إن أول النَّاس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت . ولكنك قاتلت . ليقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النَّار . ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتى به فعرَّفه نعمه فعرفها . قال :

---

(١) م ٣/١٥١٥ ك الأمَارة باب قوله صلى الله عليه وسلم إنَّما الأعمال بالنِّيات .

(٢) جامع العلوم والحكم / ٧ (بتصرف) .

قال ابن رجب [النيِّة في اللغة نوع من القصد والإرادة .. والنية في كلام العلماء تقع بمعنيين أحدهما : تمييز العبادات بعضها عن بعض كتمييز صلاة الظهر عن صلاة العصر مثلاً .. وهذه النِّية هي التي توجد كثيراً في كلام الفقهاء في كتبهم .

والثاني : بمعنى تمييِّز المقصود بالعمل وهل هو لله وحده لاشريك له أم لله وغيره ؟ وهذه النيِّة التي توجد في كلام السلف المتقدمين] انظر جامع العلوم ص ٧ – ٨ (بتصرف) .

فما عملت منها ؟ قال : تعلّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت، ولكنك تعلّمت العلم ليقال : عالم . وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النّار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرفّه نعمه . فعرفها . قال : فما عملت بها ؟ قال : ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال هو جوّاد فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النّار » (١) .

قال النووي [قوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم والجوّاد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النّار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } ..] (٢) .

وبما أن غايته كانت سيّئه وكان الرياء والسمعه غايته ومقصده أصبح عمله عبثاً ووزراً عليه، واستحق العقاب، وما ساءت نيتّه إلاّ لسيطرة النّفس الأمّارة عليه، فزيّنت له مقال النّاس عنه، وعن أعماله، وبالتالي سعى في العمل لتحقيق غايته من حديث الناس عن أعماله والإشادة بها .

ومما ورد في سوء الغاية ماورواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلّم علماً مما يبتغي به وجه الله لايتعلّمه إلاّ ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » (٣) أي ريحها .

---

(١) م ١٥١٣/٣ ك الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ك الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار .

(٣) د ٣٢٣/٣ ك العلم باب في طلب العلم لغير الله .
جه ٤٦/١ المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به .

وفي رواية عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاتعلّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولاتخيّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنّار النّار » (١) وفي رواية « من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه النّاس إليه، أدخله الله النّار » (٢) .

وفي بيان أن من ساءت غايته كان عمله هباء، ماورد عن أبي موسى رضي الله عنه قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٣) .

ثالثاً : السوء في المعاملات :

ويشمل ذلك جميع أنواع المعاملات بين النّاس من بيوع، وعقود، وصلة أرحام، والإصلاح بين النّاس، ونحو ذلك من مجالات التعامل بين النّاس . وهنا النّفس الأمّارة تسوّل لصاحبها بالسوء في كل معاملة من غش في البيوع، وأكل مال النّاس بالباطل، وقطيعة الرحم، وإفساد ذات البين، ونحو ذلك من سوء في المعاملات يؤدي إلى تهتك أواصر الجماعة الإسلامية، ونشر الضغينة، والحقد، والحسد بين

---

(١) جه ٤٦/١ المقدمة باب الإنتفاع بالعلم والعمل به .
قال الأعظمي [في الزوائد رجال إسناده ثقات ورواه ابن حبان في صحيحه تخيروا أي لاتختاروا به خيار المجالس] .

(٢) ت ٣٢/٥ ك العلم باب ماجاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا . وقال أبو عيسى (حديث غريب) .

(٣) خ مع فتح الباري ٢٧/٦ ك الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (واللفظ له) .
م ١٥١٢/٣ ك الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

الناس مما يضعف كيان المجتمع الانساني ويسلبه قوته ويشتت أجزاءه .

وقد وضّح ذكر القرآن الكريم بقصة يوسف وأخوته أن النفس الأمارة بالسوء سولت لإخوة يوسف عليه السلام قتل أخيهم،وأن يلقوه في بئر عميقة ، وذلك لما رأو من حب أبيهم له ليتخلصوا منه،وازدادوا سوءاً عما ألحقوا بعملهم ذلك من الكذب على أبيهم بأن الذئب أكله . وأتوا والدهم بدم كذب على قميص يوسف عليه السلام،ولكن يعقوب عليه السلام عرف مكيدتهم وقال لهم فيما حكاه القرآن عنه : { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً } (١) . أي زينت لكم أنفسكم أمراً غير الذي تصفون وتذكرون،والنفس الأمارة سولت لإمرأة العزيز أن تراود يوسف عليه السلام عن نفسه،ولما استعصم منها إدّعت عليه زوراً وبهتاناً كما ذكر تعالى في قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم ولمّا اظهر الله الحق قالت فيما حكاه القرآن عنها : { الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ } (٣) وتأكيداً لسبب مارتكب من سوء قالت : { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٤) .

وإن مما تسوّله النفس الأمّارة في المعاملات مايشيع بين النّاس من النفاق (٥) تحت شعائر المجاملة وكسب الصداقات،والسعي بين الناس بالنميمة بحجة النصح والتوجيه .

وغير ذلك من سوء في المعاملات فإن مجالاتها كثيرة ونتائجها سيّئة وعاقبتها عند الله وخيمه .

---

(١) سورة يوسف آيه (١٨) .

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٥١/٩ .

(٣) سورة يوسف آيه (٥١) .

(٤) سورة يوسف آيه (٥٣) .

(٥) المراد النفاق في المعاملات وليس في الدين لان النفاق في الدين كفر .

[٣] النَّفس اللَّوَّامة

اللَّوَّامة من اللَّوم . صيغة مبالغة (١) . واللَّوم : العتْب والعذل (٢) .

قال ابن فارس [اللام والواو والميم كلمتان تدل احداهما على العتب والعذل ... تقول لمته لوماً والرجل ملوم] (٣) .

وقيل من التلوم وهو التردد لأنها لاتستقر على حال واحدة (٤) .

وقال ابن القيم [الأول أظهر فإن هذا المعنى لو أريد لقيل المتلوّمة كما يقال المتلوّنة والمترددة] (٥) .

(والنَّفس اللَّوامة) : هي النفس التي اكتسبت بعض الفضيلة فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروهاً فهي دون المطمئنة (٦) .

ولكون النَّفس محل الكسب قرن الله عز وجل في القسم بينها وبين محل الجزاء (يوم القيامة) (٧) . في قوله تعالى : { لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } (٨) .

وما أقسم الله بها عز وجل - ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته - إلاّ لعظم شأنها ولكونها من عظيم آياته . قال ابن القيم [وإقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته] (٩) .

---

(١) انظر : لسان العرب ٥٥٧/١٢ ؛ القاموس المحيط ١٧٧/٤ .

(٢) انظر : مقاييس اللغة ٢٢٢/٥ ؛ المفردات (٤٥٧) ؛ لسان العرب ٥٥٧/١٢ .

(٣) مقاييس اللغة ٢٢٢/٥ .

(٤) انظر : إغاثة اللّهفان ٧٨/١ ؛ النفس الإنسانية د/إبراهيم سرسيق /٦٢ .

(٥) إغاثة اللّهفان ٧٨/١ .

(٦) المفردات في غريب القرآن /٤٥٧ .

(٧) انظر / التبيان في اقسام القرآن /١٤ .

(٨) سورة القيامة آية (١ - ٢) .

(٩) التبيان في أقسام القرآن /١ .

ووصفها الله عز وجل بأنَّها (لوَّامة) لأنها تكثر من لوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة،وعلى الخير لمْ لمْ تستكثر منه،وتلومه على الشر لم فعله.وفي وصفها (لوَّامة) ، تنبيه من الله سبحانه وتعالى على شدة حاجتها وفاقتها،وضرورتها إلى من يعرِّفها الخير والشر ويدلَّها عليه، ويرشدها إليه، ويلهمها إياه،فيجعلها مريدة للخير مرشدة له ، كارهة للشر مجانبة له،لتخلص من اللَّوم ومن شرِّ ماتلوم عليه،ولأنها متلومة مترددة لاتثبت على حال واحدة فهي محتاجة إلى من يعرّفها ماهو أنفع لها في معاشها ومعادها فتؤثره،وتلوم نفسها عليه إذا فاتها ، فتتوب منه إن كانت سعيدة،ولتقوم عليها حجة عدله فيكون لومها في القيامة لنفسها عليه لوماً بحق ، قد أعذر الله خالقها وفاطرها إليها فيه .

ففي صفة اللَّوم تنبيه على ضرورتها للوصول إلى التصديق بالرسالة والقرآن . وأنها لا غنى لها عن ذلك ولا صلاح ولا فلاح بدونه ألبته،ولمَّا كان يوم معادها هو محل ظهور هذا اللَّوم وترتب أثره عليه قرن بينهما في الذكر (١) .

هذا اللَّوم هو المعبر عنه في الإصطلاح بالمحاسبة . ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي،روي عن الحسن [مايرى المؤمن إلاَّ يلوم نفسه على مافات ويندم، يلوم نفسه على الشرِّ لم فعله،وعلى الخير لم لم يستكثر منه ....

والمراد اللَّوامه في الدنيا لوماً تنشأ عنه التوبة والتقوى،وليس المراد لوم الآخره إذ يقول : { يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي }] (٢) .

والـلَّوم الواقع على النفس يتجه في طريقين:(٣) .

---

(١) انظر : التبيان في أقسام القرآن /١٧ - ١٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري غير المحقق ١٧١/٢٩ ؛ تفسير القرطبي ٩٣/١٩ ؛ التحرير والتنوير ٣٣٨/٢٩ .

(٣) انظر : إغاثة اللَّهفان ٧٧/١ .

الأول : محاسبة صاحبها على وقوعه أو ارتكابه للعمل السيء كإقترافه معصية من المعاصي،أو توجهه بالأذى لمن لايستحقه،أو عقابه على الشرّ بأكثر من المثل ...

وهي بهذا اللّوم الدائم توقظ في صاحبها روح الإنابة والتوبة وتحمله حملاً على الرجوع عن غير سبيل المؤمنين،والإتجاه إلى الله تعالى لإصلاح ما فات،وطلب العفو عمّا اجترح من السيئات .

الثاني : محاسبة صاحبها على التقصير في العمل الصالح،وهذه المحاسبة ذات شقين :-

الأول : محاسبة على التقصير في أصل العمل الصالح،كترك التصدق على المسكين .

الثاني : محاسبة على التقصير في الإستكثار من فعل الخير .

وورد في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال [كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة . تلوم المحسن نفسه ألاّ يكون إزداد إحساناً،وتلوم المسيء نفسه ألاّ يكون رجع عن إساءته] (١) .

اللّوّامه صفة مدح أم صفة ذم :

اللّوّامة صفة مدح لأنها تلوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة، ونتيجة لومها أن تدفع بصاحبها إلى التوبة والتقوى (٢) .

أمّا القول بأنّها صفة ذم (٣) لأنها تلوم صاحبها على الخير لم فعله،فلا وجه

---

(١) انظرالتبيان في أقسام القرآن /١٥؛إغاثة اللّهفان١/٧٧؛ أمراض القلوب/٧٧ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٣٣٨/٢٩ (بتصرف) .

(٣) ورد أنها صفة ذم وينسب هذا الرأي إلى قتادة وابن عباس رضي الله عنهم وأساس هذا الرأي يقوم على أن اللوم من التلوم وهو التردد لأنها لاتستقر على حال . انظر : إغاثة اللّهفان ١/٧٨ .

له من الصحة لأنها إن كانت تلومه على فعل الخير لم فعله لأصبحت نفساً أمَّارة بالسوء . والنفس اللوَّامة أرقى من النفس الأمَّارة ودون النفس المطمئنة .

آثار النفس اللوَّامه :

للنَّفس اللوَّامه أثر واضح وجلي على صاحبها يتجلى في :

١ - تقويم سلوك الفرد وتعديل ما اعوج من مناهجه واساليبه مع نفسه، ثم مع أفراد المجتمع . لأنها حين تلومه على فعل السوء، ترشده إلى فعل الخير، ومايجب عليه أن يفعله ويستكثر منه من الخير وفعل الصالحات، لتستقيم نفسه، ويتقوم سلوكه وأخلاقه ويتقرب إلى خالقه الذي يجب أن يكون رضاه غاية أعماله كلها .

٢ - بث حب الخير وفعل الصالحات من الأعمال، وبغض الشر واجتنابه، فإن النَّفس حين تلوم صاحبها على فعل السوء تبث في نفسه فعل الخير والحث عليه، وبصلاح الفرد يصلح المجتمع .

٣ - تعدي اللَّوم للآخرين على سوء افعالهم ودعوتهم إلى التزام أفعال الطاعات وإستدارجهم ليسلكوا طريق الهداية والرشاد، ويتركوا طريق الضلال والفساد، وبهذا تنتقل بصاحبها من مرتبة الصلاح إلى مرتبه الإصلاح، وتلك أسمى غايات طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ويتحقق في صاحب هذه النَّفس أنَّه من خير أمّة أخرجت للنَّاس كما قال تعالى : { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. } (١) .

وإنَّما يتحقق هدف الدعوة المحمدية بانتقال شحنة الصلاح إلى نفوس الآخرين ، بأن يتحول الصالحون إلى مصلحين وهذا هو طريقنا إلى النجاة (٢).

---

(١) سورة آل عمران آية (١١٠) .

(٢) انظر النَّفس الإنسانية لسرسيق /٦٨ (بتصرف) .

قال تعالى : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } (١) .
وقال تعالى : { إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (٢) .

---

(١) سورة هود آية (١١٧) .

(٢) سورة هود آية (٨٨) .

[٣] النفس المطمئنة

النفس المطمئنة هي النفس الساكنة المؤمنة أيقنت أن الله ربّها فأخبتت لذلك (١) .

وقال ابن عباس: أي المطمئنة بثواب الله - وعنه - المؤمنة (٢) .

وعن مجاهد: الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وما أصابها لم يكن ليخطئها (٣) .

هذه النّفس بشّرها الله عز وجل بما ذكر على لسان الملائكة في قوله تعالى: { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } (٤) .

وهذا الخطاب عام لكل إنسان مؤمن مخلص طائع استحق تلك البشارة عند الاحتضار ويوم القيامة والبعث (٥) .

و(النّفس) تطلق على ذات الإنسان كلها (٦) .

و(المطمئنة) إسم فاعل من اطمأن إذا كان هادئاً غير مضطرب ولا منزعج.

فيجوز أن يكون من سكون النّفس بالتصديق لما جاء به القرآن دون تردد ولا اضطراب بال، فيكون ثناء على هذه النّفس، ويجوز أن يكون من هدوء النّفس بدون خوف ولا فتنة في الآخرة (٧) .

---

(١) تفسير القرطبي ٥٧/٢٠ . وانظر تفسير الطبري غير المحقق ١٩٠/٣٠ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) سورة الفجر آية (٢٧ - ٣٠) .

(٥) انظر: تفسير القرطبي ٥٧/٢٠ ؛ تفسير ابن كثير ٢٩٠/٧ ؛ التحرير والتنوير ٣٤١/٣٠ .

(٦) انظر : التحرير والتنوير ٣٤١/٣٠ .

(٧) انظر : التحرير والتنوير ٣٤٢/٣٠ .

والخطاب موجه إلى النفس الساكنة الثابتة،التي استيقنت الحق فالتزمت به،فلم يتجاوز حدود الشرع،ولم تضطرب مع الشهوات والرغبات،ومن أثر هذا الاطمئنان في الدنيا إطمئنانهم لوعد الله في الآخرة فلا يلحقها ذعر،ولا جزع يوم القيامة (١) .

وقوله { ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ } أي ارجعي إلى جواره وثوابه،وما أعد لعباده في جنته (٢) .

وقوله { راضية } بما أعطيت في الدنيا فلم تتذمر ولم تضطرب .

وراضية بما أعطيت في الآخرة من كرامة ونعيم (٣) .

وقوله { مرضية } اسم مفعول وأصله مرضياً عنك .

والمقصود من هذا الوصف زياده الثناء مع الكناية عن الزيادة في إفاضة الإنعام لأن المرضي عنه يزيده الراضي عنه من الهبات والعطايا فوق مارضي به هو .

ورضوان الله مقام عظيم لا يناله إلا من خشي ربه (٤) كما دل عليه قوله تعالى : { جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ } (٥) .

وقوله : { فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى } أي أدخلي في زمرة عبادي المكرمين وكوني في جملتهم { وادخلي جنتي } تمتعي بما فيها من نعيم حيث فيها

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٩٠/٧ ؛ تفسير المراغي ١٥٤/٣٠ ؛ التحرير والتنوير ٣٤١/٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٠/٧ .

(٣) انظر : تفسير المراغي ١٥٤/٣٠ ؛ التحرير والتنوير ٣٤٣/٣٠ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ٣٤٣/٣٠ .

(٥) سورة البينه آيه (٨) .

ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

وإضافة جنة إلى ضمير الجلالة إضافة تشريف وتكريم .

وتكرير فعل (وادخلي) للاهتمام بالدخول بخصوصه تحقيقاً للمسرة لهم (١) .

من النص السابق ,اتضح أن للنفس المطمئنة صفات :

أولاً: أنها راضية بما أنعم الله عليها، فلم تسخط في الدنيا علي شيء فاتها، فأحسن الله ختامها وأجزل ثوابها في الآخرة .

ثانياً: أنها مرضية . فازت برضا الله عليها، حيث أخلصت في الدنيا في طاعته، وعبادته، والسعي لنيل رضوانه، والحصول على رضوان الله هو الغاية العظمى التي لاتسمو عليها غاية

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال « إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنَّة . ياأهل الجنَّة . فيقولون . لبيك ربنا وسعديك . فيقول:هل رضيتم ؟ فيقولون . ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك . قالوا : يارب وأي شيء أفضل من ذلك . فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » (٢) .

ورضا الله سبب كل فوز وسعادة، وكل من علم أن سيده راض عنه كان أقر لعينه، وأطيب لقلبه، من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم (٣) .

ثالثاً: دخولها في زمرة عباد الله الصالحين . وهذا التكريم بوضعها بين أشباهها . ونظائرها من الذين أخلصوا العبادة لله تعالى معها، وقد وعد الله عز وجل

---

(١) انظر تفسير المراغي ١٥٤/٣٠ ؛ التحرير والتنوير ٣٤٤/٣٠ .

(٢) خ مع فتح الباري ٤١٥/١١ ك الرقاق باب صفة الجنَّة والنَّار .
م ١٧٧٦/٤ ك الجنَّة باب إحلال الرضوان على أهل الجنَّة .

(٣) فتح الباري ٤٢٢/١١ .

بإدخال المؤمنين في زمرة عباده الصالحين في قوله تعالى : { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ } (١) .

رابعاً : أن النَّفس المطمئنة من أصحاب الجنَّة وذلك ما دلَّ عليه قوله تعالى : { وَٱدْخُلِي جَنَّتِي } (٢) .

* * *

هذا وإن النَّفس المطمئنة تستمد اطمئنانها من أمور كثيرة منها (٣) :

١ - الذكـر :

فإن ذكر الله باللِّسان أو بالقلب سبب من أسباب اطمئنان النَّفس وذلك ما أخبر به عز وجل في كتابه العزيز بقوله : { ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ } (٤) . فإن للذكر فوائد عظيمة من أهمها حصول الإيمان للذاكر . فإن ذكر إسم من أسماء الله، أو ذكر صفة من صفاته عز وجل، ووعد من وعيده، أو فعل من أفعاله، أو آية من آياته، تبعث في النَّفس خشية الله تعالى، ومراقبته في السر والعلن، وبذلك يذكر الإنسان نفسه بأن ملجأه إلى الخالق العظيم، الواحد الأحد، وعليه أن يسعى لنيل رضا ربه عز وجل، فيرضى بما قسم، ويقنع بما أعطي، ويسعى في طاعة ربه ونيل رضوانه، ومن كان هذا منهجه وطريقه، كانت عاقبته الاطمئنان، والثبات في الدنيا والآخرة .

٢ - الإيمان بالله وحده :

من وسائل حصول الاطمئنان تحقق الإيمان الكامل بالله وحده لاشريك له

---

(١) سورة العنكبوت آية (٩) .

(٢) سورة الفجر آية (٣٠) .

(٣) انظر : النَّفس الإنسانية لسرسيق /٢٨ .

(٤) سورة الرعد آية (٢٨) .

فإن الاطمئنان ثمرة كمال الإيمان وقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين بأن يأمنوا ويهتدوا قال تعالى : { ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ } (١) وعدهم الله بأن يكون لهم الأمن وهذا مختص بهم وثابت لهم وهو الأمن من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

٣ - اليقين بوعد الله عز وجل وحصول الثواب العظيم والنعيم المقيم :

كما ورد في قوله تعالى : { فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي وَٱدْخُلِي جَنَّتِي } (٢) .

٤ - حصول رضا الله تعالى على عبده :

ويستمد الاطمئنان من رضا الله عز وجل على عبده فيورثه اطمئناناً في الدنيا واطمئناناً في الآخرة .

* * *

إن النَّفس المطمئنة هي نفس ثابتة مستبشرة بما بشَّرها الله تعالى به من الغايات العظمى، وهي أرقى درجة من النفس اللَّوامة، وأقرب إلى الله تعالى ، وهي ثمرة انتصار العبد على نفسه اللَّوامة، وثمرة جهاد النفس الذي هو موضوع البحث .

نسأله تعالى أن يرزقنا نفساً مطمئنة وأن يتقبلنا .

---

(١) سورة الأنعام آية (٨٢) .

(يلبسوا) يخلطوا وهو هنا مجاز في العمل بشيئين متشابهين .

(بظلم) الظلم الاعتداء على حق صاحب حق والمراد به هنا إشراك غير الله مع الله في إعتقاد الإلهية في العبادة . انظر : التحرير والتنوير ٣٣١/٧ .

(٢) سورة الفجر آية (٢٩-٣٠) .

المطلب السابع [المقصود بجهاد النّفس]

جهاد النّفس :

هو بذل الوسع واستفراغ ما في الطاقة لمدافعة ما تأمر به النفس من السوء في القول والفعل ، والعمل على طاعة الله ونيل رضاه باتباع أوامره واجتناب نواهيه .

مجاهدة النّفس وفضلها في نصوص القرآن والسنة :

١ - في معرض ذكر شرائع الدين أمر الله عز وجل عباده أن يعبدوا الله عز وجل وأن يفعلوا الخير وأمرهم بالجهاد (١) . قال تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (٢) .

٢ - لمّا بيّن الله عز وجل أن التكليف حسن واقع وأن عليه عز وجل وعداً وإيعاداً ليس لهما دافع، بيّن سبحانه أن مجاهدة المكلف للكفار، ومجاهدة نفسه على أعمال الطاعات، إنما أجر ذلك عائد عليه فإن الله غني غنىً مطلقاً عن ذلك (٣) قال تعالى:{ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (٤).

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ٢٣/٧٢ ، تفسير القرطبي ١٢/٩٩ .

(٢) سورة الحج آية (٧٨) .
قال القرطبي (الأمر بالجهاد فيه إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به والانتهاء عن كل مانهى الله عنه أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته والظلمة في رد ظلمهم والكافرين في رد كفرهم ..) تفسير القرطبي ١٢/٩٩ .
وقال الرازي (المحافظة على كل ما أمر به ونهى عنه يعتبر جهاداً) .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٥/٣٢ ، تفسير القرطبي ١٣/٣٢٧ ، التحرير والتنوير ٢٠/٢٠٩ .

(٤) سورة العنكبوت آية (٦) .
بمعني (أن من جاهد في الدين وصبر على مشاق الجهاد من قتال الكفار وأعمال الطاعات فإنما أجر ذلك وثوابه راجع له ولايرجع إلى الله نفع من ذلك فإن الله غني عن العالمين) انظر مراجع التفسير السابقة .

٣ – لمّا ذكر الله عز وجل سوء عاقبة الذين فتنوا في دينهم،فلم يجاهدوا أنفسهم لله،عقّب ذلك بتسلية المؤمنين الذين يجاهدون في الله (١) . قال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (٢).

٤ – في معرض ذكر المنافقين وبيان صفاتهم بيّن عز وجل أنه يبتلى المؤمنين ليختبرهم بذلك (٣) قال تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ } (٤) .

٥ – بعد أن بيّن الله عز وجل عاقبة من طغى وآثر الحياة الدنيا على الآخرة بقوله (٥) : { فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٣٦٤/١٣ ، حاشية الشهاب ١١٠/٧ ، تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ١١٠/٧ ، التحرير والتنوير ٣٦/٢١ .

(٢) سورة العنكبوت آية (٦٩) .

بمعنى [بذلوا غاية جهدهم بسبب مراقبتهم لله عز وجل.قال البقاعي (خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ماينبغي الجهاد فيه،بالقول والفعل،في الشدة والرخاء،ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدائد المحن، مستحضرين لعظمة الله عز وجل)] نظم الدرر ٤٨٢/١٤ ، السراج المنير ١٥٥/٣ [وإطلاق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعها من قتل،وأسر،وقمع للنفّس بالصبر على المكاره وعلى العبادات] انظر : البيضاوي وحاشية الشهاب على البيضاوي ١١٠/٧ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣٢٣/٦ ، السراج المنير ٣٣/٤ ، روح المعاني ٧٨/٢٦.

(٤) سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية (٣١) .

والمعنى [لنختبركم بالأوامر والنواهي حتى نعلم بهذا الإبتلاء المجاهدين منكم في القتال وفي سائر أعمال الشدائد والأهوال امتثالاً للأمر بذلك] تفسيرابن كثير ٣٢٣/٦ والسراج المنير ٣٣/٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري غير محقق ٤٨/٣٠ ، زاد المسير ٢٤/٩ ، تفسير القرطبي ٢٠٨/١٩ ، تفسير ابن كثير ٢١٠/٧ ، نظم الدرر ٢٤٤/٢١ .

الْمَأْوَىٰ } (١) . بيَّن عاقبة من جاهد نفسه فقال : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } (٢) .

(٦) أن الصحابة رضوان الله عليهم آمنوا إيماناً صادقاً خالياً من التأبي على الله ، فكانوا لايسمعون بطاعة أو قربة إلى الله تعالى إلاَّ ابتدروها وسارعوا إليها ، وقد ورد في رواية عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد . فقال : أحي والداك ؟ قال : نعم . قال ففيهما فجاهد) (٣) . قال ابن حجر (خصَّهما بجهاد النفس في رضاهما ويؤخذ منه أن كل شيء يتعب النفس يسمى جهاداً) (٤) . وذلك لما في رضى الوالدين من مشقة على الأبناء وخاصة إذا كبرا ، لذاك حض النبي صلى الله عليه وسلم على رضاهما خاصة في الكبر ، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رغم أنف ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف » قيل من يارسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنَّة » (٥) . وفي الحديث [حث على بر الوالدين وعظم ثوابه ، ومعناه أن برَّهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول

---

(١) سورة النازعات آية (٣٧ - ٣٩) .

(٢) سورة النازعات آية (٤٠ - ٤١) .

والمعنى [من خاف القيام بين يدي الله عز وجل ، وخاف حكم الله فيه ، ونهى نفسه عن هواها وردَّها إلى طاعة مولاها] انظر مراجع التفسير السابقة .

(٣) خ مع فتح الباري ٦ / ١٤٠ ك الجهاد باب الجهاد بإذن الأبوين .

م ٤ / ١٩٧٥ ك البر والصِّلة باب برِّ الوالدين وأنهما أُحق به .

نيل الأوطار ٨ / ٤ ك الجهاد باب إستئذان الأبوين .

(٤) فتح الباري ٦ /١٤٠ .

(٥) م ٤ / ١٩٧٨ ك البر والصِّلة باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنَّة .

=

الجنّة] (١) .

(٧) وفي بيان فضل الرباط في سبيل الله وأن الذي يجاهد نفسه يسمى مجاهداً ورد في الحديث عن فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل ميت يختم على عمله إلاّ الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنَّه يُنمَّي له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر . وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المجاهد من جاهد نفسه » (٢) . وفي رواية « المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل » (٣) . بمعنى قهر نفسه الأمَّارة وتغلب عليها وجذبها لفعل مايرضي الله عز وجل، ومنعها عن ارتكاب معاصيه، وجهادها أصل كل جهاد فإنه مالم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدو (٤) .

(٨) وفي باب من جاهد نفسه في طاعة الله أورد البخاري بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بينا أنا رديف النبي صلى اله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلاَّ آخرة الرحل فقال : يا معاذ ، قلت : لبيك يارسول الله وسعديك . ثم

= قال النووي [قال أهل اللغة معناه ذل وقيل كره وخزي وهو بفتح الغين وكسرها وهو الرُّغم بضم الراء وفتحها وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام وهو تراب مختلط برمل وقيل كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه] شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٨/١٦ .

(١) شرح النووي ١٦ / ١٠٩ .

(٢) سنن الترمذي ١٦٥/٤ ك فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً. وقال عقبه (حديث حسن صحيح)

(٣) صحيح ابن حبان ٦٩/٧ ك السير باب ذكر إنقطاع الأعمال من الموتى وبقاء عمل المرابط إلى يوم القيامة .
الفتح الربَّاني بترتيب مسند أحمد ١٠/١٤ ك الجهاد باب نقل الرباط في سبيل الله .

(٤) انظر تحفة الأحوذي على سنن الترمذي ٢٥٠/٥ .

سار ساعة ، ثم قال : يامعاذ ، قلت لبيك رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال : يامعاذ بن جبل ، قلت لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل تدري ماحق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . ثم سار ساعه ثم قال يامعاذ بن جبل ، قلت لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل تدري ماحق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : حق العباد على الله ألاّ يعذبهم » (١) .

وفي مطابقة الحديث للترجمة قال ابن حجر [المراد بالمجاهدة كف النّفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة] (٢) وقال العيني [إن فيه مجاهدة النفس بالتوحيد] (٣) لأن في مجاهدة النفس بالتزام العبادة، وعمل الطاعات، وإجتناب المعاصي والملذات، عنتاً ومشقة للنّفس، فمن هذا الالتزام بالعبادة وأداء حق الله على العبد أساس مجاهدة النّفس .

من النصوص السابقة تبين الآتي :

١ - أن مجاهدة النّفس هي إمتثال جميع ما أمر به، والانتهاء عن كل مانهى الله عنه، وذلك بكف النّفس عن الركون إلى الشّهوات والملذّات وإلزامها بالعبادات والعمل على طاعة الله، لأن النّفس إذا اندرجت في الشُّبهات، اعتادت الأخذ بالشّهوات، والملذّات، وقد تركن إلى ذلك فترتكب المعاصي والمنهيّات، فعلى الإنسان أن يجاهد نفسه بكل طاقته ووسعه، لكفها عن الشّهوات والركون إليها، لينال نصرة الله عز وجل، وهدايته إلى سبيله، كما دلّ عليه قوله تعالى : { وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ . } (٤) وقوله تعالى : { وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) خ مع فتح الباري ٣٣٧/١١ ك الرقاق باب من جاهد نفسه في طاعة الله . قوله [حق الله على العباد] الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة ويقال للكلام الصدق حق لأنّ وقوعه متحقق لا تردد فيه وكذا الحق المستحق على الغير لاتردد فيه . والمراد هنا مايستحقه الله على عباده مما جعله محتماً عليهم] ذكره ابن حجر عن ابن التيمي في التحرير . فتح الباري ٣٣٩/١١ .
(٢) فتح الباري ٣٣٩/١١ .
(٣) عمدة القارىء ٨٧/٢٣ ك الرقاق .باب من جاهد نفسه في طاعة الله .
(٤) سورة الحج آية (٧٨) .

هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } (١) .

٢ - أن من استهدى الله، واستعان به على لزوم طريق الهداية ولزوم الطاعات، أعانه الله على ذلك، وهداه إليه، وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (٢) . قال البيضاوي [واطلاق المجاهدة ليعم .... قمع النفس بالصبر على المكاره، وعلى العبادات.](٣) وقال ابن القيم [علّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل النّاس هداية أعظمهم جهاداً : أو أفرض الجهاد جهاد النّفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيه فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنّته، ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد] (٤) .

٣ - أن الله عز وجل يبتلي عباده بالشدائد والمحن، والأوامر، والنواهي، ليمحص المجاهدين منهم، والصابرين على مشاق التكليف والإبتلاء، من غيرهم، وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ } (٥) .

فإن الإبتلاء يمحّص النفوس، فالمؤمن الذي يجاهد نفسه يصبر على أداء الطاعات، ويمنع نفسه من ارتياد الشّهوات والملّذات التي تدفع إلى ارتكاب المحظورات، مهما بلغ مشقة ذلك، وقد قيل [إن عامة مصالح النّفوس في مكروهاتها كما أنّ عامة مضارّها وأسباب هلكتها في محبوبتها] (٦) .

---

(١) سورة الحج آية (٧٨) .

(٢) سورة العنكبوت آية (٦٩) .

(٣) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل مع حاشية الشهاب ٧/١١٠ .

(٤) الفوائد (٥٩) .

(٥) سورة محمد آية (٣١) .

(٦) الفوائد (٩٢) .

ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم [حجبت النّار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره] (١) .

٤ - إن مجاهدة النّفس أصل كل جهاد، لأن الإنسان مأمور بإفراد الله بالعبودية، والتزام أوامره، واجتناب نواهيه، ومأمور بعدم الركون إلى الشّهوات والملّذات، ومأمور بالإكثار من الطاعات والعبادات، فمن لم يستطع كبح جماح شهواته وملذاته لن يتمكن من عدوه، وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث « المجاهد من جاهد نفسه في الله » (٢) . وقوله عليه الصلاة والسلام « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » (٣) .

٥ - من جاهد نفسه وتمكّن من قهر شهواتها وهواها، استحق ما وعده الله به في قوله تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } (٤) .

---

(١) خ مع فتح الباري ٣٢٠/١١ ك الرقاق باب حجبت النار بالشهوات .

(٢) سبق تخريجه ص (١١٣) .

(٣) سبق تخريجه ص (١١٤) .

(٤) سورة النازعات آية (٤٠ - ٤١) .

الباب الأول
أُمراض النَّفس وآفاتها

الفصل الأول :

أمراض العقيدة : ويتضمن الآتي :

١ - الشــرك .

٢ - الشــك .

٣ - الوسوسة .

الفصل الثاني :

أمراض القوّة : ويتضمن الآتي :

١ - الكبــر .

٢ - الخيــلاء .

٣ - الفخــر .

٤ - المَــنّْ .

٥ - الغضـب .

٦ - الجــدل .

٧ - القسـوة .

الفصل الثالث :

أُمراض الضعف : ويتضمن الآتي :

١ - الجبــن .

٢ - الجــزع .

٣ - اليــأس .

٤ - الإستكانة .

٥ - الحســد .

٦ - النفــاق .

تمهيد :

المرض في اللغة :

أمراض جمع مرض . والمرض في اللغة يأتي لعدة معان :-

١ - نقيض الصحة،وهو السقم،أو حالة خارجة عن الطبع (١) .

قال ابن فارس : [الميم والراء والضاد أصل يدل على مايخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان ...] (٢) .

٢ - إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها (٣) .

٣ - الفتور والضعف في البدن (٤)

يقال : إمرأة مريضة النظر أي ضعيفة النظر (٥) .

قال ابن منظور : [قال ابن عرفة : المرض في الأبدان فتور الأعضاء وفي العين فتور النظر ..] (٦) .

٤ - ضعف القلب وفتوره عن الحق (٧) .

٥ - وورد في لغة العرب وصف الليلة بالمرض (٨) .

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ٣٦٧/٢ ؛ الصحاح ١١٠٦/٣ ؛ مقاييس اللغة ٣١١/٥ ؛ لسان العرب ٢٣١/٧ .

(٢) مقاييس اللغة ٣١١/٥ .

(٣) انظر : لسان العرب ٢٣٢/٧ ؛ القاموس المحيط ٣٤٤/٢ .

(٤) انظر : جمهرة اللغة ٣٦٧/٢ ؛ الصحاح ١١٠٦/٣ ؛ لسان العرب ٢٣٢/٧ ؛ القاموس المحيط ٣٤٤/٢ .

(٥) انظر : جمهرة اللغة ٣٦٧/٢ .

(٦) انظر / لسان العرب ٢٣٢/٧ .

(٧) انظر : لسان العرب ٢٣٢/٧ ؛ القاموس المحيط ٣٤٤/٢ .

(٨) انظر : أساس البلاغة /٤٢٦ ؛ الصحاح ١١٠٦/٣ ؛ لسان العرب ٢٣٢/٧ .

قال الشاعر :

وليلة مرضت من كل ناحية .'. فما يضيء فيها نجم ولا قمر (١)

٦ - النقصان :

يقال بدن مريض ناقص القوة (٢) .

المرض في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال كلمة (مرض) في القرآن والسنة بمعنى خروج الطبع عن الاعتدال الخاص بالإنسان ويكون على ضربين . جسمياً ونفسياً (٣) .

الأول : المرض الجسماني :

ورد في القرآن والسنة في مواضع منها :

قوله تعالى : { فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ } (٤) .

وقوله تعالى : { لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ } (٥) .

وقوله تعالى : { وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ } (٦) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « أطعموا الجائع وعودوا المريض » (٧) .

---

(١) البيت لأبي حية النميري شعره (١٤٨) قاله محقق نزهة الأعين وذكره ابن منظور .

(٢) انظر : لسان العرب ٢٣٢/٧ ؛ القاموس المحيط ٣٤٤/٢ .

(٣) انظر الأشباه والنظائر/١٠١ ؛ إصلاح الوجوه والنظائر/٤٣٢ ؛ المفردات/٤٦٦ ؛ نزهة الأعين النواظر/٥٤٥ ؛ النهاية ٤١٩/٤ ؛ بصائر ذوي التمييز ٤٩٢/٤ ؛ الكليّات ٤١/٣ .

(٤) سورة البقرة آية (١٨٤) .

(٥) سورة النور آية (٦١) .

(٦) سورة المائدة آية (٦) .

(٧) خ مع فتح الباري ١١٢/١٠ ك المرض باب وجوب عيادة المريض .

وقوله صلى الله عليه وسلم « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .. وخذ من صحتك لمرضك » (١) .

قال ابن حجر [المراد بالمرض هنا مرض البدن وقد يطلق المرض على مرض القلب] (٢) .

ثانياً : المرض النفساني :

وهو عبارة عن الجهل، والشك، والنفاق، والظلم، وجميع الرذائل، والسجايا الخبيثة .*

ومن ذلك قوله عز وجل : { فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً } (٣) أي شك (٤) .

وقوله تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ } (٥) أي نفاقاً (٦) .

وقوله تعالى : { رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } (٧) .

وقوله تعالى : { لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ } (٨) .

وقد ورد ذكر المرض بهذا المعنى في مواطن كثيرة من القرآن الكريم .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « .. ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت

---

(١) خ مع فتح الباري ٢٣٣/١١ ك الرقاق باب كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .

(٢) انظر / فتح الباري ١٠٤/١٠ ك المرضى .

(٣) سورة البقرة آية (١٠) .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن /٤١ ؛ العمدة في غريب القرآن /٧٠ .

(٥) سورة التوبة آية (١٢٥) .

(٦) أنظر تفسير الطبري المحقق ٥٧٨/١٤ .

(٧) سورة محمد آية (٢٠) .

(٨) سورة الأحزاب آية (٦٠) .

(*) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٤٩٢) .

صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » (١) .

وفيه دلالة على أن القلب يمرض ويصيبه السقم كما يصيب البدن .

قال ابن حجر [... وعبر في بعض رواياته عن الصلاح والفساد بالصحة والسقم] (٢) .

* * *

تبين مما سبق أن كلمة (مرض) مشترك لفظي استعمل في معنيين :

الأول : مرض البدن والثاني : مرض القلب

هذا وإن أمراض القلوب كثيرة فكل فساد يصيب القلب يحيد به عن طريق الاستقامة وعن إتباع ما أنزل الله فهو مرض .

وقد صنفت أمراض القلوب على النحو التالي :

أولاً : أمراض العقيدة : كالشرك،والشك،والوسوسة .

ثانياً : أمراض القوة : كالكبر، والفخر، والمن،والغضب،ونحوه من أمراض مبعثها القوة والسلطة .

ثالثاً:أمراض الضعف : كالجبن،والجزع ،والنفاق،ونحوه من أمراض مبعثها الضعف والإستكانة ونحوه .

---

(١) خ مع فتح الباري ١/١٢٩ ك الإيمان باب فضل من إستبرأ لدينه .

(٢) انظر فتح الباري ١/١٢٩ .

الفصل الأول [أمراض العقيدة]

[أ] الشـــرك

الشرك في اللغة :

الشرك مصدر شركته في الأمر أشركه ، ويجمع على أشراك وشركاء وهي شريكة (١)

ويطلق في اللغة على معان :

١ – الشركة مخالطة الشريكين (٢)

وهي [تعني أن شخصاً إتخذ له شريكاً في عمل يقوم به ..] (٣) .

قال الجعدي :

وشاركنا قريشا في تقاها .·. وفي أحسابها شرك العنان (٤)

٢ – الحصة والنصيب : (٥)

ويجمع شرك على أشراك كشبر وأشبار

قال عبيد :

تطير عدائد الأشراك شفعاً .·. ووتـراً والزعامـة للغـلام (٦)

قال الأزهري : [الأشراك جمع الشرك وهو النصيب كما يقال : قسم وأقسام فإن شئت جعلت الإشراك في بيت لبيد جمع شريك وإن شئت جعلته شرك وهو النصيب] (٧) .

---

(١) انظر : غريب القرآن /٢٧ ؛ المفردات /٢٥٩ ؛ نزهة الأعين /٣٧١ ، لسان العرب ٤٤٨/١٠ ؛ القاموس المحيط ٣٠٨/٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ١٧/١٠ ؛ الصحاح ١٥٩٣/٤ ؛ تاج العروس ١٤٨/٧ .

(٣) انظر الموسوعة الفقهية ٣١٤/١١

(٤) النابغة الجعدي . ديوانه (١٦٤) .

(٥) أنظر : تهذيب اللغة ١٧/١٠ ؛ الصحاح ١٥٩٣/٤ ؛ تاج العروس ١٤٨/٧ .

(٦) انظر تهذيب اللغة ١٧/١٠ .

(٧) تهذيب اللغة ١٧/١٠ .

٣ - النسب والمصاهرة :

يقال: هذه شريكتي ويقال في المصاهرة رغبنا في شرككم أي في مصاهرتكم (١) .

٤ - الكفر بالله : (٢)

وهو أن يعدل بالله شيئاً من خلقه في ربوبيته فيجعله شريكاً مع الله (٣).

قال ابن دريد : [والإشراك مصدر أشرك بالله تعالى وهو أن يدعو معه غيره] (٤) .

<u>الشرك في استعمالات القرآن والسنة :</u>

ورد (الشرك) في مواضع عديدة من القرآن والسنة لمعان متعددة منها :

أولاً : الشرك بالله تعالى : (٥)

وهو أن يعدل بالله غيره

ومنه قوله تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ } (٦) .

وقوله تعالى : { أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ } (٧) .

وقوله تعالى : { يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (٨) .

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/١٧ ؛ القاموس المحيط ٣/٣٠٨ ؛ تاج العروس ٧/١٤٨ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ٢/٣٤٨ ؛ تهذيب اللغة ١٠/١٦ ؛ الصحاح ٤/١٥٩٣ ؛ القاموس المحيط ٣/٣٠٨ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٠/١٦ ؛ المفردات /٢٥٩ ؛ لسان العرب ١٠/٤٥٠ ؛ بصائر ذوي التمييز ٣/٣١٢ .

(٤) جمهرة اللغة ٢/٣٤٨ .

(٥) إصلاح الوجوه والنظائر /٢٦٢ ؛ المفردات /٢٥٩ ؛ نزهه الأعين النواظر /٣٧٢ ؛ النهاية في غريب الحديث ٢/٤٦٧ ؛ بصائر ذوي التمييز ٣/٣١٤ .

(٦) سورة النساء آية (٤٨) .

(٧) سورة التوبة آية (٣) .

(٨) سورة لقمان آية (١٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « من حلف بشيء دون الله تعالى فقد أشرك » (١)

وفي رواية « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٢) .

وذلك لأنه جعل مالايحلف به محلوفاً به كإسم الله الذي يكون به القسم (٣)

ثانياً : الشرك في الطاعة من غير عبادة : (٤)

منه قوله تعالى : { فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا } (٥) .

أي جعلا له شركاء في الإسم لا في العبادة (٦) .

ومنه قوله تعالى : { إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ } (٧) أي بطاعتكم إياي في الدنيا (٨) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك » (٩) .

---

(١) مسند أحمد المحقق ٧/٥٥ حديث رقم (٤٩٠٤) .

(٢) مسند أحمد المحقق ٧/٢٠٠ حديث رقم (٥٣٧٥) .
ت ٤/١١٠ ك النذور باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله .

(٣) انظر / النهاية في غريب الحديث ٢/٤٦٧ .

(٤) إصلاح الوجوه والنظائر (٢٦٢) ؛ نزهة الأعين النواظر /٣٧٢ .

(٥) سورة الأعراف آيه (١٩٠) .

(٦) انظر : تفسير الطبري المحقق ٣/٣١٥ .

(٧) سورة إبراهيم آية (٢٢) .

(٨) انظر تفسير الطبري المحقق ١٦/٥٦٣ ؛ روح المعاني ١٣/٢١١ .

(٩) ت ٤/٦١ ك السير باب ماجاء في الطيرة . وقال أبوعيسى حسن صحيح .
د مع مختصره ٥/٣٧٤ ك الطب باب في الطيرة .
جه ٢/٢٨٧ أبواب الطب باب من كان يعميه الفأل ويكره الطيرة .

ثالثاً : الريـاء : (١) .

ومنه قوله تعالى : { وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (٢) أي لايرائـي بعمله أحداً (٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أُشرك فيه معي غيري تركته وشركه » (٤) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « الرياء شرك » (٥) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل » (٦) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « من صلى وهو يرائي الناس فقد أُشرك، ومن صام يرائي فقد أُشرك، ومن تصدق وهو يرائي فقد أُشرك » (٧) .

---

(١) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر/٢٦٣ ؛ المفردات /٢٦٠ ؛ نزهة الأعين /٣٧٢ ؛ النهاية في غريب الحديث ٤٦٧/٢ ؛ بصائر ذوي التمييز ٣١٤/٣ .

(٢) سورة الكهف آية (١١٠) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٧٠/١١ ؛ تفسير ابن كثير ٤٣٢/٤ ؛ روح المعاني ٥٤/١٦ .

(٤) م ٢٢٨٩/٤ ك الزهد والرقاق باب من أشرك في عمله غير الله .
قال النووي [ورد في بعض الأصول وشركه وفي بعضها وشريكه وفي بعضها وشركته ومعناه أنا غني عن المشاركه فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير والمراد أن عمل المرائي باطل لاثواب فيه ويأثم به] شرح النووي على صحيح مسلم ١١٥/١٨ .

(٥) ت ١١٠/٤ ك نذور باب (٨) .

(٦) مستدرك الحكم ٣٢٩/٤ ك الرقاق باب أن الرياء الشرك الأصغر . وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . فيض القدير ١٧٢/٤ .

(٧) مستدرك الحاكم ٣٢٩/٤ ك الرقاق باب أن الرياء الشرك الأصغر . أخرجه الحاكم وسكت عنه وسكت الذهبي أيضاً .

رابعاً : الحصة والنصيب :

منه قوله تعالى : { وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي } (١)

وقوله تعالى :{ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ }(٢) أي يقتسمونه فيما بينهم بالسوية وذلك في نصيب الإخوة لأم في التركة (٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « من أعتق شقصاً له من عبد أو شركاً أو قال : نصيباً وكان له مايبلغ ثمنه بقيمة العدل فهو عتيق .. » (٤) .

خامساً : خلط الملكين :

ومنه قوله تعالى : { أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ -------} (٥) أي أم لهم شركة مع الله في خلق السموات (٦) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون شركاء في ثلاث في الكلأ والماء والنار » (٧) .

ومنه ماورد عن الأنصار أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : لا . فقالوا تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة ،

---

(١) سورة طه آية (٣٢) .
أنظر تفسير القرطبي ١١/١٩٤ ؛ تفسير ابن كثير ٤/٥٠٥ .

(٢) سورة النساء آية (١٢) .

(٣) انظر روح المعاني ٤/٢٣١ .

(٤) خ مع فتح الباري ٥/١٣٢ ك الشركة باب تقويم الأشياء بين الشركاء بقيمة العدل .

(٥) سورة فاطر آية (٤٠) .

(٦) انظر تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٧/٢٢٩ .
قال الشهاب [الشرك مصدر بمعنى الشركة . ويكون بمعنى النصيب ويكون إسماً من الشرك بالله] حاشية الشهاب ٧/٢٢٩ . وانظر : الكشاف ٣/٢٧٨ ؛ تفسير أبي السعود ٧/١٥٥ .

(٧) مختصر سنن أبو داود ٥/١٢٣ ك البيوع باب في منع الماء . (رواه أبو داود وسكت عنه وكذا المنذري).
جه ٢/٦٨ أبواب الأحكام باب المسلمون شركاء في ثلاث .
وقال المحقق:[في الزوائد ضعيف وله شاهد في سنن أبي داود] (بتصرف) .

قالوا : سمعنا وأطعنا » (١) .

وقد ورد للشرك بمعنى الكفر بالله أساليب مرادفة له :

١ - إتخاذ الند لله تعالى .

٢ - إتخاذ الأرباب من دون الله .

٣ - جعل العبد نداً لله .

١ - منه قوله تعالى حكاية عن شرك أهل الكتاب : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٢) .

٢ - ومنه مارواه عدي بن حاتم قال : [أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب . فقال : « ياعدي : اطرح عنك هذا الوثن . وسمعته يقرأ في سورة براءة { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ } قال :

---

(١) خ مع فتح الباري ٨/٥ ك الحرث باب إذا قال الغني مؤونة النخل وغيره وتشركني في الثمر .
٣٣٢/٥ ك الشروط باب الشروط في المعاملة .

(٢) سورة التوبة آية (٣١) .
[(أحبارهم) العلماء] . انظر تفسير الطبري المحقق ٥٤٣/٦ ، ٥٤٤ .
[(رهبانهم) هم أصحاب الصوامع وأهل الإجتهاد في دينهم منهم] . انظر الطبري المحقق ٢٠٩/١٤ .
(أرباباً) سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيحلّون ماأُحلّوه لهم مما قد حرمه الله عليهم ويحرمون مايحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم كما ورد في الأثر عن عدي بن حاتم قال [أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب ...] انظر : تفسير الطبري المحقق ٢٠٩/١٤ .
قال المحقق تفسير الطبري [حديث عدي بن حاتم رواه أبو جعفر من ثلاث طرق متابعة كلها من طريق عبدالسلام بن حرب ... ورواه الترمذي وقال حسن غريب ..] .

أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوه وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه »] (١) .

٣ - ومنه قوله تعالى : { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ } (٢) .

٤ - ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لمّا سئل أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك .. » (٣) .

والمقصود بالشرك في بحثي هو ماورد بمعنى الشرك بالله في العبادة ، والطاعة ، والرياء .

الشرك وأضراره في القرآن والسنة :

ورد ذكر الشرك في القرآن والسنة في نصوص كثيرة تتضمن جميع أنواع الشرك بالله،عرضها القرآن بأساليب متنوعة،فتارّة بالتحذير من الشرك

---

(١) ت ٢٧٨/٥ ك التفسير باب تفسير سورة (١٠) . وقال حديث غريب لانعرفه إلاّ من حديث عبدالسلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث .
الدر المنثور ٢٣٠/٣ [ذكره السيوطي وعزاه إلى ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه] .

(٢) سورة البقرة آية (١٦٥) .
قال أبو جعفر [الأنداد جمع ند والند : العدل والمثل كما قال حسان بن ثابت :
أتهجوه ولست له بند   فشرّكما لخير كما الفداء .
يعني بقوله : ولست له بند لست له بمثل ولا عدل وكل شيء كان نظيراً لشيء وله شبيهاً فهو له نده وروى عن قتادة ومجاهد في قوله { فلاتجعلوا لله أنداداً } أي عدلاء] انظر : الطبري ٣٦٨/١ .

(٣) خ مع فتح الباري ٤٩١/١٣ ك التوحيد باب فلاتجعلوا لله أنداداً .

بالله، وتارةً بالترهيب من سوء مآل ومصير المشركين، وتارةً ببيان أن الشرك بالله وبال وخسارة على المشرك في الدنيا والآخرة منها :

١ - لما هدد الله عز وجل الذين أوتوا الكتاب على عدم إيمانهم به وبيَّن عز وجل أنه لايغفر الشرك به وأنه قد يغفر ماشاء من سائر الذنوب إلا الشرك فإنه لايغفره إلا بالتوبة (١) . قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } (٢) .

٢ - في مقام بيان أن الله يغفر الذنوب جميعها إلا الشرك بالله . فإن من أشرك بالله كان ممن حتم عليه أنه من أهل النّار (٣) . قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (٤) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٤٤٨/٨ ؛ تفسير الفخر الرازي ١٢٣/١٠ .

(٢) سورة النساء آية (٤٨) .

قوله { فقد افترى } [من الفرى بمعنى القطع . يقال : إفترى فلان الكذب إذا إعتمده واختلقه والمراد أنه إختلق إثماً عظيماً . قال ابن جرير : وإنما ذكره مفترياً لأنه قال زوراً وإفكاً بجحوده وحدانية الله وإقراره بأن لله شريكاً من خلقه وصاحبه أو ولداً ففاعل ذلك مفتر وكذلك كل كاذب فهو مفتر في كذبه مختلق له] انظر تفسير الطبري المحقق ٤٥١/٨ ؛ تفسير الفخر الرازي ١٢٦/١٠ .

(٣) انظر تفسير الطبري المحقق ٢٠٦/٩ ؛ نظم الدرر ٤٠٣/٥ ؛المنار ٤٢٠/٥

(٤) سورة النساء آية (١١٦) .

قوله { فقد ضل ضلالاً بعيداً } [أي ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل ذهاباً بعيداً وزوالاً شديداً وذلك أنه باشراكه بالله في عبادته قد أطاع الشيطان وسلك طريقه وترك طاعة الله ومنهاج دينه فذاك هو الضلال البعيد والخسران المبين] وتفسير الطبري المحقق ٢٠٧/٩ .

٣ - في معرض الكشف عن ضلال المشرك،وثمرة إشراكه بالله،وبيان فظاعة مآله ومصيره،وأن عمله هباء،وهلاكه حاصل ومحقق،(١) قال تعالى : { وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } (٢) .

٤ - في معرض الثناء علي حكمة لقمان وبيان أن خير مايعظ به الإنسان قريبه وعامة الناس هو النهي عن الشرك بالله (٣) قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (٤) .

ومنه ماروأه عبدالله رضي الله عنه قال : لما نزلت الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٢/٥٥ ؛ تفسير ابن كثير ٤/٦٣٦ ؛ التحرير والتنوير ١٧/٢٥٤ .

(٢) سورة الحج آية (٣١) .

قوله [{ خر } الخرور السقوط { تخطفه } مضاعف خطف للمبالغة . والخطف أخذ شيء بسرعة سواء كان في الأرض أم كان في الجو . والمراد : تقطعه الطير بمخالبها . وقيل هذا عند خروج الروح وصعود الملائكة بها إلى السماء الدنيا فلا يفتح لها فيرمى بها في الأرض .

{ تهوي } الهوي نزول الشيء من علو إلى أسفل { سحيق } البعيد فلا نجاة لمن دخل فيه] . انظر : تفسير القرطبي ١٢/٥٥ ؛ تفسير ابن كثير ٤/٦٣٦ ؛ التحرير والتنوير ١٧/١٥٤ .

(٣) انظر تفسير الطبري محقق ٢١/٦٨ ؛ تفسير الفخر الرازي /١٤٦ ؛ نظم الدرر ١٥/١٦٠ .

(٤) سورة لقمان آية (١٣) .

قوله { لظلم عظيم } قال الزمخشري [لأن التسوية بين من لانعمة إلاّ منه ومن لانعمة منه البتة،ولايتصور أن تكون منه ظلم لايُكْتَنَه عظمه] الكشاف ٣/٢١٢ . وقال الرازي [أما أنه ظلم فلأنه وضع العبادة في غير وجهها وهو غير وجه الله تعالى] الفخر الرازي /١٤٦ .

﴿يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان { إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } » (١) .

٥ - ومنه بيان أن الشرك أكبر الكبائر في قوله صلى الله عليه وسلم « أكبر الكبائر الإشراك بالله » (٢) .

٦ - في مقام التشنيع على المشركين إذ حاولوا أن يعترف النبي صلى الله عليه وسلم بأصنامهم،فكان الرد عليهم فيه إحباط لهم وتثبيط،وذلك ببيان أن رسالة التوحيد هي رسالة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله (٣) قال تعالى : { وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ } (٤) .

---

(١) خ مع فتح الباري ٢٦٤/١٢ ك إستتابة المرتدين باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة . قال ابن حجر [قال ابن بطال : الآية تدل على أنه لا إثم أعظم من الشرك وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فالمشرك أصل من وضع الشيء في غير موضعه لأنه جعل لمن أخرجه من العدم إلى الوجود مساوياً فنسب النعمة الي غير المنعم بها] وقال ابن حجر [وأما معنى اللّبس : فليس الايمان بالظلم أن يصدّق بوجود الله ويخلط به عبادة غيره ويؤيده قوله تعالى : { ومايؤمن أكثرهم إلاّ وهم مشركون } . انظر : فتح الباري ٢٦٤/١٢ . الآية {الذين آمنوا... } سورة الأنعام آية (٨٢)

(٢) خ مع فتح الباري ٢٦٤/١٢ ليست إستتابة المرتدين باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة .

(٣) انظر : نظم الدرر ٥٤٧/١٦ ؛ التحرير والتنوير ٥٨/٢٤ .

(٤) سورة الزمر آية (٦٥) .[الحبط : البطلان والدحض . حبط عمله ذهب باطلاً والمراد بالعمل هنا العمل الصالح الذي يرجى منه الجزاء الحسن الأبدي] التحرير والتنوير ٥٨/٢٤ .

قال ابن حجر [قال ابن بطال الآية { لئن أشركت ليحبطن عملك } خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والإحباط المذكور مقيد بالموت على الشرك لقوله تعالى { فيمن بعث وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم }] فتح الباري ٢٦٤/١٢ .

٧ - في بيان سوء عاقبة المشركين :

(١) في مقام الإخبار عن بعض مافتن به الإسرائيليون الذين اعتقدوا أن لاتكون فتنة،أخبر عز وجل أنه عندما ابتلاهم واختبر ميثاقهم الذي أخذه عليهم ألاّ يعبدوا إلاّ الله، فإذا بهم يدّعون الألوهية لعبد من عباد الله ولمخلوق من خلقه يدعوهم للإيمان بالله وعدم الشرك به، وذلك إشارةٌ إلى فساد فطرتهم وبيان سوء عاقبتهم (١) قال تعالى : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } (٢) .

(٢) في مقام الإخبار عن مآل الفجار المشركين بالله من كفرة أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة، والجاحدين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم،(٣) قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } (٤) .

(٣) ومما ورد في بيان سوء عاقبة المشركين قوله صلى الله عليه وسلم « من مات يشرك بالله شيئاً دخل النّار ... » (٥) .

(٤) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « من لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنّة ومن لقيه يشرك به دخل النّار » (٦) .

---

(١) انظر تفسير الطبري المحقق ٤٨٠/١٠ ، نظم الدرر ٢٤٩/٦ .

(٢) سورة المائدة آية (٧٢) .

(٣) انظر تفسير الطبري غير المحقق ٢٦٤/٣ ؛ تفسير ابن كثير ٣٤٦/٧ .

(٤) سورة البينة آية (٦) .

(٥) خ مع فتح الباري ١١٠/٣ ك الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله .

م ٩٤/١ ك الإيمان باب من مات لايشرك بالله شيئاً .

(٦) م ٩٤/١ ك الإيمان باب من مات لايشرك بالله شيئاً .

٨ - وفي بيان تحقق خسارتهم وهلاكهم في الآخرة :

(١) في مقام التهكم بالمشركين والتنديد بسوء أعمالهم والتشنيع عليهم بيّن عز وجل أنهم لايفلحون في الدنيا بإدعائهم الشريك لله ولا في الآخرة فإنه سينالهم العذاب (١) .

قال تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ } (٢) .

(٢) في معرض التنكيل بالمشركين وفضحهم والتشنيع عليهم كشف عز وجل عن حالهم يوم القيامة وتنكيل شركائهم لهم (٣) قال تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ } (٤) .

---

(١) انظر تفسير الطبري المحقق ٢١٧/١١ .

(٢) سورة الأنعام آية (٢٢) .

(٣) تفسير الطبري المحقق ٧٧/١٥ ؛ تفسير الفخر الرازي ٨٢/١٧ .

(٤) سورة يونس آية (٢٨) .

قوله : { فزيّلنا } قال الفراء [من زلت ذا من ذا . إذا فرفت أنت ذا من ذا . وقال (فزيّلنا) لكثرة الفعل ولو قلّ لقلت زل ذا من ذا. كقولك مز ذا من ذا . والمعنى : فرّقنا بين المشركين بالله وما أشركوا به وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا] انظر معاني القرآن ٦٤٢/١ ؛ تفسير الطبري المحقق ٧٧/١٥ ؛ تفسير الفخر الرازي ٨٣/١٧ .

قوله { وقال شركاؤهم ماكنتم إيانا تعبدون } قال الرازي [أضاف الشركاء إليهم لوجوه : الأول : أنهم جعلوا نصيباً من أموالهم لتلك الأصنام فصيروها شركاء لأنفسهم في تلك الأموال فلهذا قال تعالى : { وقال شركاؤهم }.والثاني أنه يكفي في الإضافه أدنى تعلق فلما كان الكفار هم الذين أثبتوا هذه الشركة لاجرم حسنت إضافة الشركاء إليهم . الثالث : أنه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله (مكانكم) صاروا شركاء في هذا الخطأ] تفسير الفخر الرازي ٨٣/١٧ .

(٣) ومنه قال تعالى : { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (١) .

(٤) ومنه قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ } (٢) .

(٥) ومنه قوله تعالى : { وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } (٣) .

(٦) ومنه ماورد في تنكيل الشركاء يوم القيامة للذين أشركوا قوله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله النّاس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمسَ ويتّبع من كان يعبد القمر القمر ويتّبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت .. » (٤) فتقودهم آلهتهم إلى جهنم حيث مآلهم ومصيرهم المحتوم .

---

(١) سورة النحل آية (٨٦) .
قوله{فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون} [وذلك فضيحة للكفار حيث ينطق الله معبوديهم فينكرون عبادتهم لهم وأنهم ما أمروهم بعبادتهم] وقوله : { وضلّ عنهم ماكانوا يفترون } [أي زال عنهم مازيّن لهم الشيطّان وماكانوا يؤملون من شفاعة آلهتهم] أنظر : تفسير القرطبي ١٦٣/٩ ؛ نظم الدرر ٣٣٠/١١ .

(٢) سورة إبراهيم آية (٢٨ - ٣٠) .

(٣) سورة الزمر آية (٨) .

(٤) م ١٦٣/١ ك الإيمان باب معرفة طريق الرؤية .
قوله (الطواغيت : جمع طاغوت قال النووي [قال أبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت: كل مايعبد من دون الله] شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/٣ .

من النصوص السابقة تجلّت الحقائق التالية :

١ - أن ذنب الشرك لايغفر فالمشرك بالله لايغفر الله له ذنبه وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ } حيث أطلق أما غير الشرك من المعاصي فإن الله يغفرها إذا شاء { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ } خصص وقيد المغفرة فيما دون الشرك بمشيئته .

٢ - أن الشرك بالله تعالى آفة تصيب الفطرة السليمة فتحيد بها عن طريق المحجة البيضاء وتسلك بها طريق الضلال والغواية في الدنيا والذي مآله الهلاك في الآخرة وذلك مادل عليه قوله تعالى { وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } .

٣ - أن الشرك بالله سبب الخسارة في الدنيا والهلاك في الآخرة فمن الخسائر في الدنيا :

١ - مقت المؤمنين للمشركين وعدم موالاتهم ونفور طباع المؤمنين من الاقتران بهم في أي شأن من شؤون الحياة .

٢ - الضلالة عن طريق الحق والهدى والإستقامة .

٣ - حرمانه نصرة الله تعالى في الدنيا والآخرة .

٤ - وصمه بأبشع صفة { أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } .

من أضرار الشرك في الآخرة :-

١ - إحباط عمل المشرك صغيره، وكبيره، لقوله تعالى : { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } .

٢ - سوء عاقبته، وضياع أجر عمله، ويصبح كمن خرّ من السماء فاختطفه الطير فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة (١) . وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { .. وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } .

---

(١) انظر تفسير الكشاف ٣٢/٣ .

٣ – حرمانه الجنّة .

٤ – جعل مأواه النّار . وبئس المصير . والخلود فيها .

٥ – يحشر مع من أشرك بهم . مع تنكر من أشرك بهم منهم، ومن شركهم، وتخليهم عن نصرتهم، لقوله تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ } (١) وقوله تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ } (٢) .

وقوله تعالى : { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ . فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (٣) .

٤ – أن الشرك الذي إهتم القرآن وجميع الأنبياء بمحاربته هو: أن يتخذ له سبحانه شريك فيما هو من خصائص الألوهية، وهي السلطة "الغيبية" المهيمنة وراء الأسباب، والسنن، والتي بها يتعلق الرجاء في الحصول على المحبوب، أو دفع المكروه ، فهذه السلطة لله وحده خالق المحبوب والمكروه ، خالق الأسباب وحاكمها، ومديرها، وليس منها شيء لاحد سواه لا بطريق الذات، ولا بطريق المنح والعطايا حتى يصح أن يدعى أو يتجه إليه بالخوف أو الرجاء، وعلى هذا فمن اعتقد أن شيئاً من هذه السلطة لغير الله فقد أشرك بالله (٤) .

---

(١) سورة الأنعام آية (٢٢) .

(٢) سورة يونس آية (٢٨) .

(٣) سورة النحل آية (٨٦) .

(٤) انظر : تفسير شلتوت /٤٠ ؛ المنار ١٤٨/٥ .

[٢] الشك

الشك في اللغة :

ورد في لغة العرب بمعان متعددة منها :

١ - **خلاف اليقين** : (١)

يقال : شك في الأمر وتشكك وشككه غيره (٢)

٢ - **الخرق** :

يقال : شككت الشيء أي خرقته،يقال : شكه بالرمح أي خرقه وأدخله اللَّحم (٣) .

قال الشاعر :

فشككت بالرمح الطويل ثيابه .·. ليس الكريم على القنا بمحرَّم (٤)

قال ابن فارس [أصل واحد مشتق بعضه من بعض يدل على التداخل من ذلك قولهم شككته بالرمح وذلك إذا طعنته فداخل السنان جسمه] (٥) .

قال الراغب [فكأن الشك الخرق في الشيء وكونه بحيث لايجد الرأي مستقراً يثبت فيه ويعتمد عليه] (٦) .

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ١/٩٨ ؛ الصحاح ٤/١٥٩٤ ؛ مقاييس اللغة ٣/١٧٣ ؛ المصباح المنير ١/٣٢٠ ؛ القاموس المحيط ٣/٣٠٩ ؛ تاج العروس ٧/١٥٠ .

(٢) انظر : الصحاح ٤/١٥٩٤ ؛ القاموس المحيط ٣/٣٠٩ .

(٣) انظر : جمهرة اللغة ١/٩٨ ؛ الصحاح ٤/١٥٩٤ ؛ مقاييس اللغة ٣/١٧٣ ؛ القاموس المحيط ٣/٣٠٩ .

(٤) الشاعر عنتره العبسي في معلقته ديوانه (٢٦) .

(٥) مقاييس اللغة ٣/١٧٣ .

(٦) المفردات في غريب القرآن /٢٦٥ ، وانظر : بصائر ذوي التمييز ٣/٣٣٢ .

٣ - الخواطر التي لاتثبت (١) .

٤ - الريبـة (٢) .

٥ - اللزوم واللصوق (٣) .

قال الشاعر :

درعي دلاص شكلها شك عجب .·. وجوبها القاتر من سير اليلب (٤)

٦ - إضطراب القلب والنَّفس (٥) .

---

(١) انظر : فتح الباري ٤١٣/٦ ؛ ذكره ابن حجر عن ابن عطية .

(٢) المصباح المنير /٣٢٠ .

(٣) انظر : الصحاح ١٥٩٤/٤ ؛ لسان العرب ٤٥٢/١٠ .

(٤) الشاعر : أبو وهبل الجمحي .

(٥) المصباح المنير /٣٢٠ .

الشك في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال (الشك) في القرآن والسنة بمعان منها :

أولاً : خلاف اليقين :

ورد في القرآن مطلقاً ومقيداً في مواضع والسنة ورد فيها مطلقاً :

من وروده مطلقاً :

١ - قوله تعالى : { وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ } (١) .

٢ - قوله تعالى : { فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْئَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ } (٢) .

٣ - قوله تعالى : { قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ } (٣) .

٤ - قوله صلى الله عليه وسلم « .. أشهد أن لا إله إلاّ اللّهَ وأنّي رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلاّ دخل الجنّة » (٤) .

٥ - قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الأعمال أفضل قال : « إيمان لاشك فيه » (٥) .

(١) قوله تعالى : { وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ } (٦) .

(٢) قوله تعالى : { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ } (٧) .

---

(١) سورة النساء آية (١٥٧) .

(٢) سورة يونس آية (٩٤) .

(٣) سورة يونس آية (١٠٤) .

(٤) م ١/٥٦ ك الإيمان باب من مات على التوحيد دخل الجنّة .

(٥) ن ٨/٩٤ ك الإيمان باب ذكر أفضل الأعمال .

(٦) سورة هود آية (٦٢) .

(٧) سورة سبأ آية (٥٤) .

ثانياً : **اللزوم واللصوق** : (١) .

منه ماورد في قصة الزانية « فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشكت عليها ثيابها » (٢)

ثالثاً : **الخواطر التي لاتثبت** :

منه قوله صلى الله عليه وسلم « نحن أحق بالشك من إبراهيم » (٣) .

رابعاً : **الخــرق** :

منه ماورد عن أبي سعيد الخدري « أن رجلاً دخل بيته فوجد حيةً فشكَّها بالرمح » (٤) أي خرقها وانتظمها (٥) .

* * *

ورد في القرآن والسنه أُلفاظ مرادفةً للشك مثل : ريب (٦) ، مريه (٧) .

---

(١) انظر : النهايةً في غريب الحديث ٢/٤٩٥ .

(٢) م. ٣/١٣٢٤ ك الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا .

(٣) خ مع فتح الباري ٦/٤١١ ك الأنبياء باب ولكن ليطمئن قلبي .
م ١/١٣٣ ك الإيمان باب زيادة طمأنينةً القلب بتظاهر الأدلة .
قال ابن حجر [قال ابن عطيةً .. المراد بالشك فيه الخواطر التي لاتثبت.وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزيَّةً لأحدهما على الآخر، فهو منفي عن الخليل قطعاً،لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه،فكيف بمن بلغ رتبة النبوةً] انظر : فتح الباري ٦/٤١٢ .

(٤) حم ٣ / ٢٧ .

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث ٢ / ٤٩٥ .

(٦) قال أبو هلال في الفروق [ان إلارتياب شك مع تهمةً] انظر الفروق اللغويةً /٨٠ .

(٧) قال أبو هلال في كتابه الفروق [إن الإمتراء هو استخراج الشبه المشكلةً ثم كثر حتى سمّي الشك مريةً وامتراء .. وامترى امتراء إذا استخرج الشبه المشكلةً من غير حل لها] انظر الفروق اللغويةً /٨٠ .

منه قوله تعالى : { ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ } (١) أي لاشك فيه (٢)
وقوله تعالى : { رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ } (٣) .
وقوله تعالى : { وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا .. } (٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالايريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة » (٥) . وفي رواية بلفظ « فإن الخير طمأنينة وإن الشر ريبة » (٦) .

كما ورد استعمال الشك بمرادفه (مرية)
منه قوله تعالى : { فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ } (٧) .
وقوله تعالى : { فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ } (٨) .

---

(١) سورة البقرة آية (٢) .

(٢) أنظر : تفسير الطبري المحقق ٢٨٨/١ .

(٣) سورة آل عمران آية (٩) .

(٤) سورة البقرة آية (٢٣) .

(٥) ت ٦٦٨/٤ ك صفة القيامة باب « ٦٠ » وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٦) مستدرك الحاكم ١٣/٢ ك البيوع باب دع مايريبك إلى مالايريبك .
قال ابن حجر : [أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم]
وقوله [(يريبك) بفتح أوله ويجوز الضم يقال رابه يريبه بالفتح وأرابه يريبه بالضم ريبة وهي الشك والتردد والمعنى إذا شككت في شيء فدعه وترك مايشك فيه أصل عظيم في الورع] انظر فتح الباري ٢٩٣/٤ .
- صحيح ابن حبان ٥٢/٢ ك الرقاق باب ذكر الزجر عما يريب المرء من أسباب هذه الدنيا الفانية .

(٧) سورة هود آية (١٧) .
قال أبو جعفر [أي شك] انظر : تفسير الطبري المحقق ٢٧٩/١٥ .

(٨) سورة هود آية (١٠٩) . انظر : تفسير الطبري المحقق ٤٩١/١٥ .

وقوله تعالى : { أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ } (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلاتك في مرية من لقائه » (٢) .

والمقصود في بحثي هو التردد وعدم اليقين في العقيدة .

الشك ومخاطره في القرآن والسنة :

ورد ذكر الشك وبيان مخاطره في القرآن والسنة في مواضع عديدة منها :

١ - في مقام التنديد بالكافرين ومايعبدون من دون الله، وبيان عقائد الإسلام ومبادىء الدعوة، وإثبات وحدانية الله تعالى، أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يظهر المباينة بين دينه وطريق المشركين، لتزول الشكوك والشبهات في أمره (٣) .

قال تعالى : { قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (٤) .

---

(١) سورة فصلت آية (٥٤) . أنظر : تفسير القرطبي ٣٧٥/١٥ .

(٢) خ مع فتح الباري ٣١١/٦ ك بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء .

(٣) أنظر : تفسير الطبري المحقق ٢١٧/١٥ ؛ تفسير القرطبي ٣٨٧/٨ ؛ تفسير ابن كثير ٥٣٢/٣ ؛ روح المعاني ١٥٦/١١ ؛ الواضح ٤٤٣/١ .

(٤) سورة يونس آية (١٠٤) .

قوله { إن كنتم في شك من ديني } بمعنى [إن كنتم في ريب من دين الإسلام الذي أدعوكم إليه ..] .

٢ - في معرض الحكاية عن منكري رسالة رسلهم في الأمم السابقة وبيان أن سبب جحودهم هو الشك في حقيقة ماأنزل إليهم (١) . قال تعالى : { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ . قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (٢) .

ومنه ما أخبر به عز وجل في معرض الحكاية عن نصح مؤمن آل فرعون لقومه (٣) .

قال تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٥٢٩/١٦ - ٥٣٧ ؛ تفسير القرطبي ٣٤٦/٩ ؛ تفسير ابن كثير ١١٢/٤ .

(٢) سورة إبراهيم آية (٩ ، ١٠) .

قوله { فردوا أيديهم في أفواهم } [عضوا على أصابعهم تغيظاً على رسلهم في دعائهم إياهم إلى مادعوهم إليه] أنظر : تفسير الطبري ٥٣٠/١٦ .

قوله { وإنا لفي شك } [من حقيقة ماتدعوننا إليه من توحيد الله {مريب} يوجب لنا الريبة والتهمة فيه] انظر : تفسير الطبري ٥٣٦/١٦ .

قوله { فأتونا بسلطان مبين } [فأتونا بحجة على ماتقولون تبيّن لنا حقيقته وصحته فنعلم أنكم فيما تقولون محقون] انظر: تفسيرالطبري المحقق ٥٣٧/١٦ .

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣١٢/١٥ ؛ تفسير ابن كثير ١٣٧/٦ .

ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ } (١) .

٣ - في معرض بيان أن الله تعالى لم يجعل للشيطان سلطاناً على الناس إلا للإبتلاء والإمتحان فيظهر المؤمن من الشاك الذي لايؤمن (٢). قال تعالى : { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ } (٣) .

---

(١) سورة غافر آية (٣٤) .

قوله { ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيّنات } إن الله بعث في أسلافهم يوسف عليه السلام قبل موسى عليه السلام ولكنهم لم يستهدوا بأسلوبه ولم يسترشدوا بسلوكه في حياتهم وإنما انتفعوا في حياتهم الدنيا من وزارة ومال وجاه دنيوي وظلوا في شك مما بعث به إليهم من الدين حتى إنقضت مدة حياته عليه السلام بينهم وهم في شك من أمره ولم يستفيدوا منه بما ينفعهم في آخرتهم] انظر : تفسير ابن كثير ١٣٧/٦ ؛ التحرير والتنوير ١٣٩/٢٤ .

قوله {مسرف} [متعال في الأمور خارج عن الحدود طالب للإرتفاع عن طور البشر] انظر نظم الدرر ٦٦/١٧ .

قوله {مرتاب} [أي يشك فيما لايقبل الشك ويتهم غيره بما لاحظ للتهمة فيه أي ديدنه التذبذب في الأمور الدينية] انظر المراجع السابقة .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٩٢/١٤ ؛ تفسير ابن كثير ٥٤٦/٥ .

(٣) سورة سبأ آية (٢٠ - ٢١) .

قوله { صدق عليهم إبليس ظنه } [معناه أنه قال { فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين } قال الله (صدق عليهم ظنه) لأنه إنما قاله بظن لابعلم] انظر معاني القرآن للفراء ٣٦٠/٢ .

قوله { وما كان له عليهم من سلطان } [ويضلهم به حجة إلاّ إنا سلطناه عليهم لنعلم من يؤمن بالآخرة] انظر معاني القرآن ٣٦٠/٢ .

٤ - في مقام التنديد بالمكذبين وبيان سوء حالهم يوم القيامة وبيان أن سبب استحقاقهم العذاب هو الشك الذي كان يعتريهم فيصدّهم عن الحق (٤) .

قال تعالى : { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ } (٢) .

٥ - في معرض التنديد بالمكذبين بنزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبيان أن أصل دائهم في ذلك الحسد (٣) .

قال تعالى : { أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ } (٤) .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٣١٨/١٤ ؛ تفسير ابن كثير ٥٦٤/٥ .

(٢) سورة سبأ آية (٥٤) .

قوله { وحيل بينهم وبين مايشتهون } قال ابن كثير [حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ماطلبوه في الآخرة فمنعوا منه] انظر تفسير ابن كثير ٥٦٤/٥ ؛ زاد المسير ٤٧٠/٦ .

قوله { كما فعل بأشياعهم } [أي كما فعل بأشباههم من الأمم الماضية المكذبة بالرسل لمّا جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم } انظر : تفسير ابن كثير ٥٦٦/٥ ؛ زاد المسير ٤٧١/٦ .

قوله { إنهم في شك مريب } قال ابن كثير [كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب] انظر : تفسير ابن كثير ٥٦٦/٥ ؛ زاد المسير ٤٧١/٦

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٥٢/١٥ ؛ تفسير ابن كثير ٤٦/٦ .

(٤) سورة (ص) آية (٨) .

قوله {أءنزل عليه الذكر } [إستفهام إنكاري،أنكر الكافرون أن يخص محمد =

٦ - في مقام تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على تكذيب المشركين وكفرهم بالقرآن،وبيان أنه ليس وحده في ذلك فقد أوتي موسى عليه السلام التوراة" فاختلف الذين دعاهم إليه فمنهم كافر به ومنهم مؤمن (٢)

قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ } (٣) .

٧ - تعريضاً بالمشركين في إعراضهم عن دعوة الإسلام بيَّن الله عز وجل أن الخلاف دأبهم ودأب من قبلهم من الأمم،وما سبب ذلك إلا التردد والشك الذي حال

= صلى الله عليه وسلم بالإرسال وإنزال القرآن دون غيره منهم] أنظر : نظم الدرر ٣٣٥/١٦ ؛ التحرير والتنوير ٢١٣/٢٣ .

قوله { بل هم في شك من ذكري } [المراد بالشك حقيقته أي التردد في العلم . والمعنى أن نشأ لديهم الشك من شأن ذكرى أي من جانب نفي وقوعه أو في جانب مايصفونه به] . أنظر : التحرير والتنوير ٢١٤/٢٣ .

قوله { بل لما يذوقوا عذاب } [أي إنما تولدت لديهم الجرأة" على هذا الشقاق لأنهم ماذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته وسيعلمون غب ماقالوا وماكذبوا يوم يدعون إلى نار جهنم دعاء] .

انظر : تفسير ابن كثير ٤٨/٦ ؛ التحرير والتنوير ٢١٥/٢٣ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٣٧٠/١٥ ؛ التحرير والتنوير ٣١٧/٢٤ .

(٣) سورة فصلت آية" (٤٥) .

قوله { ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم } [الكلمة" هي الإمهال إلى يوم القيامة"(لقضي بينهم) أي تعجيل العذاب] انظر : تفسير القرطبي ٣٧٠/١٥ التحرير والتنوير ٣١٧/٢٤ .

بينهم وبين قبول دعوة رسلهم (١) . قال تعالى : { وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ } (٢) .

٨ - في مقام إبطال عقيدة المشركين وبيان فسادها، وأن مايظهرونه من الإقرار بالله رب السموات والأرض ومابينهما إقرار فاسد غير صادر عن علم ويقين ثابت، بل هو كالعدم لأنهم خلطوه بالشك واللعب (٣) . قال تعالى : { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } (٤) .

٩ - وفي بيان أن الشك ينافي تمام الإيمان وأن عدم الشك في العقيدة سبب لدخول

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/١٦ ؛ تفسير ابن كثير ١٩٢/٦ ؛ التحرير والتنوير ٥٧/٢٥ .

(٢) سورة الشورى آية (١٤) .
قوله [{ وماتفرقوا إلاَّ من بعد ماجاءهم العلم } المراد إنَّما كانت مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم وماحملهم على ذلك إلاَّ البغي والعناد والمشاقة] انظر: تفسيرالقرطبي ٣٧٠/١٥؛ تفسيرابن كثير ١٩٢/٦.
قوله { وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب } [الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق { لفي شك منه مريب } أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإنَّما هم مقلدون لآباهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم في حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد] تفسير ابن كثير١٩٢/٦.

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٩٢/١٦ ؛ تفسير ابن كثير ٢٤٦/٦ ؛ التحرير والتنوير ٢٨٤/٢٥ .

(٤) سورة الدخان آية (٩) .
قوله {يلعبون} [أي اشتغلوا عن النظر في الأدلة التي تزيل الشك عنهم وتجعلهم مهذبين بالهزء واللعب في تلقي دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فكأن إنغماسهم في الشك مقارناً لحالهم من اللعب] انظر : التحرير والتنوير ٢٨٥/٢٥ .

الجنة . قال صلى الله عليه وسلم « .. أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » (١) وفي رواية « إلا دخل الجنة » (٢) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الأعمال أفضل فقال « إيمان لاشك فيه » (٣) .

١٠ - وفي بيان أن الشك في العقيدة سبب الهلاك والخسارة للشاك في دينه وذلك ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره ... ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشعوفاً فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري . فيقال له : ماهذا الرجل ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلته . فيفرج له قبل الجنة . فينظر إلى زهرتها ومافيها . فيقال له : انظر إلى ماصرف الله عنك ثم يفرج له فرجه إلى النار . فينظر إليها . يحطم بعضها بعضاً . فيقال له : هذا مقعدك على الشك كنت - وعليه مت . وعليه تبعث إن شاء الله » (٤) .

---

(١) م ٥٧/١ ك الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٢) المرجع السابق .

(٣) ن : ٤٩/٨ ك الإيمان باب ذكر أفضل الأعمال .

(٤) جه ٤٤٢/٢ أبواب الزهد باب ذكر القبر والبلى .

مصباح الزجاجة ٣١٢/٣ ؛ وقال إسناده صحيح .

من النصوص السابقة تجلّت الحقائق التالية :

١ - أن إفراد الله بالعبادة والإقرار بالشهادتين إقرار خضوع وإذعان وتسليم آمان من الشك الذي يؤدي إلى الهلاك والخسارة في الدنيا والآخرة وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ . . } (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم « ... أشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنّة » (٢) .

٢ - أن الشك آفه تصيب الفطرة السليمه وتتمكن من النفّس الإنسانية حتى تصده عن الحق . والشك أصل الكفر،وإنكار دعوة الرسل دليل على فساد الفطرة وإنحرافها عن طريق الحق،وعن إدراك الحقائق،وبذلك استحق الشاك العذاب يوم القيامة .

وذلك مادل عليه قوله تعالى : { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ . . . } (٣) .

وقوله تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ . . } (٤) .

وقوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ } (٥) .

وقوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي . . } (٦) ونحوه .

---

(١) سورة يونس آية (١٠٤) .

(٢) سبق تخريجه (١٤٨) .

(٣) سورة إبراهيم آية (٩ ، ١٠) .

(٤) سورة غافر آية (٣٤) .

(٥) سورة فصلت آية (٤٥) .

(٦) سورة (ص) آية (٨) .

٣ - أن الشك إذا أصاب الإنسان كان مدخلاً للشيطان،وإذا دخل الشيطان على العبد من مدخل الشك ضيع عليه المصالح الدنيوية والأخروية،وبذلك يصدق ظنه عليهم بإغوائهم،كما ذكر تعالى حكاية عن وعد الشيطان لله رب العالمين قال : { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (١) .

إلاّ المؤمنين الذين وقر الإيمان والتصديق بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم في قلوبهم،لم يجعل الله تعالى للشيطان سلطاناً عليهم،وأقر الشيطان بعدم قدرته على تشكيكهم وتضليلهم،لقوله تعالى:{ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } (٢) .

٤ - أنّ الشك يطمس على الفطرة ويؤدي إلى الهزء واللعب في الدين كما دلّ عليه قرن الشك واللعب في قوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } (٣) .

قال ابن عاشور [إن الشك حامل لهم على اللعب والهزء] (٤) .

٥ - أن الله تعالى لايقبل العمل الذي يدنسه الشك ، والأعمال الخالية من التلبيس بالشك أفضل الأعمال عند الله لأنها خالصة لله تعالى لذلك لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال قال « إيمان لاشك فيه .. » لأن الشك ينقص الإيمان وينافي تمامه .

٦ - سوء عاقبة الشاك في دينه وتحقق خسارته الأخروية الأبدية وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } وقوله صلى الله عليه وسلم في الخبر عن حال الميت إذا صار في قبره وبيان سوء عاقبته في قوله « ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشعوفاً ... فيفرج له قبل الجنة ،

---

(١) سورة (ص) آية (٨٢) .

(٢) سورة سبأ آية (٢٠ ، ٢١) .

(٣) سورة الدخان آية (٩) .

(٤) التحريروالتنوير ٢٥/٢٨٥ .

فينظر إلى زهرتها ومافيها فيقال له : هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله »(١) . ومفهوم المخالفة من قوله صلى الله عليه وسلم « أشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » بمعنى أن من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومات وهو شاك فيها دخل النّار وحجب عن الجنّة(٢) .

* * *

لذلك فإن الشك سبب لكل خسارة،والسلامة منه سبب لكل سعادة وطمأنينة،لذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى تقديم اليقين وترك الشك،والأخذ باليقين في كل شيء . لقوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة » وفي رواية « فإن الخير طمأنينة وإنّ الشر ريبة » (٣) . وذلك عام في جميع الأمور المتعلقة بالإنسان .

قال ابن حجر الهيثمي [إن الريبة تقع في العبادة،والمعاملة،والمناكحات، وسائر أبواب الأحكام،وإن ترك الريبة في ذلك كله إلى يقين الحل هو الورع وهو عميم الفائدة،عظيم الجدوى في الدنيا والآخرة،وأنّه إذا تعارض شك ويقين قدم اليقين وهذه قاعدة عظيمة يندرج تحتها مالايحصى ..] (٤) .

الخسائر والأضرار الدنيوية :

١ – القلق والإضطراب وعدم الإطمئنان لأن الشك يؤدي إلى ذلك .

الخسائر الأخروية :

١ – عدم قبول الأعمال المتلبسة بالشك .

٢ – مصير من مات على الشك دخول النّار والعذاب يوم القيامة .

---

(١) سبق تخريجه ص (١٤٨) .
(٢) سبق تخريجه ص (١٤٨) .
(٣) سبق تخريجه ص(١٤١) .
(٤) انظر : فتح المبين /١٤٢ .

[٣] الوسوسة

الوسوسة في اللغة :

الوَسوسة والوَسواس (بالفتح) الصوت الخفي من ريح (١) .

يقال : وَسوَس وَسوسَةَ وَوِسوَاساً . بفتح الواو الإسم مثل الزَّلزال والزِّلزال . وبكسر الواو المصدر (٢) .

وقد ورد في اللغة لعدة معانٍ :

١ - صوت الحلي والقصب : (٣)

قال الشاعر :

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت .٠. كما استعان بريح عشرق زجل (٤)

٢ - حديث النفس :

يقال وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً بكسر الواو (٥) .

٣ - الخطرة الرديئة :

يقال لما يخطر بالقلب من شر ولما لاخير فيه وسواس (٦) .

٤ - الهمــس :

ويطلق على همس الصائد والكلاب وسواس (بالفتح) (٧) .

---

(١) أنظر : مقاييس اللغة ٦/٧٦ ؛ المفردات /٥٢٢ ؛ مختار الصحاح /٧٢٢ ؛ لسان العرب ٦/٢٥٤ .

(٢) أنظر : جمهرة اللغة ١/١٥٢ ؛ الصحاح ٣/٩٨٨ ؛ مقاييس اللغة ٦/٧٦ ؛ لسان العرب ٦/٢٥٤ .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) الشاعر هو الأعشىء ديوانه (١٤٤) .

(العشرق) شجر ينفرش على الأرض عريض الورق ليس له شوك ولايكاد يأكله شيء إذا حركته الريح تسمع له صوتاً .

(٥) أنظر : الصحاح ٣/٩٨٨ ؛ لسان العرب ٦/٢٥٤ ؛ القاموس المحيط ٢/٢٥٧ .

(٦) أنظر: جمهرة اللغة ١/١٥٢ ؛ القاموس المحيط ؛ المصباح المنير ٦٥٨ .

(٧) أنظر: جمهرة اللغة ١/١٥٢ ؛ الصحاح ٣/٩٨٨ ؛ مقاييس اللغة ٦/٧٦ ؛ لسان العرب ٦/٢٥٤ .

الوسوسة في إستعمالات القرآن والسنة :

ورد إستعمال الوسوسة في القرآن والسنة لعدة معان منها :

الأول : الخطرة الرديئة : (١)

وهو مايلقيه الشيطان في القلب بصوت خفي (٢) .

ومنه قوله تعالى : { فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ } (٣) أي فعل الوسوسة لأجلهما ووسوسته بأن ألقى في قلوبهما مادعاهما لطاعته والاستجابة له وفي ذلك مخالفة لأمر الله عز وجل (٤) .

وقوله تعالى : { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ } (٥) أي فانهى إليه وسوسته (٦)

وقوله تعالى : { ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ } (٧) قال القرطبي [قال مقاتل وسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت] (٨) .

الثاني : حديث النفس :

وهو تردد الشيء في النفس من غير أن يطمئن إليه ويستقر عنده (٩) .

---

(١) انظر : الكشاف ٧٢/٢ ؛ تفسير الفخر الرازي ٤٥/١٤ ؛ الفتوحات الالهية ١٢٩/٢ ؛ التحرير والتنوير القسم الثاني ٥٦/٢٨، اتحاف السادة على إحياء علوم الدين ٢٦٥/٧ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ١٥٢/١ ؛ المفردات/٥٢٢ ؛ بصائر ذوي التمييز ٢٠٨/٥ ؛ التحرير والتنوير ٣٢٥/٨ .

(٣) سورة الأعراف آية (٢٠) .

(٤) انظر : تفسير الكشاف ٧٢/٢ ؛ تفسير الفخر الرازي ١٢٦/٢٢ ؛ الفتوحات الإلهية ١٢٩/٢ ؛ بصائر ذوي التمييز ٢٠٨/٥

(٥) سورة طه آية (١٢٠) .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٢٦/٢٢ ؛ تفسير أبي السعود ٤٧/٦ ؛ الفتوحات الالهية ١١٤/٣ ؛ حاشية الشهاب ١٥٨/٤ .

(٧) سورة النّاس آية (٥) .

(٨) انظر : تفسير القرطبي ٢٦٣/٢٠ .

(٩) فتح الباري ١٦٠/٥ .

منه قوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ }(١)

ووسوسة النفس المراد بها مايخطر ببال الإنسان وليس فيه صوت بالكلّية ومناسبته للمعنى اللغوي جامع الخفاء في كل (٢) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تجاوز عن أُمتي ما وسوست به صدورها مالم تعمل أو تكلم » (٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « الحمد الله الذي رد أمره إلى الوسوسة » (٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي لم يقدر منكم إلا على الوسوسة » (٥) .

ومنه ماورد عن عبدالله رضي الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة قال « تلك محض الإيمان » (٦) .

بمعنى [أن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً وانتفت عنه الريبة والشكوك] (٧) .

٣ – الوسواس بمعنى الوسوسة الشيطان .

ومنه قوله تعالى : { مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ } (٨) .

---

(١) سورة (ق) آية (١٦) .

(٢) انظر : الكشاف ٤/٥ ؛ تفسير النسفي ٤/١٧٧ ؛ تفسير الخازن ٤/١٧٦ ؛ حاشية الشهاب ٨/٨٧ ؛ تفسير المراغي ٢٦/١٥٨ ؛ التحرير والتنوير ٢٦/٣٠٠

(٣) خ مع فتح الباري ٣/١٩٠ ك العتق باب الخطأ والنسيان في العتاقة .

(٤) مسند أحمد المحقق ٥/٥٩ ك الإيمان حديث رقم (٣١٦١) . وقال المحقق (إسناده صحيح) .

(٥) المرجع السابق .

(٦) م ١/١١٩ ك الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان .

(٧) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ٢/١٥٥ .

(٨) سورة النّاس آية (٤) .

والوسواس إسم بمعنى الوسوسة والمراد به الشيطان (١) . قاله الفراء(٢) وإبن قتيبة (٣) والزمخشري (٤) وغيرهم .

والمقصود بالوسوسة هنا في هذا البحث هي التي بمعنى الخطرة الرديئة والوسوسة بهذا المعنى هو مرض يصيب عقيدة الإنسان ويفسد فطرته .

قال الغزالي : [إن الخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى قسمين : مايدعو إلى الشر ويضر في العاقبة ويسمى وسوسة، ومايدعو إلى الخير وينفع في الدار الآخرة يسمى إلهاماً .. وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً ، وسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً ..] (٥) .

---

(١) انظر : الكشاف ٣٠٢/٤ .

(٢) أنظر : معاني القرآن ٣٠٢/٣ .

(٣) انظر تفسير غريب القرآن /٥٤٣ .

(٤) أنظر الكشاف ٣٠٢/٤ النهاية في غريب الحديث ١٨٧/٥ ؛ تفسير القرطبي ٢٦٣/٢٠ .

(٥) انظر : إحياء علوم الدين مع إتحاف السادة المتقين ٢٦٥/٧ (بتصرف) .

الوسوسة ومخاطرها في القرآن والسنة :

ذكر الله عز وجل الوسوسة في خمسة مواضع في القرآن الكريم،كشف من خلالها أن الوسوسة دأب الشيطان ووسيلته، ليدخل بها على الإنسان فيغويه، ويضله،ويكون سبب خسارته في الدنيا والآخرة . كما ورد في السنة تحذير من إتباع وساوسه، وبيان كيفية ردّها ،والصمود في وجهها ،يتضح ذلك من الآتي :

أولاً : لما طرد الله عز وجل إبليس من الجنّة وأسكنها آدم وحواء جعل لهما حظراً .. وذلك ليتعلم الجنس البشري أن يقف عند حد،وأن يدرب المركوز في طبعه من الإرادة ليضبط بها رغباته وشهواته - وذكر سبحانه وتعالى قصة إغواء إبليس لآدم وحواء وذلك للتحذير من طاعة الشيطان ووساوسه وبيان أنه سبب خسارة الإنسان في الدنيا والآخرة (١) . قال تعالى :

{ وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَاتَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَاوُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } (٢) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّايَبْلَى } (٣) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٣٤٦/١٢ ؛ نظم الدرر ٣٧٢/٧ ؛ الفتوحات الإلهية ١٢٩/٢ ؛ المنار ٣٤٧/٨ .

(٢) سورة الأعراف آية (١٩ ، ٢٠) .

قال صاحب المنار [وسوسة الشيطان للبشر هي مايجدونه في أنفسهم من الخواطر الرديئة التي تزين لهم مايضرهم في أبدانهم وأرواحهم ومعاملاتهم] أنظر المنار ٣٤٧/٨ .

(٣) سورة طه آية (١٢٠) .

ثانياً : ورد في السنة مايكشف عن وساوس الشيطان وأساليبه،وأنه لايألو جهداً في إغواء ابن آدم،وجرّه إلى المعصيةّ والإثم،ولايزال يوسوس له حتى تتحقق له الخسارة في الدنيا والآخرة .

١ - منه ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الوسوسة فقال « تلك محض الإيمان » (١) .

٢ - وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : « جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه إنا نجد في أنفسنا مايتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم.قال ذاك صريح الإيمان » (٢) .

٣ - وقوله صلى الله عليه وسلم « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك . فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته » (٣)

٤ - ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « لايزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله » (٤) .

ثالثاً : في بيان أن كيد الشيطان لابن آدم يقف عند الوسوسة في صدر المؤمنين، وأنه لايقدر منهم على أكثر من ذلك .

ورد حديث عبدالله بن شداد وابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا : يارسول الله إنا نحدث أنفسنا بالشيء لأن يكون أُحدنا حُمَمَه أُحب إليه من أن يتكلم به ؟ قال : فقال أحدهما « الحمد لله الذي لم يقدر منكم إلاّ على الوسوسة » (٥) .

---

(١) م ١١٩/١ ك الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

وقال آخر « الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة » (١) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « ذاك صريح الإيمان » (٢) وقوله عليه أفضل الصلاة والتسليم « تلك محض الإيمان » (٣) .

مظاهر الوسوسة وآثارها :

١ - أن الوسوسة سبب معصية الله تعالى فوسوسة إبليس لآدم وحواء سبب معصيتهما لأمر الله .

٢ - أن الوسوسة سبب لتحقق الخسارة في الدنيا والآخرة . فقد تسبب إبليس بوسوسته في خسارة آدم وحواء من السكن في الجنّة والإقامة فيها مدى الحياة .

٣ - أن الوسوسة سبب لفوات المصلحة في أي شأن من شؤون الحياة .

٤ - الوسوسة داء يصيب الفطرة السليمة فإن تمكن منها حاد بها عن الاستقامة في طريق الله وسلك بها منهج الغواية والضلال .

وقد بدت آثار الوسوسة على بعض الموسوسين وخاصه في الوضوء والصلاة ونحوها .

أما في الوضوء فتكون سبباً في الإسراف في الماء وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسراف في الماء (٤) وثبت عنه صلى الله عليه وسلم " أنه كان يغسل - أو كان يغتسل . بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد " (٥) .

---

(١) مسند أحمد المحقق ٥/٥٩ ك الإيمان . حديث رقم (٣١٦١) وقال المحقق إسناده صحيح .

(٢) سبق تخريجه ص (١٥٤) .

(٣) سبق تخريجه ص (١٥٧) .

(٤) انظر : ذم الموسوسين /٣٠ ؛ إغاثه اللّهفان ١/١٣٦ .

(٥) خ مع فتح الباري ١/٣٠٤ ك الوضوء باب الوضوء بالمد .

كما ورد عن أم عمارة بنت كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم « توضأ فأتى بماء في إناء قدر ثلثي المد » (١) .

إلاّ أن الموسوسين يرون أن هذا القدر البسيط من الماء لايكفي للوضوء، ولتحقق الطهارة، وبذلك يخالفون نهج النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما في الصلاة فنجد الموسوسين قد اتخذوا صيغاً وألفاظاً لعقد النية ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بحال شيء من ذلك - حتى أنك لتجد الموسوس يجهد نفسه في التلفظ بها، ويتقعر في النطق بحروفها ليستشعر أن النية قد تحققت، وليست من الصلاة في شيء وإنما النية: قصد فعل الشيء، فكل عازم على فعل هو ناويه ، ومن توضأ فقد نوى الصلاة بدون شك (٢) .

ومن مظاهر الوسوسة في الصلاة، تكرار الكلمة في الصلاة مما يخرج المصلي عن هيئة الصلاة .

قال ابن قدامة [من أصناف الوسواس مايفسد الصلاة تكرير بعض الكلمة كقوله في التحيات : ات .ات . التحي - التحي. وفي السلام . أس . أس . وقوله في التكبير : أككبر . ونحو ذلك . فهذا الظاهر بطلان الصلاة به] (٣) .

ومن المظاهر الوسوسة في مخارج الحروف والتنطع فيها .

قال أبو الفرج بن الجوزي [قد لبّس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول : الحمد . الحمد . فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب

---

(١) سنن أبي داود مع مختصره ١/٦٨ ك الطهارة باب مايجزي من الماء في الوضوء .

(٢) انظر : ذم الموسوسين /٣٠ ؛ إغاثة اللّهفان ١/١٣٦ .

(٣) أنظر ذم الموسوسين /٣٢ ؛ إغاثة اللّهفان ١/١٣٩ .

الصلاة،وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد في إخراج ضاد المغضوب .
قال : ولقد رأيت من يخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده والمراد تحقيق الحرف حسب . وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة] (١) .

ومظاهر الوسوسة وآثارها كثيرة، والموسوسون بتنطعهم يخالفون تعاليم الشريعة السمحة،وإبليس يدخل على الإنسان من هذا المدخل بحجة إتقان أداء العبادة على وجهها المطلوب، وابتعاداً عن الشبهات، حتى يضلهم، ويغويهم ، ويحقق عليهم ظنه،حيث قال { لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }(٢) .

---

(١) أنظر : ذم الموسوسين /٦٢ .
(٢) سورة ص آية (٨٢)

[٤] المحاكاة

المحاكاة في اللغة :

المشابهة يقال : فلان يحكي الشمس حسناً ويحاكيها بمعنى (١) .

والمحاكاة من حكيت فعله،وحاكيته إذا فعلت مثل فعله وهيئته،أوقلت مثل قوله (٢) .

قال ابن فارس [الحاء والكاف ومابعدها معتل أصل واحد .. هو إحكام الشيء بعقد أو تقرير . يقال : حكيت الشيء أحكيه وذلك أن تفعل مثل فعل الأول ..] (٣) . قال ابن الأثير [وأكثر مايستعمل في القبيح المحاكاة] (٤) .

ويبدو من تعريف المحاكاة عند أهل اللغة أنه يأتي بمعنى التقليد . وهو مأخوذ من التقليد بالقلادة وجعلها في العنق . فكأن المقلد جعل ذلك الحكم الذي قلد فيه المجتهد في عنق من قلده وطوقه بما في الحكم من تبعه (٥) .

التقليد في إصطلاح الأصوليين :

هو قبول أو العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة (٦) .

---

(١) الصحاح ٣٣١٧/٦ .

(٢) انظر الصحاح ٣٣١٧/٦ ؛ المخصص ١٥٥/٣ ؛ النهاية في غريب الحديث ٤٢١/١ ؛ المصباح المنير /١٤٥ .

(٣) مقاييس اللغة ٩٢/٢ .

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤٢١/١ .

(٥) انظر : الإحكام في أصول الأحكام ٢٤٥/٣ . قال الآمدي [التقليد مأخوذ من تقليده بالقلادة وجعلها في عنقه وذلك كالأخذ بقول العامي وأخذ المجتهد بقول من هو مثله وعلى هذا فالرجوع إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم وإلى ما أجمع عليه أهل العصر من المجتهدين ورجوع العامي إلى قول المفتي وكذلك عمل القاضي بقول العدول لايكون تقليداً لعدم عزوفه عن الحجه الملزمه] .

(٦) انظر : شرح العضد على مختصر المنتهى ٣٠٥/٢ ؛ الإحكام في أصول الأحكام ٢٤٥/٣ ؛ رسالة التقليد لابن القيم (٢٢) ؛ التعريفات/٦٤؛ الكلّيات ٩٠/٢ .

المحاكاة في استعمالات القرآن والسنة :

لم يرد استعمال مادة (حكى) ولامشتقاتها وإنما ورد معناها من خلال نصوص القرآن والسنة فوردت بالمعاني التالية :

الأول : إتباع ماوجدوا عليه أسلافهم دون حجة ملزمة .

منه قوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (١)

وقوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (٢) .

وقوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ } (٣) .

ومنه مارواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لتتبعن سَنَن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن » (٤) .

أضرار ومساويء التقليد في القرآن والسنة :

ورد ذم المقلدين والتشنيع على سوء عملهم بتقليدهم لآبائهم من غير عقل ولا هدى وبيان أضرار التقليد عليهم في مواضع منها :

أولاً : في مقام التشنيع على المقلدين والتهكم وردت نصوص منها :

---

(١) سورة البقره آية (١٧٠) .

(٢) سورة المائده آية (١٠٤) .

(٣) سوره لقمان آية (٢١) .

(٤) خ مع فتح الباري ٤٩٥/٦ ك الأنبياء باب ماذكر عن بني إسرائيل . ٣٠٠/١٣ ك الإعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من كان قبلكم » .

١ - في معرض الحكاية عن كفار العرب والتشنيع عليهم لتقليدهم آباءهم من غير عقل ولا هدى (١) .

قال تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (٢) .

٢ - ومنه قوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (٣) .

٣ - وقوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ } (٤) .

ثانياً : في معرض بيان أن التقليد سبب كفر الأمم برسلهم .

١ - في مقام حكاية سبب كفر قوم إبراهيم عليه السلام والتشنيع عليهم وبيان أن ماحملهم على ذلك إلاّ التقليد المحض (٥) قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (٦) .

٢ - في مقام مواساة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أن حزنه على كفر قومه ليس أعظم من حزن إبراهيم عليه السلام على كفر قومه، إذ أن من عظيم المحن

---

(١) انظر تفسير الطبري المحقق ٣٠٤/٣ . الواضح ٤٦/١ .

(٢) سورة البقرة آية (١٧٠) .

(٣) سورة المائده آية (١٠٤) .

(٤) سورة لقمان آية (٢١) .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٨١/٢٢ ؛ ١٤٢/٢٤ ؛ ٢٠٤/٢٧ .

(٦) سورة الأنبياء آية (٥١ - ٥٤) .

أن يرى أباه وقومه في النّار وهو لايتمكن من إنقاذهم (١) قال تعالى : { قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ } (٢) .

٣ – في معرض الإنكار على كفار قوم إبراهيم عليه السلام والتشنيع عليهم،وبيان أن الذي حملهم على الكفر هو تقليد آباءهم،وبيان أن التمسك بتقليد الآخرين أمراً كان حاصلاً من قديم الدهر (٣) قال تعالى : { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } (٤) .

٤ – ومنه مارواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سَنَن من كان قبلكم شبراً بشبر،وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » (١) . وهذا دليل على أن التقليد للآباء بدون حجة ملزمة هو منهج اليهود والنصارى ومن سلك منهجهم كان مآله مآلهم في الآخرة .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٤٢/٢٤ .

(٢) سورة الشعراء آية (٧١،٧٤)

وقال الرازي [قوله { وجدنا آباءنا كذلك يفعلون } وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالإستدلال] .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠٤/٢٧ .

(٤) سورة الزخرف آية (٢٢ – ٢٣) .

(١) خ مع فتح الباري ٤٩٥/٦ ك الأنبياء باب ماذكر عن بني إسرائيل ٣٠٠/١٣ ك الإعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من كان قبلكم ».

م ٢٠٥٤/٤ ك العلم باب إتباع سنن اليهود والنصارى . =

٥ - ومنه مارواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع فقيل يارسول الله كفارس والروم ؟ فقال : ومن النَّاس أولئك » (٢) .

= قوله (سنن) بفتح السين للأكثر.قال ابن حجر[قال ابن التين قرأناه بضمِّها . وقال المهلب بالفتح أولى لأنهّ الذي يستعمل فيه الذراع والشبر وهوالطريق. قلت - أي ابن حجر - وليس اللفظ الأخير ببعيد من ذلك] .
انظر : فتح الباري ٣٠١/١٣ ؛ شرح الأبُي والسنوسي على صحيح مسلم ١٠٥/٧ ؛ شرح النووي ٢٢٠/١٦ .
قوله (شبراً بشبر وذراعاً بذراع ..) [الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للإقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه] انظر : فتح الباري ٣٠١/١٣ ؛ شرح الآبي والسنوسي ١٠٥/٧ ؛ شرح النووي ٢٢٠/١٦ .
(جحر) بضم الجيم وسكون المهمله (ضب) بفتح المعجمه وتشديد الموحدة دويبة معروفة يقال خصت بالذكر لأن الضب يقال له قاضي البهائم والذي يظهر كما قال ابن حجر [أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فإنهم لإقتفائهم آثارهم وإتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم ، قوله (فمن) إستفهام إنكار والتقدير فمن هم غير أولئك . أي ليس المراد غيرهم] انظر فتح الباري ٤٩٨/٦ .

(٢) خ مع فتح الباري ٣٠٠/١٣ ك الإعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من قبلكم »
[قوله (حتى تأخذ) الأخذ بفتح الألف وسكون الخاء على الأشهر هو السيرة يقال أخذ فلان بأخذ فلان أي سار بسيرته وما أخذ بأخذه أي مافعل فعله ولاقصد قصده .
(القرون) جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء الأمَّة من النَّاس .
قوله (ومن النَّاس أولئك) أي فارس والروم لكونهم كانوا إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعيه وأوسعهم بلاداً] انظر فتح الباري ٣٠١/١٣ .

٦ - ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « ما أحب أني حكيت أحداً وأن لي كذا وكذا »
وفي روايةً « مايسرني أني حكيت رجلاً وأن لي كذا وكذا » (١) .

---

(١) ت ٤/٦٦٠ باب (٥١) ؛ وقال عقبه حديث حسن صحيح .
د مع مختصر السنن ٧/٢١٢ ك الأدب باب في الغيبةً .
وقال الأحوذي المعنى [إني ما أحب الجمع بين المحاكاةً وحصول كذا وكذا من الدنيا ومافيها بسبب المحاكاةً فانها أمر مذموم . قال النووي - ومن الغيبةً المحرمةً المحاكاة بأن يمشي متعارضاً أو مطأطيء رأسه أو غير ذلك من الهيئات] تحفة الأحوذي ٧/٢٠٩ .

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التالية :

أولاً : أن المحاكاة والتقليد بدون حجة ولا دليل، أمر مذموم في الشرع، ومنهي عنه كما دلت عليه نصوص القرآن والسنة .

ثانياً: أن تقليد الأبناء للآباء سبب ضلالهم وكفرهم وذلك ما أكده عز وجل في مواضع عديدة منها قوله تعالى حكاية عنهم { وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ } (١) واستدل الإمام الرازي بهذا النص على فساد التقليد ووجوب الإستدلال (٢) .

ثالثاً: إن التقليد دأب الكفار والمكذبين من قديم الزمان، وذلك ما أكده قوله تعالى : { وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } (٣) .

رابعاً: وصم المقلدين بأبشع الصفات منها :

(١) نفي العقل والتدبر عنهم . كما دل عليه قوله تعالى : { أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا } (٤) .

(٢) نفي الهداية عنهم . كما دل عليه قوله تعالى : { وَلَا يَهْتَدُونَ } (٥) .

(٣) إثبات جهلهم وعدم علمهم كما دل عليه قوله تعالى : { أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } (٦) .

(٤) وصمهم بصفة الضلال عن طريق الحق البائن الواضح كما دل عليه قوله تعالى { لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (٧) .

---

(١) سورة الشعراء آية (٧٤) .
(٢) انظر الفخر الرازي ١٤٢/٢٤ .
(٣) سورة الزخرف آية (٢٣) .
(٤) سورة البقرة آية (١٧٠) .
(٥) سورة البقرة آية (١٧٠) .
(٦) سورة المائدة آية (١٠٤) .
(٧) سورة الأنبياء آية (٥٤) .

خامساً: أن التقليد في القول والعمل مذموم شرعاً،وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « مايسرني أني حكيت رجلاً وأن لي كذا وكذا » .

وهذا في المحاكاة في القول والعمل،وغير ذلك من نصوص كثيرة تدل على ذم التقليد والمحاكاة،وذم المقلدين،وإثبات خسارتهم في الدنيا والآخرة .

سادساً: أن التقليد والمحاكاة طبيعة اجتماعية وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من كان قبلكم .. » الحديث .

والمثال الذي ذكره عليه أفضل الصلاة والتسليم يشعر بذم ذلك وعدم رضاه صلى الله عليه وسلم عنه . وهذا يدل على أن التشبه بهم والإقتداء بهم في كل شيء . منهي عنه في الشرع (١) .

وهذا مانلمسه ونعانيه في عصرنا الحاضر فقد تفشى مرض التقليد بين الناس،وأكثر مايغلب عليهم التشبه باليهود والنصارى بدون تفكر،ولا وعي ، وذلك فيما ذكر من أن التقليد طبيعة من طبائع الأمم الضعيفة إذا وجدت بجوار أمّة قوية.وقال ابن خلدون [إن المغلوب مولع أبداً بالإقتداء بالغالب، في شعاره،وزيّه،ونحلته،وسائر أحواله،وعوائده،والسبب في ذلك،أن النّفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها،وانقادت إليه،أما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه،أو لما تغالط به من أن إنقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب] (٢) ثم قال [ولهذا ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه، ومركبه،وسلاحه،في إتخاذها وأشكالها بل في سائر أحواله] (٣) . إلا أن

---

(١) انظر : فتح الباري ٣٠١/١٣ ؛ شرح النووي ٢٢٠/١٦ ؛ شرح الأبي والسنوسي ١٠٥/٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون /١٤٧ ؛ وانظر : رسائل الإصلاح ١٤٧/١ .

(٣) المرجع السابق .

التقليد فيما لاينهي الشرع عنه غير مذموم،مثل استعمال وسائل المواصلات والأخذ بوسائل الحضارة والتقدم في مختلف مجالات الحياة . أما التقليد فيما نهى الشرع عنه كاختلاط الرجال بالنساء،والتبرج،وإقامة حفلات الاعياد التي لم ينص عليها الشرع . فهو الذي يجب اجتنابه والابتعاد عنه .

سابعاً : أن مآل المقلدين عذاب السعير كما دل عليه قوله تعالى : { أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ } .

الفصل الثاني [أمراض القوّة]

[١] الكبـــر

الكبر في اللغة :

ورد في اللغة في معان متعددة منها :

أولاً : الكبر بالضم والكسر لغتان في معظم الشيء أو بالضم في النسب والولاء وبالكسر معظم الشيء (١) .

ثانياً: العظمة والتجبر وكذا الكبرياء (٢) .

قال الأزهري [الكبر من التكبر] (٣) .

وقال الراغب [الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب] (٤) .

والكبرياء من صفات الله عز وجل، وهو كمال الذات، وكمال الوجود، لايوصف بها إلاّ الله تعالى (٥) .

قال أبو هلال العسكري [الكبر هو إظهار عظم الشأن وهو في صفات الله تعالى مدح، لأن شأنه عظيم، وفي صفاتنا ذم لأنّ شأننا صغير، وهو أهل للعظمة ولسنا لها بأهل . والكبرياء هو العز والملك وليست من الكبر في شيء والشاهد قوله تعالى { وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ }(٦) يعني الملك والسلطان والعزة، وأما التكبر فهو إظهار الكبر، مثل التشجع إظهار الشجاعة، إلاّ أنه في صفات الله تعالى بمعنى أنه يحق له أن يعتقد أنه الكبير وهو على

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ٥٧٤/١ ؛ الكلّيات ١٢٤/٤ ؛ تاج العروس ٥١٤/٣ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ٥٧٤/١ ؛ مقاييس اللغة ١٥٤/٥ ؛ مختار الصحاح /٥٢٤ ؛ تاج العروس ٥١٤/٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٠٩/١٠ .

(٤) المفردات /٤٢١ ؛ وانظر بصائر ذوي التمييز ٣٢٣/٤ .

(٥) انظر : النهاية في غريب الحديث ١٤٠/٤ ؛ لسان العرب ١٢٥/٥ .

(٦) سورة يونس آية (٧٨) .

معنى قولهم تقدس وتعالى لاعلى ترفع علينا وتعظيم وقيل المتكبر في صفاته بمعنى أنه المتكبر عن ظلم عباده ...] (١)

ثالثاً : نقيض الصغر يقال كبر كبرا فهو كبير وكبار وكبار بالتشديد إذا أفرط (٢)

رابعاً : الرفعة والشرف .

يقال توارثوا المجد كابراً عن كابر، أي كبير عن كبير في العز والشرف (٣) .

والكبر المقصود في بحثي هو بكسر الكاف والذي بمعنى الفخر والعظمة والتجبر .

---

(١) الفروق اللغوية /٢٠٤

(٢) الصحاح ٨٠١/٢ ؛ لسان العرب ١٢٦/٥ وعزاه إلى ابن سيدة

(٣) انظر : الصحاح ٨٠٢/٢ ؛ القاموس المحيط ١٢٤/٢ .

الكبر في استعمالات القرآن والسنه :

هو بطر الحق (١) وغمط الناس (٢) .

وهي حالة تصيب الإنسان نتيجة إعجابه بنفسه،فيرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر هو التكبر على الله بالإمتناع عن قبول الحق،والإذعان له بالعبادة (٣) .

ورد استعمال كبر في القرآن والسنة في معانٍ (٤) تتفق مع استعمالات اللغة ولكنها غير مقصودة في بحثي لذلك اقتصرت على المعنى الذي يعنيني .

---

(١) بطر الحق : دفعه وانكاره ترفعاً وتجبراً .

(٢) غمط الناس : احتقارهم وازدراؤهم .

وعرفه صاحب الزواجر (استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدرة الغير موجبه العُجب) ٧٣/١

(٢) انظر : المفردات ٤٢١ ، بصائر ذوي التمييز ٣٢٣/٤ .

(٤) مثل : كبر بمعنى :

[١] معظم الشيء كما ورد في قوله تعالى : { والذي تولى كبره } اي عظمه . انظر ابن الاثير ١٤٢/٤ .

[٢] بمعنى العز والشرف كما ورد في حديث الافرع والابرص (ورثته كابر عن كابر) اي عن ابائي واجدادي كبيرا عن كبير في العز والشرف . انظر النهايه ١٤٢/٤ .

أنواع الكبر :

ثلاثة أنواع (١)

الأول : الكبر على الله :

وهو الامتناع عن قبول الحق والخضوع له، والإذعان بالعبادة، وهو أعظم أنواع التكبر قبحاً، وذلك كتكبر إبليس على أمر ربه وتكليفه بالسجود لآدم عليه السلام كما دلَّ عليه قوله تعالى : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (٢) .

واستكبار قوم عاد قال تعالى : { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } (٣) .

وتكبر فرعون وملئه، وكفار قريش، وامتناعهم عن عبادة الله وطاعته والاستجابة لدعوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما دلَّ عليه قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً } (٤) .

---

(١) انظر : الزواجر ١٧٥/١ ؛ غذاء الألباب ٢٢٣/٢ .

(٢) سورة البقرة آية (٣٤) .

[قوله {أبى واستكبر} يفيد أنه امتنع تأبياً بغير عذر والإباء معناه الامتناع مع الإختيار، واستكبر : السين والتاء للمبالغة . والمعنى أنه تعظم بالامتناع عن قبول تكليفه بالسجود لآدم عليه السلام، وأنكر استحقاقه لذلك انكاراً عن تصميم واختيار، كما حكى عنه عز وجل بقوله « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين }] انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٣٤/١ حاشية الشهاب ١٣٢/٢ ؛ الفتوحات الإلهية ٤١/١ .

(٣) سورة فصلت آية (١٥) .

(٤) سورة الفرقان آية (٢١) .

ثانياً : التكبر على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام :

وذلك بالامتناع عن قبول دعوتهم،والانقياد والتأبي عن طاعتهم،فيما أمروا به من طاعة الله وعبادته،وذلك كتكبر فرعون،وبني إسرائيل،والمشركين، وغيرهم من الأمم السابقة،كما دلت عليه النصوص القرآنية فيما ذكره عز وجل،في مقام التشنيع،والتقريع،والتوبيخ،والإنكار عليهم بتكبرهم،وتنكيلهم لمن بعثهم الله تعالى إليهم ليكونوا لهم مشعل نور وسبب هداية .

قال تعالى حكاية عن شعيب وقومه : { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } (١) .

وفي فرعون وملئه قال تعالى : { ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ } (٢) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ } (٣) .

وفي تكبر المشركين من قريش على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم،حيث أنهم كانوا ينكرون على من قبلهم جحودهم بأنبيائهم ورسلهم، وأقسموا إن جاءهم نذير منهم ليكونوا له خيراً مما كان السابقون لأنبيائهم ، فلما جاءهم ماتمنوا استكبروا وجحدوا وطغوا قال تعالى : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً . اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } (٤) .

---

(١) سورة الأعراف آية (٨٨) .
(٢) سورة يونس آية (٧٥) .
(٣) سورة المؤمنون آية (٤٥، ٤٦)
(٤) سورة فاطر آية (٤٢ ، ٤٣) .

ثالثاً : التكبر على العباد :

وذلك بأن يستعظم نفسه، ويحتقر غيره ويزدريه، فيأبى الانقياد له، ويترفع عليه، ويأنف مساواته، وقد بيّن المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك فيما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « الكبر بطر الحق، وغمط النّاس » وماورد في رواية عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه « الكبر السفه عن الحق، وغمص النّاس، فقال : يانبي الله وماهو ؟ قال : السفه: أن يكون لك على رجل مال فينكره فيأمره رجل بتقوى الله فيأبى . والغمص : أن يجيء شامخاً بأنفه وإذا رأى ضعفاء النّاس وفقراءهم لم يسلم عليهم ولم يجلس إليهم محقراً لهم » (١) .

والكبرياء، والعظمة من صفات الله تعالى هو الملك الحق، القادر، القوي، العزيز، والعبد بتكبره يتصف بصفات الله الخاصة، التي لاتليق إلا بجلاله، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته » (٢) وفي رواية بإضافة الكلام إلى الله تعالى « قذفته في النار » (٣) وقوله تعالى : « من ينازعني » بمعنى من يتصف ويتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه ، وفي تمثيل الكبرياء، والعظمة، بالرداء، والإزار [إبراز للمعقول في صورة المحسوس فكما لايشارك الرجل في ردائه وإزاره، لايشارك الباري في هاتين الصفتين فإنه الكامل المنعم المتفرد بالبقاء، وماسواه ناقص محتاج] (٤) .

---

(١) انظر فتح الباري ٤٨٦/١٠ . أورده ابن حجر وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٢) م ٢٠٢٣/٤ ك البر والصلة باب تحريم الكبر .

(٣) د / ٩٤/٤ ك اللّباس باب الكبر .

(٤) انظر : إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٣٣٧/٨ .

الكبر وأضراره في القرآن والسنة :

ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص كثيرة في ذم الكبر والمتكبرين، والتحذير من ذلك، والكشف عن سوء عاقبتهم من حين موتهم إلى يوم بعثهم، وخلودهم في النّار .. من ذلك :

أولاً : في مقام بيان أن الكبر سبب كفر إبليس، وعدم إذعانه لأمر الله له بالسجود لآدم عليه السلام، وتقريعاً لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به ونهاهم (١) . عنه قال تعالى : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (٢) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٥١٠/١ ؛ تفسير القرطبي ٢٩١/١ ؛ السراج المنير ٤٨/١ .

(٢) سورة البقرة آية (٣٤) .

(إبليس) قال أبوجعفر [إفعيل من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن ..] الطبري ٥٠٩/١ .

(أبى) إمتنع من فعل ما أمر به (زاد المسير ٦٥/١ ؛ تفسيرالقرطبي ٢٩٥/١ ؛ تفسير أبوالسعود ٨٩/١) .

(استكبر) استفعل من الكبر . والاستكبار:الإستعظام والأنفه عما لاينبغي أن يؤنف عنه، وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له، لابمعنى طلب تحصيله مع إعتقاد عدم حصوله فيه، بل بمعنى عد نفسه كبيراً واعتقاده كذلك، ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الأشعار بأن ليس هناك شيء سوى الطلب . قال الخطيب الشربيني :[التكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وهو التزين بالكبر مما عنده يتكبر بذلك ويتزين] .

انظر: زاد المسير٦٥/١؛ تفسير أبوالسعود ٨٩/١ . ٢٦١/٢؛السراج المنير٤٨/١

وفيه قال تعالى : { قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } (١) .

وفيه قوله تعالى : { فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } (٢) .

ثانياً : في معرض بيان أن الكبر سبب امتناع قبول دعوة الأنبياء والرسل والكفر بها :

١ - في مقام بيان أن كفر بني إسرائيل كان تكبراً وبغياً وتجبراً (٣) قال تعالى : { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } (٤) .

٢ - في معرض بيان أن سبب كفر قوم صالح تكبرهم عن قبول الحق الذي جاء به (٥) . قال تعالى : { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ . قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } (٦) .

---

(١) سورة الأعراف آية (١٣) .
[(فاهبط) يقال : هبط فلان أرض كذا ووادي كذا إذا حل ذلك الموضع قاله أبوجعفر] - تفسير الطبري المحقق ٥٣٤/١ .
[(الصاغرين) الصغار هو الذل] - تفسير الطبري المحقق ٣٣٠/١٢ .

(٢) سورة (ص) آية (٧٣ - ٧٥) .
[(العالين) مستحقاً للعلو فائقاً منه] روح المعاني ٢٢٦/٢٣ .

(٣) انظر: تفسير الطبري المحقق ٣٢٣/٢ ؛ السراج المنير ٧٦/١ .

(٤) سورة البقرة آية (٨٧) .

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٦٥/١٤ ؛ تفسير أبي السعود ٢٤٣/٣ .

(٦) سورة الأعراف آية (٧٥-٧٦) . (الملا) قال الفخر الرازي : [عبارة عن القوم الذين تمتليء القلوب من هيبتهم]. انظر: تفسير الفخر الرازي ١٦٥/١٤ .

٣ - وفي مقام التنديد بقوم شعيب عليه السلام والتشنيع عليهم ذكر عز وجل أن تكبرهم دفعهم إلى الظلم والعتو والتجبر بتهديد شعيب عليه السلام ومن آمن معه إن لم يرتدوا عن الإيمان أو يخرجوا من القرية (١) قال تعالى: { قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ } (٢) .

٤ - حكاية عن استكبار فرعون وقومه عن الإيمان بما أرسله الله تعالى من الآيات المفصلات (٣) . قال تعالى : { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ } (٤) .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٣/٢٤٨ .

(٢) سورة الأعراف آية (٨٨) .

(٣) انظر تفسير أبوالسعود ٣/٢٦٥ .

(٤) سورة الأعراف آية (١٣٣) .

- (الطوفان) : اختلف في بيان المقصود منه، فمن قال : هو الماء ومن قال هو الموت، ومن قال كثرة المطر والريح، ومن قال أمر من الله طاف بهم وبه، قال ابن عباس، وأبوجعفر الطبري، وأوله بأنه مصدر من قول القائل (طاف بهم أمر الله يطوف طوفاناً) كما يقال : نقص هذا الشيء ينقص نقصاناً) . وقال وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد، وجاز أن يكون الموت الذريع ..] ١٣/٥٢ .

- (القمل) اختلف في معناه فقيل السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل الدبى وهو صغار الجراد لا أجنحه له، وقيل البراغيث، وقيل دواب سود صغار . انظر: تفسيرالطبري المحقق ١٣/٥٤ .

- (الضفادع) سلط الله عليهم الضفادع تسقط في أطعمتهم التي في بيوتهم وفي أشربتهم .

- (الدم) يقال الرعاف . تفسير الطبري ١٣/٧٨ .

- (آيات مفصلات) : قد فصَّل بينها فجعل بعضها يتلو بعضاً وبعضها في آثر بعض . تفسيرالطبري ١٣/٦٨ .

٥ – وفي فرعون وقومه قال تعالى : { ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ } (١)

٦ – وفيهم قال تعالى : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ } (٢) .

٧ – وفي فرعون وقومه قال تعالى : { وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ } (٣) .

٨ – حكاية عن تعنت منكري البعث (٤) قال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً } (٥) .

٧ – حكاية عن تعنت المشركين والتشنيع على كبرهم (٦) .

قال تعالى : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ

---

(١) سورة يونس آية (٧٥) .

(٢) سورة المؤمنون آية (٤٥ – ٤٦) .

(٣) سورة القصص آية (٣٩) .

(٤) انظر : القرطبي ١٣/١٩ .

(٥) سورة الفرقان آية (٢١) .

{ وقال الذين لايرجون لقاءنا } قال القرطبي [لايخافون البعث ولقاء الله أي لايؤمنون بذلك] ١٣/١٩ .

{ لولا أنزل علينا الملائكة } أي هلا أنزل الملائكة فيخبروننا أن محمداً صادق . تفسير القرطبي ١٣/١٩ .

{ أو نرى ربنا } عياناً فيخبرنا برسالته .

{وعتوا عتواً كبيراً } عتوا : علواً في الأرض والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم إذ لم يكتفوا بما أنزل عليهم من المعجزات . تفسيرالقرطبي ١٣/٢٠ .

(٦) انظر : تفسيرالقرطبي ١٤/٣٥٨ .

مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَازَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً . اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَايَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } (١) .

١٠- في معرض إقامة الحج والبراهين على منكري رسالة النّبي محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى حكايةً عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لقومه على سبيل التقرير والتوبيخ (٢) { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٣) .

---

(١) سورة فاطر آية (٤٢ ، ٤٣) .

قال القرطبي [هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم حين بلّغهم أن أهل الكتاب كذّبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيّه منهم وأقسموا بالله جل إسمه لئن جاءهم نبي { ليكونن أهدى من إحدى الأمم } يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب، وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل فلمّا جاءهم ماتمنّوه وهو النذير من أنفسهم نفروا عنه ولم يؤمنوا به {استكباراً} أي عتواً عن الإيمان { ومكر السيء } أي مكر العمل السيء وهو الكفر وخدع الضعفاء وصدهم عن الإيمان ليكثر أتباعه ... { ولايحيق المكر السيء إلاّ باهله } أي لاينزل عاقبةُ الشرك إلاّ بمن أشرك ...

يحيق : بمعنى يحيط والحوق الإحاطةُ يقال حاق به كذا أي أحاط به] تفسير القرطبي ٣٥٨/١٤ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٨٨/١٦ ؛ التحرير والتنوير ١٨/٢٦ .

(٣) سورة الأحقاف آية (١٠) .

قوله (وشهد شاهد من بني إسرائيل) قال القرطبي [قال ابن عباس، والحسن ، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد، هو عبدالله بن سلّام شهد على اليهود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة وأنه نبي من عند الله] انظر تفسير القرطبي ١٨٨/١٦ .

ثالثاً : الكبر سبب الغفلة والضلال عن الحق والهدى، والطبع على القلب، والجدال في آيات الله، والصد عن سبيل الله، فهو سبب لآفات كثيرة منها :

١ - في مقام التحذير من التكبر وبيان أنه موجب للغفلة وعدم التفكر في آيات الله (١) . قال تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } (١)

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٦) .

قوله (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال أبوجعفر [إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهي أدلته، وإعلامه على حقيقة ما أمر به عباده، وفرض عليهم من طاعته في توحيده، وعدله وغير ذلك من فرائضه .. وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لايؤمنون ، فهم عن فهم جميع آياته، والاعتبار، والإدّكار بها مصروفون، لأنهم لو وفّقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به إتعظوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم لأنه جل ثناؤه قال {وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها}فلا تبديل لكلمات الله] انظر الطبري ١١٣/١٣ (يتكبرون في الأرض بغير الحق) هو استكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله، والإذعان لأمره ونهيه .

قوله (وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً) الرشد : الهداية .

والمعنى : وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة وصاروا إلى نعيم الأبد لايسلكوه ولايتخذوه لأنفسهم طريقاً جهلاً منهم وحيرة] . انظر تفسيرالطبري ٤٨٥/٥ ، ١١٤/١٣ .

{ وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً } الغي : مصدر غوى فلان فهو يغوي غياً وغواية إذا عد الحق وتجاوز الفضل . والمعنى : أن هؤلاء المتكبرين إن يروا طريق الهلاك والضلال الذي إن سلكوه ضلوا وهلكوا، يسلكوه، ويجعلوه لأنفسهم طريقاً، لصرف الله لهم عن آياته، وطبعه على قلوبهم فهم لايفلحون، ولاينجحون] .انظر تفسير الطبري ٤١٦/٥ ؛ ١١٥/١٣ .

٢ - في معرض الكشف عما تكنه صدور المجادلين من أسباب جدالهم بغير حق، وبيان أن الكبر سبب جدالهم في آيات الله بغير حق ولا حجة ولا دليل (١) .

قال تعالى : { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } (٢) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ١٧٢/٢٤ .

(٢) سورة غافر آية (٣٥) .

بمعنى [أن الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله، فإن الله عز وجل يمقت ذلك أشد المقت، والمؤمنون كذلك يبغضون من إتصف بهذه الصفات، لأنه يكون من المتكبرين على إتباع الحق، فيستحق أن يطبع الله على قلبه فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً]، انظر تفسير ابن كثير ١٣٨/٥ (بتصرف) .

قال ابن عاشور [المقت شدة البغض وهو كناية عن شدة العقاب على ذلك من الله تعالى، وكونه مقتاً عند الله تشنيع له وتفظيع] انظر التحرير ١٤٣/٢٤

والطبع : الختم . والختم والطبع خلق الضلالة في القلب أي النفس . التحرير ١٤٤/٢٤ .

[والمتكبر : ذو الكبر المبالغ فيه، ولذلك استعيرت صيغة التكليف] التحرير ١٤٤/٢٤ .

[والجبار : مثال مبالغة من الجبر وهو الإكراه فالجبار الذي يكره الناس على مالايحبون عمله لظلمه]، التحرير والتنوير ١٤٤/٢٤ .

سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (١) .

٣ - في مقام الكشف عن حال المنافقين وبيان أن الكبر سبب صدّهم عن سبيل الله قال تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ } (٢) .

---

(١) سورة غافر آية (٥٦) .

قوله { إن في صدورهم إلاَّ كبر } قال ابن عاشور [الكبر من الانفعالات النفسية وهو إدراك الإنسان خواطر تشعره بأنه أُعظم من غيره فلا يرضى بمساواته بَلْهَ متابعته ... والمعنى مايحملهم على الكبر الذي جاءهم بها؟ وليست مجادلتهم لدليل لاح لهم ، وقد أثبت لهم الكبر الباعث على المجادلة بطريق القصر لينفي أن يكون داعيهم إلى المجادلة شيئاً آخر غير الكبر على وجه مؤكد فإن القصر تأكيد على تأكيد لمايتضمنه من إثبات الشيء بوجه مخصوص مؤكد ..] التحرير ١٧٣/٢٤ .

{ وما هم ببالغيه } حقيقة البلوغ الوصول : ويطلق على نوال الشيء وتحصيله مجازاً مرسلاً .

والمراد كما قال ابن عاشور [تعين أن نفي بلوغهم الكبر منصرف إلى حالات الكبر، فإمّا أن يراد نفي أُهليتهم للكبر إذ هم أقل من أن يكون لهم الكبر ... وإما أن يراد نفي نوالهم شيئاً من آثار كبرهم مثل تحقير الذين يتكبرون عليهم،مثل احتقار المتكبر عليهم ومخالفتهم إياهم فيما يدعونهم إليه فضلاً عن الإنتظام في سلك أتباعهم وإذلالهم وإفحام حجتهم ، فالمعنى : ماهم ببالغين مرادهم الذي يأملونه منك في نفوسهم الدالّه عليه أقوالهم مثل (نتربص به ريب المنون) (لاتسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه لعلكم تغلبون) ونحو ذلك من أقوالهم الكاشفة لآمالهم] انظر التحرير ١٤٧/٢٤ .

(٢) سورة المنافقين آية (٥) .

٤ - في مقام التنديد والتشنيع على من ينصرف عن القرآن وتدبره والإيمان به استكباراً ذكر سبحانه وتعالى حال النضر بن الحرث والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (١) قال تعالى : { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (٢) .

رابعاً : في مقام الكشف عن صفات منكري البعث وسبب إنكارهم لليوم الآخر والإيمان به وبيان أن الكبر والتعظم عن قبول الحق من صفاتهم فاستحقوا عقابه (٣) قال تعالى : { إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ } (٤) .

وفي موضع آخر قال تعالى حكاية عن قيل موسى لمن استكبر من قومه: { وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ } (٥) .

خامساً: في مقام بيان صفات المشركين وبيان سبب استحقاقهم للعذاب (٦) قال تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } (٧) .

---

(١) انظر : نظم الدرر ٥٠٣/٦

(٢) سورة لقمان آية (٧) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٩٥/١٠ ؛ تفسير أبي السعود ١٠٧/٥ .

(٤) سورة النحل آية (٢٢ ، ٢٣) .

(٥) سورة غافر آية (٢٧) .

(٦) انظر تفسير الطبري غير المحقق ٥١/٢٣ .

(٧) سورة الصافات آية (٣٥) .

قال أبوجعفر [إن هؤلاء المشركين بالله كانوا في الدنيا إذا قيل لهم قولوا (لا إله إلا الله يستكبرون) أي يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون] انظر تفسير الطبري غير المحقق ٥١/٢٣ .

سادساً: في بيان سوء عاقبة المتكبرين والكشف عن بعض أنواع العذاب الذي سيجدونه وردت نصوص كثيره في القرآن والسنة منها :

١ - في مقام التهديد والتحذير والوعيد من التأبي والتكبر عن عبادته (١) .

قال تعالى : { .. وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً } (٢) .

٢ - في معرض التهديد والترهيب من سوء عاقبة المفترين على الله والمتكبرين عن آياته (٣) .

قال تعالى : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } (٤) .

٣ - في مقام التبكيت والتوبيخ للذين استكبروا عن قبول الحق واستكبروا على الناس وبيان سوء عاقبتهم (٥) .

---

(١) انظر : نظم الدرر ٥/٥٢٤ ؛ تفسير ابوالسعود ٢/٢٦١ ؛ السراج المنير ١/٣٤٨

(٢) سورة النساء آيه (١٧٢ - ١٧٣) .

قال ابو هلال العسكري في كتابه [إن في الاستنكاف معنى الآنفه وقد يكون الاستكبار طلباً من غير أنفه قال تعالى{ ومن يستنكف من عبادته ويستكبر } اي يستنكف عن الإقرار بالعبوديه ويستكبر عن الإذعان بالطاعه] انظر الفروق اللغويه (٢٠٦) .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٣/٨٦ .

(٤) سورة الانعام آيه (٩٣) .

(٥) انظر : الفخر الرازي ١٤/٧٠ ، ١٤/٧٥ ؛ تفسرابي السعود ٣/٢٢٧ .

قال تعالى : { وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (١)

وقال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ } (٢) .

وقال تعالى في موضع آخر في مقام ذكر حوار بيّن أصحاب الأعراف وأصحاب النّار تبكيتاً وتوبيخاً لهم (٣) . { وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ } (٤) .

٤ – في معرض التقريع، والتوبيخ، وبيان حسرتهم على مافاتهم من الخير، بسبب تكبرهم، ذكر عز وجل حالهم يوم القيامة، وتقريع المستضعفين للمستكبرين وتوبيخهم (٥) .

قال تعالى : { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ ٱلضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ } (٦) .

---

(١) سورة الأعراف آية (٣٦) .

(٢) سورة الأعراف آية (٤٠) .

(٣) أنظر : تفسيرالفخر الرازي ٩١/١٤ ؛ تفسير أبي السعود ٢٣٠/٣ .

(٤) سورة الأعراف آية (٤٨) .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود /٤١ .

(٦) سورة إبراهيم آية (٢١) .

٥ - في مقام الترهيب وأخذ العظة والعبرة من مآل السابقين الذي أخبر عنه قوله تعالى : { وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (١) .

٦ - في بيان حال المستكبرين وهم في العذاب والتبكيت بهم قال تعالى : { أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ } (٢) .

٧ - في مقام بيان سوء عاقبتهم قال تعالى : { .. إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (٣) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } (٤) .

---

(١) سورة العنكبوت آية (٣٩ ، ٤٠)

(٢) سورة الزمر آية (٥٨ - ٦٠) .

(٣) سورة غافر آية (٦٠) .

(داخرين) قال [ابن عاشور حال من ضمير سيدخلون : أي أذلة . دخر كمنع وفرح صغر وذل] انظر التحرير ٢٤/١٨٣ .

(٤) سورة غافر آية (٧٦) .

قال ابن عاشور [دخول الأبواب كناية عن الكون في جهنم لأن الأبواب إنما جعلت ليسلك منها إلى البيت ونحوه .

(فبئس مثوى المتكبرين) المثوى محل الإقامة الدائمة وأوثر لفظ (مثوى) دون الدخول لأنه أدل على الخلود]- التحرير ٢٤/٢٠٧ .

[(المتكبرين) عدا عن الضمير إلى الإسم الظاهر للإشارة إلى أن سبب وقوعهم في النار تكبرهم على الرسل]. التحرير والتنوير ٢٤/٢٠٧ .

وفي موضع آخر قال تعالى : { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ } (١) .

ومما ورد في السنة المطهرة في بيان مآل المستكبرين وأنواع العذاب الذي سيصير إليه كل متكبر.

١ - في مقام الترهيب من التكبر أخبر صلى الله عليه وسلم عن مآل المستكبرين وأنهم في النار حتى أصبحوا أهلها ، ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » (٢) .

---

(١) سورة الأحقاف آية (٢٠) .
[(أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) إذهاب الطيبات مستعار لمفارقتها كما أن إذهاب المرء إبعاده عن مكانه له . والذهاب المبارحة .
والمعنى : إستوفيتم مالكم من الطيبات بما حصل لكم من نعيم الدنيا ومتعتها فلم تبق لكم طيبات بعدها لأنكم لم تعملوا لنوال طيبات الآخرة وهو أعذار لهم وتقرير لكونهم لايظلمون فرتب عليه قوله (فاليوم تجزون عذاب الهون).
(والهون) الهوان وهو الذل .. والمراد بالاستكبار هنا الإستكبار على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى قبول دعوته دعوة التوحيد .
(والفسوق) الخروج عن الدين الحق وهو الشرك] انظر التحرير والتنوير ٤٢/٢٦ - ٤٣ .

(٢) خ مع فتح الباري ٦٦٢/٨ ك التفسير باب (عتل بعد ذلك زنيم) (واللفظ له). ٥٤١/١٠ ك الأدب باب الكبر ؛ ٥٤١/١١ ك الإيمان والنذر باب قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم .
م : ٢١٩٠/٤ ك الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون .
قوله[(عتل) الغليظ العنيف]— فتح الباري ٦٦٢/٨ .
[(جواظ) الكثير اللحم المختال في مشيه]— المرجع السابق .

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال،يغشاهم الذل من كل مكان،يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس،تعلوهم نار الأنيار،يسقون من عصارة أهل النّار،طينة الخبال » (١) .

سابعاً: في بيان مقامهم ومسكنهم في الآخرة ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « تحاجّت الجنة والنّار فقالت النّار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنّة مالي لايدخلني إلاّ ضعفاء وسقطهم ؟ قال اللّه تبارك وتعالى للجنّة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنّار : أنت عذابي أعذب به من أشاء من عبادي ولكل واحدة منها ملؤها » (٢) .

ثامناً :

١ - في الترهيب من الكبر وبيان تحريمه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » .

قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً . قال « إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط النّاس » (٣) .

---

(١) ت : ٦٥٥/٤ ك صفة القيامة باب (٤٧) وقال عقبه: إسناده حسن (قوله (طينة الخبال) قال ابن الأثير جاء تفسيرها في بعض الحديث (قيل يارسول الله وماطينة الخبال . قال هي صديد أهل النّار)) انظر جامع الأصول ٦٣٦/١٠ .

(٢) خ مع فتح الباري ٥٩٥/٨ ك التفسير باب (وتقول جهنّم هل من مزيد) .
م : ٢١٨٦/٤ ك الجنّة باب النار يدخلها الجبارون .

(٣) م : ٩٣/١ ك الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه . واللفظ له .
ت : ٣٦١/٤ ك البر و الصلة باب ماجاء في الكبر .
جه ٤٢١/٢ أبواب الزهد باب البراءة من الكبر .

قال ابن حجر :

وفي روايه أخرجها الحاكم « الكبر من بطر الحق وازدرى الناس » (١) .

وفي روايه عبد بن حميد من حديث ابن عباس ومنه « الكبر السفه عن الحق وغمص الناس فقال : يانبي الله وماهو ؟ قال : السفه أن يكون لك على رجل مال فينكره فيأمره رجل بتقوى الله فيأبى . والغمص : أن يجيء شامخاً بأنفه وإذا رأى ضعفاء الناس وفقراءهم لم يسلم عليهم ولم يجلس اليهم محقرة لهم » (٢) .

٢ - ومما ورد في ذلك مارواه أبوهريرةَ رضي الله « أن رجلاً أُتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان جميلاً : فقال : حبب إلى الجمال واعطيت ماترى حتى ماأحب أن يفوقني أحد . إما قال بشراك نعل وإما قال بشسع أحمر . الكبر ذاك ؟ قال : لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس» (٣) .

تاسعاً : ومما ورد في ذم الكبر قوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث دخل الجنةَ . من الكبر والغلول والدين » (٤) .

عاشراً: ومما ورد في الترهيب من الكبر ماثبت في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته » (٥) .

---

(١) انظر : فتح الباري ٤٨٩/١٠ .

(٢) انظر : فتح الباري ٤٨٩/١٠ .

(قوله (بطر الحق) أي دفعه وانكاره ترفعاً وتجبراً). فتح الباري ٤٨٩/١٠ .

(وقوله (غمص الناس) من الغمص وهو الاختبار والازدراء). المرجع السابق .

(٣) خ في الأدب المفرد ٨٢ باب الكبر .

(٤) جه ٥٧/٢ أبواب الاحكام باب التشديد في الدين .

(٥) م : ٢٠٢٣/٤ ك البر والصله والادب باب تحريم الكبر .

هذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه .

وفي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عنَّاد قال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار » (١) . وفي رواية « ألقيته في جهنم » (٢) .

حادي عشر : ومما ورد في النهي عن الكبر قول صلى الله عليه وسلم « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولايبغي أحد على أحد » (٣) قال ابن حجر : [والأمر بالتواضع نهي عن الكبر فإنه ضده وهو أعم من الكفر وغيره] (٤) .

ثاني عشر: ومما ورد فيما يستثنى من الكبر ماروواه الترمذي بسنده عن جبير بن مطعم عن أبيه قال : تكونون في التِّيهِ وقد رَكِبْتُ الحِمَارَ ولَبِسْتُ الشَّمْلَةَ وقد حَلَبْتُ الشَاةَ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فعل هذا فليس فيه من الكِبْرِ شيء »] (٥) .

---

(١) د : ٩٤/٤ ك اللباس باب الكبر .

(٢) جة ١٣٩٧/٢ ك الزهد باب البراءة من الكبر .
قوله (الكبرياء : الكبر وهو الترفع على الغير بأن يرى لنفسه عليه شرفاً . وقيل : الكبرياء الترفع عن الإنقياد وذلك لايستحقه إلا الحق فكبرياء ألوهيته التي هي عبارة عن تمام استغنائه واستعلائه ومثّلهما بالرداء والإزار إبراز للمعقول في صورة المحسوس فكما لايشارك الرجل رداءه وإزاره لايشارك الباري في هذين فإنه الكامل المنعم المنفرد بالبقاء وماسواه ناقص محتاج] انظر : إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٣٣٦/٨ .

(٣) م : ٢١٩٩/٤ ك الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار . واللفظ له .
د : ٢٧٤/٤ ك الأدب باب في التواضع .
جه : ٤٢٨/٢ أبواب الزهد باب البغي .

(٤) فتح الباري ٤٩١/١٠ .

(٥) ت: ٣٦٢/٤ ك البرد والصلة باب ماجاء في الكبر قال أبوعيسى حديث صحيح غريب .

من النصوص السابقة تجلّت الحقائق التالية :

١ - أن الكبر خلق باطن يصدر عنه أعمال وذلك الخلق هو رؤية النّفس فوق المتكبر عليه (١) .

٢ - أن الكبر أثر من آثار العجب والبغي في قلب قد إمتلأ بالجهل والظلم، قال الشيخ السفاريني في كتابه غذاء الألباب [وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي من قلب قد إمتلأ بالجهل والظلم ترحّلت عنه العبودية ونزل عليه المقت، فنظره إلى النّاس شزر، ومشيه بينهم تبختر ، ومعاملته لهم معاملة الاستيثار لا الإيثار، ولا الانصاف، ذاهب بنفسه بها لا يبدأ من لقيه بالسلام ، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الانعام عليه ، لاينطلق لهم وجهه، ولايسعهم خلقه، ولايرى لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على النّاس، ولايرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم، ولايزداد من الله إلاّ بعداً، ولا من النّاس إلاّ صغاراً أو بغضاً] (٢) .

٣ - الكبر آفة فتاكة وهو مرض خطير مدمر لنفس الإنسان ومؤد به للهلاك والخسارة في الدنيا والآخرة .

فمن الأضرار الدنيوية :

أن الكبر سبب كل رذيلة :

(١) فإنه يؤدي إلى الكفر بالله لأنه مدعاة الاستقلال بالأعمال وعدم النظر إلى من الله عليه قال تعالى : { قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ } (٣) ولم يقل ذلك قارون إلا بعد أن أفقده الكبر التعقل والتفكر فأعجب بنفسه وبعمله فكفر (٤)

---

(١) غذاء الألباب ٢/٢٢٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة القصص آية (٧٨) .

(٤) انظر الوصايا /١١١ .

(٢) أن الكبر يؤدي إلى الغفلة عن المآل والمصير في الآخرة والغفلة عن التفكير في خاتمة الإنسان فيزدري النَّاس ويحتقرهم وهو لايعلم بما يختم له ولمن يحتقرهم ولا إلى أي الدارين يكون مصير كل واحد فقد يكون من إحتقره خيراً منه عند ربه (١) لقوله تعالى : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (٢) .

(٣) الكبر يدعو إلى تزكية النفس والله تعالى نهى عن تزكية النفس بقوله (٣) { فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ } (٤) .

(٤) الكبر يسبب الحسد والحقد والتباغض، كما تسبب الحسد في بغض إبليس لآدم عليه السلام وحسده لأن الله كرم آدم عليه السلام فبغضه إبليس وأخذ على نفسه عهداً أمام الله بأن يسعى لغواية بني آدم عليه السلام كما ذكر ذلك عز وجل في كتابه العزيز في مواضع عديدة حكاية عن إبليس . قال تعالى : { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } (٥) .

وقوله تعالى : { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (٦) . وقوله تعالى : { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } (٧) .

---

(١) انظر الوصايا /١١١ .

(٢) سورة الحجرات آية (١٣) .

(٣) انظر الوصايا /١١١ .

(٤) سورة النجم آية (٣٢) .

(٥) سورة الأعراف آية (١٦-١٧)

(٦) سورة الحجر آية (٣٩ – ٤٠) .

(٧) سورة ص آية (٨٢ – ٨٣) .

(٥) استحقاق المتكبرين الطبع على قلوبهم وكونهم من الغافلين وذلك مادل عليه قوله تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } (١) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } (٢) .

ومن الأضرار الأخروية :

(١) استحقاق المتكبر الطرد من الجنة،وذلك مالحق إبليس لمّا تكبر على آدم عليه السلام،وأبى طاعة ربه وعصى الله عز وجل،فطرده منها وذلك مادل عليه (٣).

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٦) .

قوله { سأصرف عن آياتي .. } [ومعنى صرفهم صدّهم عن فهم الآيات وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم بالطبع على قلوبهم بحيث لايكادون يتفكرون فيها،ولايعتبرون بها،لإصرارهم على التكبر،والتجبر،وانهماكهم فيما يشغلهم عنها من الشهوات واقتران فعل (أصرف) بسين الاستقبال القريب تنبيه على أن الله يعجل ذلك الصرف] انظر : التسهيل ٤٥/٢ ؛ الكشاف ١١٧/٢ ؛ حاشية الجمل ١٩٠/٢ ؛ حاشية الشهاب ٤١٨/٤ التحرير والتنوير ١٠٤/٩ .

قوله { وكانوا عنها غافلين } للدّلاله على استمرار غفلتهم وكونها أبداً لهم وأنها عن قصد منهم لأنهم التزموها وهذه الغفلة المقصودة هي المانعة من أسباب العلم والفطنة] انظر : تفسير أبي السعود ٢٧١/٧ ؛ روح المعاني ٦٧/٩ ؛ المنار ١٩٦/٩ .

(٢) سورة غافر آية (٣٥) .

(٣) انظر : مع الأنبياء لعفيف طبارة (٤٣) .

قوله تعالى : { فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا } (١) وقوله تعالى : { فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } (٢) .

(٢) إلحاق الذل والهوان والصغار بالمتكبر . وذلك مالحق إبليس بسبب تكبره . قال تعالى : { إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } (٣) يعني ذوي الذل والهوان . وذلك لتأبيّه وتكبره فلحق به الذل والهوان .

(٣) استحقاق المقت من الله تعالى وذلك ماستحقه إبليس بسبب كبره فمقته الله عز وجل وطرده وأبعده من رحمته وذلك مادل عليه (٤) قوله تعالى : { قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (٥) .

وقوله تعالى : { قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (٦) .

وقوله (رجيم) مطرود من كل خير . واللعن . هو إبعاد عن رحمة الله .

وقوله (لعنتي) إبعاد الله تعالى من يعصيه عن الخير ثم لعنة الملائكة والناس من التبع للعنه (٧) .

وحيث أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقد استحق العقاب كل متكبر، كما استحق إبليس العقاب على تكبره، وقد صرح الله عز وجل

---

(١) سورة الأعراف آية (١٣) .

(٢) سورة (ص) آية (٧٧) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٣) .

(٤) انظر : مع الأنبياء / ٤٣ .

(٥) سورة (ص) آية (٧٧ - ٧٨) .

(٦) سورة الحجر آية (٣٤ ، ٣٥) .

(٧) انظر كتاب التسهيل ١٨٩/٣ ؛ تفسير المراغي ١٣٧/٢٣ ؛ الواضح ٣١٨/٢ ؛ درة التنزيل وغرة التأويل (١٤١) .

باستحقاق من تبع إبليس عذاب جهنم في قوله تعالى : { قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ } (١) .

٤ – الحرمان من الجنه ودخول النار وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }(٢).
وقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ . لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } (٣) .

قال ابن عاشور [فقد جعل عز وجل لانتفاء دخولهم الجنه امتداداً مستمراً اذ جعل غايته شيئاً مستحيلاً . وهو ان يلج (أي يدخل) الجمل في سم الخياط أي لو كانت لانتفاء دخولهم الجنه غايه لكانت غايته دخول أي (ولوج) الجمل في سم الخياط وهو أمر لايكون] (٤) .

وقال تعالى { ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ }(٥).

---

(١) سورة الأعراف آيه (١٨) .

(٢) سورة الأعراف آيه (٣٦) .

[قوله { اولئك اصحاب النار } أفاد القصر انهم صائرون الى النار بقصر ملازمته النار عليهم لأن لفظ أصحاب مؤذن بالملازمه. وقوله { فيها خالدون } دليل على الدوام والثبات فيها] .

انظر : التحرير والتنوير ٩/١١١ .

(٣) سورة الاعراف آيه (٤٠، ٤١) .

قوله (مهاد) [المهاد جمع مهد وهو الموضع المهيأ للنوم وسمي جهنم مهاداً لأنها مستقر الكفار] انظر : العمده في غريب القرآن /٩١ .

قوله (غواش) [جمع غاشيه بمعنى غطاء يقال غشه بثوب اي غطاه] انظر غريب القرآن /٤٠ ؛ العمده في غريب القرآن /١٣٥ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ٩/١٢٧ .

(٥) سورة الزمر آيه (٧٢) ونظيره سورة غافر آيه (٧٦) .

وقال تعالى:{ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ }(١).

ودخول الباب ولوجه لوصول ما وراءه . والمراد أُدخلوا طبقات جهنّم وذوقوا ألواناً من العذاب بما دنّستم به أنفسكم من الإشراك بالله وإجتراحكم الموبقات والمعاصي وبئس المقام دار الذل والهوان لمن كان متكبراً عن إتباع الرسل والإهتداء بالآيات التي أنزلت (٢) .

هذا وإن للكبر أضراراً ومفاسد كثيرة لايتسع المقام لذكرها . وبقى أن أشير إلى أن هذه العقوبة القادحة وهي الخلود في النّار تلحق بالمتكبرين الذين امتنعوا عن قبول دعوة الأنبياء والرسل والإنقياد لأمر الله وطاعته . ولكنّ التكبر على العباد لايدخل في هذه العقوبة الفادحة إلاّ إذا مات على خصلة الكبر، فإنّه يستحق دخول النّار، ولكن ليس الخلود فيها كما دلّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » (٣) .

قال النووي [إختار القاضي عياض وغيره من المحققين من أن لايدخل الجنّة دون مجازاة إن جازاه . وقيل هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأن لايجازيه بل لابد أن يدخل كل الموحّدين الجنة إمّا أولاً وإمّا ثانياً بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرّين عليها . وقيل لايدخلها أول وهلة] (٤) .

---

(١) سورة النحل آية (٢٩) .

(٢) انظر : تفسير الطبري المحقق ٩٠/١٤ ؛ فتح القدير ٤٧٦/٤ ؛ تفسير المراغي ٧٢/١٤ ؛ التحرير والتنوير ٦٩/١٤ .

(٣) سبق تخريجه (١٨٩).

(٤) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/٢ تحريم الكبر باب من مات لايشرك بالله دخل الجنة .

[٢] الخيــلاء

المعنى اللغوي :

الخيلاء والخيلاء بالضم والكسر . الكبر والإعجاب (١)

قال ابن فارس : [الخاء والياء واللام أصل واحد يدل على حركة في تلون] (٢)

يقال : إختال فهو ذو خيلاء وذو خال وذو مخيلة أي ذو كبر (٣) .

قال العجاج :

والخال ثوب من ثياب الجهال .·. والدهر فيه غفلة للغفال (٤)

قال ابن منظور : وكأن الليث جعل الخال هنا ثوباً وإنما هو الكبر (٥) .

وخص ابن دريد الخيلاء بالتكبر في المشي فقال [الخيلاء التكبر في المشي ولايكون ذلك إلا مع سحب الإزار] (٦) .

=.=.=.=.=.=.=.=.=

الخيلاء في اصطلاح العلماء :

هو التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه (٧) .

من تعريف علماء اللغة وأهل العلم يتضح أن الخيلاء مرض ناجم عن مرض الكبر والإعجاب بالنَّفس وكلاهما داء فتاك بنفس الإنسان يطمس عليه الغفلة والجهل ويؤدي به إلى التهلكة .

---

(١) انظر : الصحاح ١٦٩١/٤ ؛ النهاية في غريب الحديث ٩٣/٢ ؛ مختار الصحاح ١٩٦ ، لسان العرب ٢٢٨/١١ ؛ المصباح المنير ١٨٦/ القاموس المحيط /٣٧٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢٣٥/٢ .

(٣) انظر : الصحاح ٦١٩١/٤ ؛ لسان العرب ٢٢١/١١ .

(٤) انظر : الصحاح ١٦٩١/٢ ؛ لسان العرب ٢٢١/١١ .

(٥) لسان العرب ٢٢١/١١ .

(٦) جمهرة اللغة ٢٤٣/٢ .

(٧) انظر : المفردات ١٦٢ ؛ بصائر ذوي التمييز ٥٨٠/٢ .

الخيلاء في نصوص القرآن والسنة :

ورد استعمال الخيلاء في القرآن الكريم بلفظ (مختال) في مواضع ثلاث :

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (١) .

وفي موضع آخر : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٢) .

وفي موضع آخر : { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٣) .

وورد معناه بلفظ (مرح) .

وفيه قوله تعالى : { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا } (٤) .

{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا } (٥) .

{ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ } (٦) .

وفي السنه المطهرة ورد بصيغة الفعل المضارع (يختال) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجّل رأسه يختال في مشيته .. » (٧) .

---

(١) سورة النساء آية (٣٦) .
مختالاً : متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولايلتفت إليهم ويتفاخر عليهم] انظر : القرطبي ١٩٢/٥ ؛ البيضاوي مع حاشية ١٣٥/٣ ؛ تفسير أبي السعود ١٧٧/٢ ؛ العمدة في غريب القرآن (١١١) .

(٢) سورة لقمان آية (١٨) .

(٣) سورة الحديد آية (٢٣) .

(٤) سورة الاسراء آية (٣٧) ..

(٥) سورة لقمان آية (١٨) .

(٦) سورة غافر آية (٧٥) .

(٧) خ ١٨٣/٧ ك اللّباس باب من جّرثوبه خيلاء .
م : ١٦٥٣/٣ ك اللّباس باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بنفسه .

كما ورد بصيغة المصدر (خيلاء) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم « لاينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء » (١) .

كما ورد بصيغة (إختال) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم « من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي اللّه وهو عليه غضبان » (٢) .

الخيلاء وأضراره في القرآن والسنة :

(١) في مقام الأمر بالإحسان إلى فئات من النّاس وذم موانع الإحسان (٣) قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (٤) .

(٢) في مقام التوجيه والتربية نهى لقمان ابنه عن بعض مظاهر الكبر والخيلاء (٥) . قال تعالى حكاية عن وصايا لقمان لإبنه : { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٦) .

---

(١) خ : ١٨٢/٧ ك اللّباس باب قوله تعالى { قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده } .
م : ١٦٥١/٣ ك اللّباس باب تحريم جرّ الثوب خيلاء .

(٢) الأدب المفرد وباب الكبر (٨١) .
مستدرك الحكم ٦٠/١ وقال الحاكم (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) وأقره الذهبي على شرط مسلم .

(٣) انظر تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ١٣٥/٣ ؛ تفسير القرطبي ١٩٢/٥

(٤) سورة النساء آية (٣٦) .
[مختال: إسم فاعل من إختال يختال أي تكبر وأعجب بنفسه وألفه منقلبة عن ياء] حاشية الجمل ٢٨١/١ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٦٩/١٤ ؛ تفسير أبي السعود ٧٣/٧ .

(٦) سورة لقمان آية (١٨) . قوله : [تصعر : التصعر داء يصيب البعير يلوى منه العنق والمعنى لاتعرض عنهم تكبراً] انظر القرطبي ٦٩/١٤.[مرحاً : متبختراً متكبراً . قال القرطبي : هو النشاط والمشي فرحاً في غير شغل وفي غير حاجة ؛ وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء فالمرح مختال في مشيته] القرطبي ٧٠/١٤ .

(٣) في مقام النهي عن الفرح البالغ المؤدي إلى البطر والخيلاء (١) قال تعالى : { واللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٢) .

(٤) في مقام الترهيب من الخيلاء والعجب بالنّفس وأخذ العبرة من عقاب الله للمتكبرين الذين يمشون على الأرض بفخر وخيلاء أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشي في حله تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة » (٣) .

وفي رواية : « أنَ رجلاً ممن كان قبلكم يتبختر في حلّه » (٤) ثم ذكر مثل حديثهم .

(٥) في بيان استحقاق المختال إعراض الله عنه يوم القيامة،فلاينظر إليه بعين الرّحمة،ورد في الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء » (٥) .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢١١/٨ . قال أبو السعود [إن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه إختال وافتخر بها لا محالة] .

(٢) سورة الحديد آية (٢٣) .

(٣) خ : ١٨٣/٧ ك اللّباس باب من جرّ ثوبه خيلاء .
م : ١٦٥٣/٣ ك اللّباس باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بنفسه .

(٤) م : ١٦٥٤/٣ ك اللّباس باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بنفسه .
التجلجل : قال ابن حجر [قال ابن دريد (كل شيء خلطت بعضه ببعض فقد جلجلته) وقال ابن فارس : (التجلجل أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق) فالمعنى : يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطرباً متدافعاً] انظر : فتح الباري ٢٦١/١٠ .

(٥) خ : ١٨٢/٧ ك اللّباس باب قوله تعالى { قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده } . م ١٦٥١/٣ ك اللّباس باب تحريم جرّ الثوب خيلاء .

وفي رواية « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً » (١) . وفي رواية « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » (٢) وفي رواية مسلم « من الخيلاء » (٣) .

(٦) في بيان استحقاق المختال في مشيته غضب الله عليه يوم القيامة ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان » (٤) .

كما ورد الخيلاء بلفظ المرح :

(١) في مقام التهكم والتشنيع على من اتصف بهذه الصفات (٥) قال تعالى : { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا } (٦) .

(٢) وقال تعالى حكاية عن مواعظ لقمان لابنه بالترفع عن مظاهر الكبر والخيلاء(٧) .

---

(١) خ : ٧/١٨٢ ك اللِّباس باب من جرَّ ثوبه من الخيلاء .
م : ٣/١٦٥٣ك اللِّباس باب تحريم جرّ الثوب خيلاء .

(٢) خ : ٧/١٨٢ ك اللبِّاس باب من جرّ إزاره من غير خيلاء .
م : ٣/١٦٥٢ ك اللِّباس باب تحريم من جّر ثوبه خيلاء .

(٣) م : ٣/١٦٥٢ ك اللبّاس باب تحريم من جرّ ثوبه خيلاء .

(٤) الأدب المفرد باب الكبر (٨١) .
أورده المنذري في الترغيب، وعزاه إلى الطبراني في الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح، والحاكم بنحوه وقال صحيح على شرط مسلم .
مستدرك الحاكم ١/٦٠ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقرّه الذهبي على شرط مسلم .

(٥) انظر : تفسير الكشاف ٢/٣٦١ ؛ نظم الدرر ١١/٤١٥

(٦) سورة الإسراء آية (٣٧) ؛ [مرحاً : هو شدّة الفرح التي يلزمها الخيلاء] انظر نظم الدرر ١١/٤١٥ .

(٧) انظر : القرطبي ١٤/٦٩ ؛ تفسير أبي السعود ٧/٧٣ .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١)

(٣) في معرض التوبيخ وبيان أن سبب الجدال والتكذيب بالكتاب وبما أرسل الله إنما هو الكبر والبطر بغير الحق وبذلك إستحقوا العذاب (٢) قال تعالى : ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٣) .

=.=.=.=.=.=.=.=.=

---

(١) سورة لقمان آية (١٨) . [لا تصعّر أي لاتعرض عنهم تكبراً عليهم . والصعر داء يصيب البعير يلوي منها عنقها] تفسيرالقرطبي ٦٩/١٤ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٢٨٥/٧ .[قوله (ذلكم بما كنتم تفرحون ..) أي ذلكم الإضلال بما كنتم تفرحون آي تبطرون وتتكبرون قوله (ذلكم : أي ذلكم الإضلال إنما استحققتموه بسبب بطركم وتكبركم في الأرض بغير الحق (وبما كنتم تمرحون) أي تتوسعون في البطر الأشر والإلتفات للمبالغة في التوبيخ] انظر: تفسير أبي السعود ٢٨٥/٧ .

(٣) سورة غافر آية (٧٥) .

من النصوص السابقة تجلّت الحقائق التالية :

الخيلاء مرض خبيث إذا تأصل في النّفس وتملّكها تظهر آثاره على الأعمال والشمائل بالتكبر والتبختر في المشي . قال ابن دريد (الخيلاء التكبر في المشي ولايكون ذلك إلاّ مع سحب الإزار) (١) .

وللخيلاء مساويء وأضرار كثيرة منها :

(١) نفي محبة الله عز وجل عن المختال وذلك مادل عليه قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (٢) . وقوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٣) وقوله : { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٤) .

قال القرطبي [أي لايظهر عليه آثار نعمة في الآخرة وفي هذا ضرب من التوعد] (٥) .

والمختال : المتكبر الذي تملّكت نفسه ملكة الكبر، وظهرت آثاره على أفعاله وشمائله (٦) .

والفخور : المتكبر شديد الفخر بما فعل وهو الذي يظهر أثر الكبر في أقواله فيعد محاسنه، ومناقبه تعاظماً، وتعالياً، وانتقاصاً لحقوق الغير، واحتقاراً لهم (٧) .

وكلا الوصفين منشأ الغلظة، والجفاء، وهما آثار تمكُّن الكبر من النّفس وفسادها بهذه العلة .

---

(١) جمهرة اللغة ٢/٢٤٣ .

(٢) سورة النساء آية (٣٦) .

(٣) سورة لقمان آية (١٨) .

(٤) سورة الحديد آية (٢٣) .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٥/١٩٢ .

(٦) انظر : تفسير المنار ٥/٩٥ ؛ التحرير والتنوير ٥/٥١ .

(٧) انظر : التفسير الواضح ١/١٦٦ ؛ التحرير ٥/٥١ .

(٢) إن الفرح المفرط بما منح الله تعالى لعبده من النعم يؤدي إلى الاختيال والفخر ، لذلك على المؤمن أن يعلم أن المفرحات صائرة إلى زوال وأن زوالها مصيبة ، وعليه ألاّ يحزن على مافات ولايبطر بما نال (١) . كما دلّ عليه قوله تعالى : { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً } (٢) .

(٣) استحقاق المختال لغضب الله تعالى عليه ونقمته وذلك مادلّ عليه قوله تعالى حكاية عن مآل المتكبرين الذين يجادلون في آيات الله ويكذبون الرسل وآيات الله المبعوثة إليهم قال تعالى : { إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ } (٣) .

ثم قال تعالى معللاً ماهم عليه وسبب استحقاقهم لذلك العذاب { ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ . ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } (٤) .

وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم "ما من رجل يتعاظم في نفسه ويختال في مشيته إلاّ لقي الله وهو عليه غضبان" (٥) .

(٤) إعراض الله تعالى عن المختال يوم القيامة، وعدم النظر إليه بعين الرحمة والرضا .

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٤١٨/٢٧ .

(٢) سورة الإسراء آية (٣٧) .

(٣) سورة غافر آية (٧١ ، ٧٢) .

(٤) سورة غافر آية (٧٥ ، ٧٦) .

[يسحبون : السحب الجر وهو يجمع بين الإيلام والإهانة .

الحميم : أشد الحر .

(٥) سبق تخريجه ص (٢٠٢) بطراً : أي من جرّه تكبراً وطغياناً . وأصل البطر الطغيان عند النعمة . انظر الفتح الباري ٢٥٨/١٠ والنهاية ١٣١/٥ .

كما دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من جرَّ ثوبه خيلاء لَمَ ينظر الله إليه يوم القيامة » (١)

وفي رواية « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً » (٢) .

قال ابن حجر [لاينظر الله إليه نظر رحمة . وقال شيخنا في (شرح الترمذي) عبرَّ عن المعنى الكائن عند النظر بالنظر لأن من نظر إلى متواضع رحمه ومن نظر إلى متكبر مقته. فالرحمة والمقت متسببان عن النظر] (٣).

(٥) إنّ عذاب المختال مستمر من حين قبض روحه إلى يوم القيامة وذلك مادل عليه خبر المختال الذي خسف الله به الأرض فقال صلى الله عليه وسلم « فهو يتجلجل إلى يوم القيامة » (٤) . وهذا عذاب المختال في حياة البرزخ من قبض روحه إلى يوم القيامة نسأله تعالى أن يعيذنا من عذابه .

(٦) استثنى النبي صلى الله عليه وسلم من الخيلاء من جرَّ إزاره من غير خيلاء وذلك لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انّه قال (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، قال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله،ان أحد شقيَّ إزاري يسترخي إلاّ أن أتعاهدذلك منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء) .

قال ابن حجر: [إن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه، مستحضراً لها،شاكراً عليها،غير محتقر لمن ليس له مثله،لايضرُّه مالبس من

---

(١) ، (٢) سبق تخريج الأحاديث ص(٢٠٠) .
بطراً : أي جرَّه تكبراً وطغايناً وأهل البطر الطغيان عند النعمة . انظر فتح الباري ٢٥٨/١٠ والنهاية ١٣١/٥ .

(٣) انظر فتح الباري ٢٥٨/١٠ .

(٤) سبق تخريجه ص١٩٧ . قال العلماء : الخيلاء:المخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام] انظر تعليق محمد فؤاد عبدالباقي على صحيح مسلم ١٦٥١/٣ .

المباحات ولو كان في غاية النفاسة] .

وفي حديث آخر رواه إبن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنه . فقال : ان الله جميل يحب الجمال] (١) .

ومن الخيلاء المستثناة مما هو من الكبر الذي يوجب غضب الرب عز وجل قوله صلى الله عليه وسلم . « وإن من الخيلاء مايبغض الله ومنها مايحب ، فأمّا الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال،واختياله عند الصدقة » (٢) .

قال ابن الأثير [يعني في الصدقة وفي الحرب،أمّا الصدقة فان تهزه أريحية السخاء فيعطيها طيبة بها نفسه،فلا يستكثر كثيراً،ولا يعطي منها شيئاً إلا وهو له مستقبل . وأما الحرب فأن يتقدم فيها بنشاط وقوة نخوة وجنان، لايكبح ولا يجبن] (٣) .

---

(١) انظر : فتح الباري ٢٦٠/١٠ وعزاه إلى مسلم (٩٣/١) ك الإيمان باب تحريم الكبر .

(٢) مختصر سنن أبو داود ٧/٤ ك . الجهاد وباب الخيلاء في الحرب .

(٣) انظر : النهاية ٩٣/٢ ؛ معالم السنن ٢٧٦/٢ .

[٣] الفخـــر

الفخر في اللغة :

ورد استعمال الفخر عند العرب في معان منها :

(١) المباهاة وعدّ القديم :

وقيل هو نشر المناقب وذكر الكرام بالكرم (١) .

قال ابن فارس : [الفاء والخاء أصل يدل على عِظَم وقِدَم من ذلك الفخر] (٢)

ومنه الإفتخار وهو التمدح بالخصال وعَدُّ القديم (٣) .

ومنه قول الشاعر :

فأَصْمَتُّ عمراً وأعميته .·. عن الجودِ والفخرِ يوم الفخار (٤) .

(٢) التعظم والتكبر :

ومنه التفخر وهو التعظم والتكبر (٥) . قال ابن منظور [الفخر إدّعاء العُظْم والكِبر والشَرف] (٦) .

(٣) التفضيـل :

يقال : فخرت الرجل على صاحبه أُفخره فخراً ، أي فضلته عليه (٧) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٣٥٧/٧ ؛ الصحاح ٧٧٩/٢ ؛ لسان العرب ٤٩/٥ .

(٢) مقاييس اللغة ٤٨٠/٤ .

(٣) انظر : جمهرة اللغة ٢١١/٢ ؛ تهذيب اللغة ٣٥٧/٧ ؛ مقاييس اللغة ٤٨٠/٤ المخصص ١٩٥/١٢ ؛ مختار الصحاح ٤٩٣ ؛ لسان العرب ٤٩/٥ ؛ تاج العروس ٤٦٥/٣ .

(٤) الشاعر ثعلب :

(٥) انظر : الصحاح ٧٧٩/٢ ؛ مقاييس اللغة ٤٨٠/٤

(٦) انظر : لسان العرب ٤٩/٥ ؛ تاج العروس ٤٦٥/٣ .

(٧) انظر : جمهرة اللغة ٢١١/٢ ؛ مقاييس اللغة ٤٨٠/٤ ؛ المخصص ١٩٥/١٢ ؛ أساس البلاغة ٣٣٦ ؛ القاموس المحيط ١٠٨/٢ .

الفخر في إصطلاح العلماء :

هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه ونحوه (١)

وقال الفيومي [هو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسبٍ ونسبٍ وغير ذلك إمّا في المتكلم أو في آبائه] (٢) .

استعمالات القرآن والسنة :

ورد (الفخر) في القرآن والسنة بمعنى المباهاة وعدُّ المكارم وإدّعاء العظم والكبر والشرف (٣)

(١) قوله تعالى : {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (٤) .

(٢) ومنه قوله تعالى : {... إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } (٥) .

(٣) ومنه قوله تعالى حكاية عن وصايا لقمان لإبنه : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٦) .

(٤) ومنه { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ } (٧) .

(٥) ومنه { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٨) .

---

(١) انظر : المفردات ٣٧٤ ؛ بصائر ذوي التمييز ١٧٦/٤ .

(٢) المصباح المنير (٤٦٤) .

(٣) انظر : المفردات ٣٧٤ ؛ بصائر ذوي التمييز ١٧٦/٤ ؛ النهاية في غريب الحديث ٤١٨/٣ .

(٤) سورة النساء آية (٣٦) .

(٥) سورة هود آية (١٠) .

(٦) سورة لقمان آية (١٨) .

(٧) سورة الحديد آية (٢٠) .

(٨) سورة الحديد آية (٢٣) .

ومما ورد في السنة :

(١) قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» (١) .

(٢) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم» (٢) .

(٣) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولايبغي أحد على أحد » (٣) .

(٤) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهن الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» (٤)

---

(١) ت ٥٨٧/٥ ك المناقب أبواب مناقب النبي محمد صلى الله عليه وسلم .
ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم [(ولا فخر) أي لا أقوله تفاخراً بل اعتداداً بفضله، وتحدثاً بنعمته، وتبليغاً لما أمرت به] تحفه الأحوذي ٨٢/١٠ ؛ النهاية ٤١٨/٣ .

(٢) خ مع فتح الباري ٥٢٦/٦ ك المناقب باب قول الله تعالى [يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى) .
م : ٧٣/١ ك الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان
ت: ٥١٥/٤ ك الفتن باب ماجاء في الرجال لايدخل الجنّة .
ط: ٩٧٠/٢ ك الإستئذان باب ماجاء في أمر الفتح .
قال النووي [الفخر هو الافتخار وعدّ المآثر القديمة تعظيماً . والخيلاء الكبر واحتقار النّاس] شرح النووي على صحيح مسلم ٣٤/٢ .

(٣) م : ١٩٩/٤ ؛ ك الجنّة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة
د : ٢٧٤/٤ ك الأدب باب في التواضع .
جه: ١٣٩٩/٢ أبواب الزهد باب البراءة من الكبر .

(٤) م : ٦٤٤/٢ ك الجنائز باب التشديد في القيامة .

تبيّن من النصوص السابقة أن الفخر بمعنى إدّعاء العظمة،والكبر،والشرف، بعدّ المناقب،والمباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان،كالمال،والجاه.ونحوه،هو داء مذموم في الشرع إذا كان على وجه التكبر ، أمّا إذا كان على وجه ذكر نعم الله تعالى،وشكره عليها،فلا يعتبر مرضاً للنّفس،وهو غير منهي عنه كافتخار النبي صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من العز والكرم على سبيل تعداد نعمه عز وجل وشكره على ذلك .

الفخر وأضراره في القرآن والسنة :

(١) في مقام الأمر بالإحسان إلى فئات من النّاس وذم موانع الإحسان (١) قال تعالى : { وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (٢) .

(٢) في معرض حكاية حال الإنسان وبيان أن أهل الضلالة لايفكرون إلاّ في الملذات الدنيوية فيجري حالهم على حسب ذلك (٣) .

---

(١) انظر : الطبري المحقق ٣٣٣/٨ ؛ نظم الدرر ٢٧٥/٥ . قال البقاعي [فخوراً مبالغاً في التمدح بالخصال يأنف من عشرة الفقراء وفي ذلك أتمّ ترهيب من الخلق المانع من الإحسان وهو الاختيال على عباد الله والإفتخار عليهم إزدراء بهم ..] نظم الدرره /٢٧٧ .

(٢) سورة النساء آية (٣٦) .

(٣) انظر : الطبري المحقق ٢٥٤/١٥ ؛ قال أبوجعفر [(إنه ليئوس كفور) يقول : يظل قنطاً من رحمة الله آيسا من الخير ، وقوله كفور : هو كفور لمن أنعم عليه قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته].

قوله (إنه لفرح فخور) قال أبوجعفر : يقول تعالى ذكره [إن الإنسان لفرح بالنعم التي يعطاها مسرور بها فخور : يقول ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا ومابسط له فيها من العيش وينسى صروفها ونكدَ العوائض فيها وبدع طلب النعيم الذي يبقى والسرور الذي يدوم فلايزول) الطبري ٢٥٦/١٥ .

قال تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } (١) .

(٣) في مقام النهي عن بعض مظاهر الكبر وسوء الخلق وصّى لقمان إبنه فيما حكاه الله (٢) عز وجل عنه قال تعالى : { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٣) .

(٤) في سياق الحث على الإنفاق، والتحريض على أداء الصدقات، بتحقير ملذات الدنيا، وتعظيم حال الآخرة، أعقبه بإشارة إلى دحض سبب الشح وموانع الإنفاق (٤) قال تعالى : { اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ } (٥) .

(٥) في مقام الإخبار عن قدر الله السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية ليعلموا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم لكي لايحزنوا على مافاتهم مما لم يقدّره الله لهم (٦) .قال تعالى : { مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (٧) .

---

(١) سورة هود آية (٩ ، ١٠) .
(٢) انظر : تفسير القرطبي ٦٩/١٤ ، نظم الدرر ١٧٦/١٥ .
(٣) سورة لقمان آية (١٨) .
(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٣٢/٢٩ ؛ نظم الدرر ٢٨٦/١٩ .
(٥) سورة الحديد آية (٢٠) .
(٦) انظر : تفسير الطبري غير المحقق ٢٣٤/٢٧ ؛ نظم الدرر ٢٩٤/١٩ .
(٧) سورة الحديد آية (٢٢-٢٣)

(٦) ورد ذم الفخر،والتشنيع على أصحابه،وتقبيح من كانت فيه هذه الصفة، أحاديث كثيرة،منها ماورد في الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب،والاستسقاء بالنجوم (١) والنياحة (٢) .

(٧) ومنها ماورد في التحذير من الفخر، وبيان أنه من أخلاق الجاهلية وصفاتهم الذميمة،ثبت في الخبر قوله صلى الله عليه وسلم « لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا،إنما هم فحم جهنم،أو ليكونن أهون على الله من الجُعَل (٣) الذي يدهده (٤) الخِرءْ بأنفه،إن الله قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية (٥) إنمَّا هو مؤمن تقي،وفاجر شقي،النَّاس كلهم لآدم وآدم خلق من تراب » (٦) .

وفي رواية الطيالسي وابن حبان في زوائده « لاتفخروا بآبائكم في الجاهلية، فوالذي نفس محمد بيده لما يدهده الجعل بمنخريه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية » (٧) .

---

(١) الإستسقاء بالنجوم : إعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم وطلوع آخر كقولهم مطرنا بنوء كذا وكذا .

(٢) م : ٦٤٤/٢ ك الجنائز باب التشديد في النياحة .

(٣) الجعل : دويبة تنشأ في القاذورات .

(٤) يدهوه الخرء : أي يدحرجه أمامه وهذه طبيعة الجعل وهو المسمَّى عند العامة بالجعران .

(٥) عبية الجاهلية : قال الخطابي [الكبر والنخوة وأصله من العبء وهو الثقل] مختصر سنن أبي داود ١٦/٨ .

(٦) ت : ٧٣٤/٥ ك المناقب باب فضل الشام واليمن.وقال أبو عيسى حسن غريب د : ٣٣١/٤ ك الأدب باب التفاخر بالأحساب .

(٧) منحة المعبود ٥٩/٢ كتاب الكبائر باب الترهيب من الرياء والكبر والفخر. موارد الظمآن /٤٧٨ ك الأدب باب الفخر بأهل الجاهلية .

(٨) ومما ورد في النهي عن الفخر وبيان أن منشأه من الغلظ والقسوة قوله صلى الله عليه وسلم « رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل، والإبل، والفدادين، أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم } (١) .

وفي رواية « الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم » (٢) .

وفي روايه « الإيمان يمان، والكفر من قبل المشرق، والسكينة لأهل الغنم ، والفخر والرياء في الفدادين، أهل الخير، وأهل الوبر، يأتي المسيح إذا جاء دبر أحد، صرفت الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك » (٣) .

(٩) وفي بيان أن الفخر سبب ضياع الأعمال وإحباط أجرها ثبت في الحديث الصحيح :

أ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) خ مع فتح الباري٦/٣٥٠ ك بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال .

م : ١/٧٣ ك الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

ط : ٢/٩٧٠ ك الإستئذان باب ماجاء في أمر الغنم .

[الفدادين : قال النووي (جمع فداد وهذا قول أهل الحديث والأصمعي وجمهور أهل اللغة، وهو من الفديد، وهو الصوت الشديد، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك] .

انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٣٣ .

اهل الوبر : اهل الباديه .

(٢) خ مع فتح الباري ٦/٥٢٦ ك المناقب باب قول الله تعالى { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى } .

م : ١/٧٣ ك الإيمان باب تفاضل أهل الايمان .

(٣) ت : ٤/٥١٥ ك الفتن باب ماجاء في الدجال لايدخل المدينة . قال ابن حجر: (قال الخطابي : انما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ماهم منه عن أمور دينهم وذلك يقضي إلى فساد القلب) فتح الباري ٦/٣٥٠ .

« الخيل لثلاثة لرجل أجر،ولرجل ستر،وعلى رجل وزر » ...... فأما الرجل الذي هي عليه وزر فهو رجل ربطها فخراً ورئاءً ونواءً لأهل الإسلام فهي وزر على ذلك » (١) .

ب - وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال « تعلّموا القرآن واسألوا الله به، قبل أن يتعلمه ثلاثة نفر رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله » (٢) .

جـ - وفي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « الغزو غزوان فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد فإن نومه ونَبْهَه أجر كله ، وأما من غزا فخراً، ورياءً، وسمْعة ، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف » (٣) .

١٠- وفي بيان أن الفخر سبب بغض الله لمن اتصف به ورد في الحديث عن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الذي فيه الغيرة التي يحبّها الله والغيرة التي يبغضها« والخيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل بنفسه في الفخر والخيلاء » (٤) .

---

(١) خ مع فتح الباري : ٦٤/٦ ك الجهاد باب الخيل لثلاثة وقول الله تعالى : (والخيل والبغال والحمير لتركبوها ..) الآيه .

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري ١٠٠/٩ ذكره ابن حجر وعزاه أبى أُبوعبيد في فضائل القرآن .

(٣) د : ١٣/٣ ك الجهاد باب فيمن يغزو يلتمس الدنيا .

(٤) سنن البيهقي ١٥٦/٩ ك السير باب الخيلاء في الحرب .

١١ - وفي بيان سوء عاقبة الفخر في الآخرة،ثبت عن النبي صلى الله عِليه وسلم أنه قال « عرض علي أول ثلة يدخلون النار : أمير مسلط ذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله فيه،وفقير فخور » (١) .

١٢ - في مقام النهي عن الفخر ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أُنه قال « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد،ولا يبغي أحد على أحد » (٢) والأمر بالتواضع يقتضي النهي عن الفخر والبغي .

---

(١) حم ٤٢٥/٢ ، مستدرك الحاكم ٣٨٧/١ ك الزكاة باب أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار

صحيح ابن خزيمة ٨/٤ ك الزكاه باب ذكر ادخال مانع الزكاة النار مع أول من يدخلها .

موارد الظمأن ٣٧٤ ك الأمارة باب ماجاء في الامراء .

الفتح الرباني ١٨٩/١٩ ك الأخلاق الحسنة باب ماجاء في الثلاثيات مبدوء بعدد .

قال الأعظمي : اسناده ضعيف من طريق عامر العقيلي .

وفي التقريب ذكره ابن حجر وقال مقبول ص ٢٢٨ .

وقال الساعاتي في الفتح الرباني : سنده جيد وحسنه الحافظ السيوطي .

(٢) م : ٢١٩٩/٤ ك الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة .

د : ٢٧٤/٤ ك الأدب باب في التواضع .

جه : ١٣٩٩/٢ أبواب الزهد باب البراءة من الكبر .

تبين من النصوص السابقه أن الفخر مرض خطير وآفه فتاكه تفسد عمل الإنسان وتحبطه وتجره إلى غضب الرحمن ومقته وتؤدي به إلى الخسارة في الدنيا والآخرة والفخر من صفات أهل الشرك ومن إتصف بصفاتهم استحق مااستحقوه من المقت والعقاب المترتب على الفخر في الدنيا وهو الخسارة الآخروية ودخوله جهنم وساءت مصيراً ... فمن الخسائر التي تلحق المفتخر المتباهي على خلق الله مايلي :-

أولاً : إستحقاق المفتخر بغض الله ونقمته وعدم رضاه وذلك مادلّ عليه قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } وقوله تعالى في مقام الذم لحال الإنسان إذا أصابته نعمة بعد نقمة { إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } وفي موضع آخر نفى الله عز وجل حبّه عن الفرحين بقوله عز وجل : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ }(١) ونفي حبه عز وجل نفي لرضاه ورحمته وإثبات غضبه ونقمته . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « والخيلاء التي يبغض الله اختيال الرجل بنفسه في الفخر والخيلاء » .

ثانياً: أن حقيقة الفخر تباهي المرء على غيره بماله من النعم والفضائل،فإذا ماأصاب المرء نعمة بعد ضراء أصابته فإذا هو (فرح فخور) شديد الفرح والمرح فخور متعال على الناس فلا يقابل النعم بالشكر للواهب لذلك استحق عقاب الله ونقمته وحرمانه من الأجر والثواب الذي جعله الله لمن إستثناهم في قوله تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }(٢) وفي إثبات هذا الجزاء لمن لم يتصف بتلك الصفات نفي لها لمن إتصف بها من فرح وفخر ويأس وكفر كما ذكر في الآية الكريمة .

ثالثاً: الفخر سبب ضياع أجر العمل وإن كان صالحاً،وإثبات الوزر على المفتخر، وذلك مادلّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم « وأمّا من غزا فخراً ورياءً وسمعةً وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنّه لم يرجع بالكفاف » بمعنى لم يرجع بالأجر على عظم المشقة والفخور يتحمل وزر عمله بالإضافة إلى إحباط أجره وذلك مادلّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الخيل لثلاثة قال

(١) سورة القصص آية (٧٦) . (٢) سورة هود آية (١١)

« فأما الرجل الذي عليه وزر فهو رجل ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي عليه وزر » فهو لم يكسب الأجر لربطها وإنما حرم ذلك الأجر وتحمل وزر عمله لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى .

رابعاً: الفخور في زمرة الأولين المحشورين إلى جهنم وذلك مادلّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم « عرض عليَّ أول ثلة يدخلون الجنة وأول ثلة يدخلون النّار » فذكر الثلة التي يدخلون النّار فقال « وأمّا أول ثلة يدخلون النّار فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله وفقير فخور »

خامساً: أن عاقبة الفخر والتباهي إثارة الحسد والبغض، وبذر الفرقة والعداوة بين الناس، لذلك أمر الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالتواضع كما ورد في قول النبي عليه الصلاه والسلام « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد »

وفي رواية أخرى ذم النبي عليه الصلاه والتسليم الفخر بالأحساب وذكر أن أصله من الجاهلية وذلك للتنفير منه لعظم ضرره وسوء عاقبته فقال صلى الله عليه وسلم « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب »

وفي رواية قرّع وتوعد أهل الفخر فقال صلى الله عليه وسلم « لينتهين أقوام يفتخرون بآباءهم الذين ماتوا إنّما هم فحم جهنّم أو ليكونن على الله أهون من الجُعَل الذي يُدَهْدِهُ الخِرْء بأنفه » .

[٤] المَــــنّ

المنّ في اللغة :

ورد استعمال كلمة (المَنّ) في لغة العرب بمعان متعددة منها :

أولاً : بمعنى القطع ،ويقال النقص، ومنه المنون بمعنى المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد (١) .

وقال ابن فارس [الميم والنون أصلان أحدهما يدل على قطع وانقطاع الآخر على اصطناع خير . الأول : المنّ القطع ومنه يقال : مننت الحبل . قطعته . والمنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد ..] (٢) .

ثانياً: اصطناع الخير والاعتداد به فخراً وتكبراً (٣) .

يقال : منّ فلان على فلان إذا عظّم الإحسان وفخر به وأبدأ فيه وأعاد حتى يفسده ويبغضه (٤) .

ثالثاً: الإنعام والإحسان مطلقاً من غير اعتداد به ولا فخر ولا تكبر (٥) .

يقال : منّ عليه يَمُنُّ مناً . أحسن وأنعم والإسم المِنَّة ومن المبالغة المنّان من أسماء الله تعالى .

أنشد ثعلب :

أعطاك يازيد الذي يعطي النعم .·. من غير ماتَمَنُّن ولا عدم (٦)

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ١٢٢/١ ؛ معجم مقاييس اللغة ٢٦٧/٥ ؛ لسان العرب ٤١٧/١٣ ؛ تاج العروس ٣٤٩/٩ .

(٢) مقاييس اللغة ٢٦٧/٥ .

(٣) انظر : لسان العرب ٤١٨/١٣ . تاج العروس ٣٤٩/٩ .

(٤) انظر : لسان العرب ٤١٨/١٣ ذكره إبن منظور من قول أبي بكر .

(٥) انظر : معجم مقاييس اللغة ٢٦٧/٥ ؛ لسان العرب ٤١٨/١٣ .

(٦) مجالس ثعلب ٢١٨/١ .

خامساً: المَنّ طل ينزل من السماء .

وهو مما يَمُنّ الله عز وجل به مما لا تعب فيه ولا نصب (١) .

سادساً: القوة التي بها قوام الإنسان . وقيل المُنّ الضعف أيضاً ونقل عن ابن الأعرابي أن المُنّ من الأضداد تطلق على القوة والضعف (٢) .

سابعاً: المُنّ مايوزن به يقال من ومنان وأمنان (٣) .

استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال المَنّ في نصوص القرآن والسنة في معان متعددة منها :

أولاً :يطلق ويراد به (التُرنْجبِين) وهو شيء كالطل فيه حلاوة يسقط على الشجر (٤) . وهو المذكور في قوله تعالى : { وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ .. } (٥) .

ومما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكمأة المن وماؤها شفاء للعين » (٦) .

وقال أبو عبيدة : [إنما شبهها بالمنّ الذي كان يسقط على بني إسرائيل لأن ذلك كان ينزل عليهم عفواً بلا علاج منهم وإنّما كانوا يصبحون وهو بأفنيتهم فيتناولونه وكذلك الكمأة ليس على أحد منها مؤنة في بذر ولا سقي ولاغيره وإنّما هو شيء ينبته الله في الأرض حتى يصل إلى من يجنيه] (٧) .

---

(١) انظر : المفردات ٤٧٤ ؛ لسان العرب ٤١٨/١٣ ؛ الكلّيات ٣٠٢/٤ .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٢٦٧/٥ ؛ لسان العرب ٤١٨/١٣ .

(٣) انظر المفردات ٤٧٤ ؛ لسان العرب ٤١٨/١٣ ؛ الكلّيات ٣٠٢/٤ .

(٤) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر (٤٤٤) ، بصائر ذوي التمييز ٥٢٧/٤ .

(٥) سورة البقرة آية (٥٧) ونظيرها سورة آل عمران آية (١٦٠) .

(٦) خ مع فتح الباري ١٦٣/١٠ . ك الطب باب المنّ شفاء للعين .

م : ١٦٢٠/٣ ك الأشربة باب فضل الكمأة ومداواة العين بها .

(٧) غريب الحديث للهروي ١٧٢/٢ . وانظر تفسير غريب القرآن (٤٩) ؛ الفائق في غريب الحديث ٣٩٠/٣ ؛ النهاية في غريب الحديث ٣٦٦/٤ .

ثانياً: يطلق ويراد به العطاء مع التقريع عليه إعتداداً أو فخراً به وهو الذي نهى عنه الله عز وجل (١) .

ومما ورد في ذلك قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى } (٢) .

ومنه قوله تعالى : { يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّاتَمُنُّوا } (٣) وقول الله عز وجل { وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } (٤) .

ومنه مارواه أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . قال : قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار . قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟ قال المسبل والمنّان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب] (٥) .

وفي رواية « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة المنّان الذي لايعطي شيئاً إلّا منّة .. » (٦) .

ثالثاً: العطاء والإحسان إلى من لايستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه (٧) .

---

(١) انظر إصلاح الوجوه والنظائر (٤٤٤) بصائر ذوي التمييز ٥٢٧/٤ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٦٤) .

(٣) سورة الحجرات آية (١٧) .

(٤) سورة المدثر آية (٦) .

(٥) م : ١٠٢/١ ك الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار وبيان الثلاثة الذين لايكلمهم الله يوم القيامة .

د : ٥٧/٤ ك اللّباس باب ماجاء في إسبال الإزار .

(٦) م : ١٠٢/١ ك الإيمان باب غلظ تحريم إسبال الإزار وبيان الثلاثة الذين لايكلمهم الله .

(٧) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر (٤٤٤) ؛ بصائر ذوي التمييز ٥٢٧/٤ .

قال ابن عاشور [والمنّ أصله الإنعام والفضل يقال منّ عليه مناً ثم أطلق على عدّ الانعام على المنعم عليه] التحرير والتنوير ٤٢/٣ .

ومما ورد فيه قوله تعالى : { لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ } (١) .

ومنه قوله عز وجل : { كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا } (٢) وقول الله تعالى : {...وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ } (٣) وقوله سبحانه وتعالى {...بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ } (٤) .

ومما ورد فيه ماوراه أنس رضي الله عنه قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول « اللَّهم أسألك بأن لك الحمد لا إله إلاَّ أنت وحدك لاشريك لك المنَّان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام . فقال لقد سأل الله بإسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » (٥) .

قال ابن الأثير : [في أسماء الله تعالى المنَّان هو المنعم المعطي من المنِّ العطاء لا من المنَّة وكثيراً مايرد المنُّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لايستثيبه ولايطلب الجزاء عليه فالمنَّان من أبنية المبالغة كالسفَّاك والوهَّاب] (٦) .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦٤) .

(٢) سورة النساء آية (٩٤) .

(٣) سورة إبراهيم آية (١١) .

(٤) سورة الحجرات آية (١٧) .

(٥) ت : ٥٥٠/٥ ك الدعوات باب خلق الله مائة رحمة .

جه : ٣٤٧/٢ أبواب الدعاء باب إسم الله الأعظم . واللفظ لإبن ماجة .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣٦٥/٤ .

ومنه قول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام « إنَّ من أمن النَّاس عَلَيَّ في صحبته وماله أبو بكر » (١) .

رابعاً: المنُّ بمعنى القطع أو النقص ومنه ممنون أي مقطوع :- (٢)

ومما ورد في ذلك قول الله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (٣) .

وقول الله تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (٤) .

---

(١) خ : ٤/٥ ك فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سدّ الأبواب إلا باب أبي بكر .

٧٣/٥ ك مناقب الانصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة .

١٢٦/٦ ك الصلاة باب الخوخة والعمر في المسجد .

م : ١٨٥٤/٤ ك فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ت : ٦٠٨/٥ ك المناقب باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه .

قال ابن الأثير في معنى الحديث [أي ما أحد أجود بماله وذات يده من أبي بكر] النهاية في غريب الحديث ٣٦٥/٤ . قال النووي [قال العلماء : معناه اكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه وماله وليس ماهو من المنّ الذي هو الاعتداد بالصيغة لانه أذى مبطل للثواب ولأنَّ المنَّة من الرسول صلى الله عليه وسلم في قبول ذلك وفي غيره] شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٠/١ .

(٢) انظر إصلاح الوجوه والنظائر (٤٤٤) ؛ بصائر ذوي التمييز ٥٢٧/٤ .

(٣) سورة فصلت آية (٨) .

(٤) سورة الإنشقاق آية (٢٥) .

وقول الله عز وجل : { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (١) .

خامساً: الإطلاق من الأسر بغير عوض (٢) .

ومما ورد فيه قول الله تعالى : { هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (٣) .

وقول الله تعالى : { فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً } (٤) .

ومنه ماورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أصاب جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة قال :[فمنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبي حنين فجعلوا يسعون في السكك فقال عمر يا عبدالله أنظر ماهذا ؟ قال : منَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين] (٥) .

---

(١) سورة التين آية (٦) .

(غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص وإنَّما سميت منَّه لأنها تقطع النعمة وتقتضي قطع الشكر . انظر : إصلاح الوجوه والنظائر (٤٤٥) ؛ المفردات (٤٧٤) بصائر ذوي التمييز ٥٢٧/٤ .

(٢) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر (٤٤٤) ؛ بصائر ذوي التمييز ٥٢٧/٤ .

(٣) سورة (ص) آية (٣٩) .

قال ابن عاشور :[وأمنن أمر مستعمل في الإذن والإباحة وهو مشتق من المنْ المكني به عن الإنعام أي فأنعم على من شئت بالإطلاق أو أُمسك في الخدمة من شئت] التحرير والتنوير ٢٦٧/٢٣ .

(٤) سورة محمد آية (٤) .

قال ابن عاشور [المنُّ الإنعام والمراد به إطلاق الأُسير واسترقاقه فإنَّ الاسترقاق منٌّ عليه إذ لم يقتل] التحرير والتنوير ٨٠/٢٦ .

(٥) خ مع فتح الباري ٢٥٠/٦ ك فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم .

ومنه مارواه أنس رضي الله عنه[أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبال التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم . فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلماً فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل { وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ.. } الآية] (١) .

ومنه مارواه محمد بن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في بدر « لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له » (٢) .

والمقصود بالمنّ في بحثي هذا هو المذموم الذي نهى الشرع عنه وهو العطاء الذي لايعطى إلا فخراً وإعتداداً .

---

(١) م : ١٤٤٤/٣ ك الجهاد باب قول الله تعالى { وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم .. } .

د : ١٦٠/٣ ك الجهاد باب في المنّ على الأسير بغير فداء

قال المنذري في مختصر سنن أبي داود وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي .

(٢) خ : مع فتح الباري ٢٤٣/٦ ك قرض الخمس باب ما منّ النبي صلى الله عليه وسلم على الأسارى .

د : ١٦١/٣ ك الجهاد باب في المنّ على الأسير بغير فداء .

وقال المنذري في المختصر أخرجه البخاري ومسلم .

المنُّ وأضراره في القرآن والسنة :

ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة ذم المنِّ والنهي عن إتباع النفقة بالمنِّ وبيان أضرار المنِّ وأنه سبب إحباط العمل نصوص متعددة منها :

أولاً : في مقام الحض والترغيب للإنفاق في سبيل الله ببيان كثرة الربح ونماء الأجر عند الله تعالى نوّه عز وجل إلى شرط حصول ذلك الأجر العظيم وهو خلوص النية لله وعدم إتباع النفقة بالمنِّ والأذى لمنافاتهما للإخلاص (١) . قال تعالى : { ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (٢) .

---

(١) انظر : تفسير الكشاف ١٦٠/١ ؛ تفسير أبي السعود ٢٥٧/١ ؛ التحرير والتنوير ٤٢/٣ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٦٢) .

قوله (الذين ينفقون أموالهم) أي يخرجون ويبذلون من الإنفاق وأصل هذه المادة يدل على الخروج والذهاب يقال نفق الشيء أي مضى ونفذ) انظر : المفردات ٢٢٣ .

وقوله (سبيل الله) السبيل في الأصل الطريق الذي فيه سهولة ويستعمل لكل مايتوصل به الى شيء خيراً كان أو شراً] قال ابن الأثير [وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص يسلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض . والنوافل وأنواع التطوعات وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه] انظر : المفردات ٢٢٣ ؛ الكليات ٣٦/٣ ؛ النهاية ٣٣٨/٢ .

قوله (ثم لايتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى) قال الزمخشري [ثمَّ لإظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنِّ والأذى وإن تركهما خير من نفس الإنفاق] وعقَّب على كلام الزمخشري ابن عاشور بقوله (يعني أن ثمَّ للترتيب الرتبي لا للمهلة الزمنية ترفيعاً لرتبة ترك المنِّ والأذى على رتبة الصدقة لأن العطاء قد يصدر عن كرم النَّفس وحب المحمدة فللنفُوس حظ فيه مع حظ المعطي بخلاف المنِّ والأذى فلاحظ لنفس المعطي فيه) انظر الكشاف ١٦٠/١ ؛ التحرير ٤٢/٣ .

ثانياً : في معرض التنفير من الصفتين الرذيلتين (المنّ والأذى) نهى الله عنهما ببيان أنهما سبب إحباط العمل وإبطال أجر الصدقة قال تعالى:(١) { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ } (٢) .

= والمنّ : تعداد ما أحسن به الإنسان والتذكير بإحسانه كأن يقول قد أحسنت إليك ونحوه أو يتحدث بما أعطى فيبلغ ذلك المعطي فيؤذيه .

(والأذى) أن يتطاول عليه بالإنعام بسب أو تعيير أو التشكي منه ونحوه بما يؤذي المنفق عليه ويؤلمه .

انظر : تبصير الرحمن وتيسير المنان ٩٣/١ ؛ أبوالسعود /٢٥٨١ ؛ البحر المحيط ٣٠٦/٢ .

(١) انظر : تفسير الطبري ٥٢١/٥ ؛ تفسير ابن كثير ٥٦٥/١ ؛ التحرير والتنوير ٤٧/٣ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٦٤) .

قوله (لاتبطلوا) الإبطال جعل الشيء باطلاً أي زائلاً غير نافع لما أريد منه والباطل نقيض الحق وهو مالا ثبات له عند الفحص . ومعنى بطلان العمل : عدم ترتب أثره الشرعي عليه سواء كان العمل واجباً أم كان متطوعاً به . وإبطال الصدقات إذهاب أثرها وإفساد منفعتها] انظر : المفردات /٥٠ ؛ فتح القدير ٢٨٥/١ ؛ التحرير والتنوير ٤٨/٣ .

قوله (رئاء : فعال من رأى وهو أن يكثر من إظهار أعماله الحسنة للناس للحصول على المدح والثناء الجميل فصيغة فعال : للمبالغة والكثرة) .

(صفوان) الحجر الكبير الأملس .

(وابل) المطر الشديد عظيم القطر

(صلداً) الصلد من الحجارة الصلب الذي لاشيء عليه من نبات ولا غيره .

والمعنى أن الذي ينفق ماله رئاء الناس عمله باطل كالمنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس ولايرجو ثواب الله ورضاه والمراد تشبيه المتصدقين من المسلمين=

ثالثاً : لمّا أمر الله عز وجل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالتخلي عن صفات أهل الشرك وأمره بترك الرجز نهاه عن إخلاف أهل الرجز نهياً يقتضي الأمر بالصدقة والإكثار منها بطريق الكناية(١) .

قال تعالى : { وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } (٢) .

رابعاً: في مقام تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم ودفع بهتان أعدائه ذكر الله عز وجل إكرامه عليه بأجر غير ممنون جزاء لما لقيه من المشركين (٣) . من أذى قال تعالى : { وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ } (٤) .

خامساً: في معرض ذكر الوعيد الشديد للمعرضين عن آيات الله عز وجل الكافرين بالآخرة الذين لايستجيبون لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم استثنى الله

= الذين يرجون ثواب الله ويعقبون صدقاتهم بالمنّ والأذى بالمنفقين من المنافقين الذين لايطلبون من صدقاتهم إلا المدح والثناء من الناس فيكون عمله باطلاً .

قوله : (فمثله كمثل صفوان ..) أي فمثل المرائي في نفقته التي لاينتفع بها مثل الحجر الأملس عليه تراب يظنه الإنسان أرضاً منبتة فإذا أصابه المطر الشديد انكشف التراب وظل الحجر أملس لانفع فيه ولا فائدة فكذلك المرائي يظن أن له أجراً فإذا كان يوم القيامة إنكشف سره ولم تنفعه صدقته المتبوعة بالمنّ والأذى] .

انظر : الطبري ٥٢٦/٥ ؛ التسهيل ص ٦٦ ؛ المهايمي (٩٤) أبو السعود ٢٥٩/١.

(١) انظر : التحرير والتنوير ٢٩٨/٢٩ .

(٢) سورة المدثر آية (٦) .

والمعنى [لا تعد ما أعطيته كثيراً فتمسك عن الإزدياد فيه أو يتطرق إليك ندامة على ما أعطيت] .

انظر التحرير والتنوير ٢٩٨/٢٩ .

(٣) انظر : الطبري غير المحقق ١٨/٢٩ ؛ التحرير والتنوير ٦٢/٢٩ .

(٤) سورة القلم آية (٣) .

والمعنى [عطاء غير مقطوع ولا منقوص ولا مصحوب بإعتداد وتقريع لأن ذلك يكسر النفوس والعطاء غير ممنون مصحوب بكرامة وعزة خال من التقريع الذي تنكسر منه النفوس] انظر المراجع السابقة .

عز وجل المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله،وأطاعوا الله ورسوله،وعملوا الصالحات ووعدهم بأجرٍ عظيم غير ممنون (١) في مواضع في القرآن الكريم منها :

(١) قوله عز وجل { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ }(٢) .

(٢) وقال تعالى { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (٣) .

سادساً: في مقام بيان أن الله تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم وبيان أن سبب رده أسفل سافلين هو شركه بالله تعالى (٤) .استثنى المؤمنين قال تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (٥) .

ومما ورد في السنة المطهرة بيان بعض أنواع العذاب الذي سيجده المنّان يوم القيامة :

أولاً : مارواه أبو ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولاينظر إليهم ، ولايزكيهم ، ولهم عذاب أليم » قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار . قال أبو ذر :

---

(١) انظر : تفسير الطبري غير المحقق ٩٣/٢٤ ؛ الفخر الرازي ١٠٠/٢٧؛ ابن كثير ٢٤٨/٧ ؛ السراج المنير ٥٠٩/٤ .

(٢) سورة فصلت آيه (٨) .

(٣) سورة الانشقاق آيه (٢٥) .

قال الفخر الرازي:ورد في تفسير قوله تعالى (أجر غير ممنون) وجوه (أحدها) إن ذلك الثواب يصل إليهم بلا منّ ولا أذى .
(ثانيهما) من غير إنقطاع (وثالثها) من غير تنغيض (ورابعها) من غير نقصان، والأولى أن يحمل اللفظ على الكل لأن من شرط الثواب حصول الكل فكأنه تعالى وعدهم بأجر خالص من الشوائب دائم لا إنقطاع فيه ولا نقص ولا بخس وهذا نهاية الوعد فصار ترغيباً في العبادات كما أن الذي تقدم هو زجر عن المعاصي والله سبحانه وتعالى أعلم] أنظر الفخر الرازي ١١٢/٣١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٧٧/٣ ؛ القرطبي ١١٥/٢٠ ؛ تفسير البيضاوي مع حاشيه الشهاب ٣٣٧/٨ ؛ الخازن ٣٩١/٤ .

(٥) سورة التين آيه (٦) .

خابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟ قال : المسبل والمنّان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » (١) .

وفي رواية « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، المنّان الذي لايعطي شيئاً الا مَنَّه .. » (٢)

ثانياً: ولبيان حرمانه من الجنّة ورد في الحديث عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لايدخل الجنة خَبٌ ولا مَنَّان ولا بخيل» (٣) .

---

(١) م : ١٠٢/١ ك الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار وبيان الثلاثة الذين لايكلمهم الله يوم القيامه .

د : ٥٧/٤ ك اللباس باب ماجاء في إسبال الازار .

قال النووي : [معنى لايكلمهم : لايكلمهم تكليم أهل الخيرات وبإظهار الرضى بل بكلام أهل السخط والغضب ، وقيل : المراد الإعراض عنهم . وقال جمهور المفسرين : لايكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم . وقيل لا يرسل إليهم الملائكه بالتحيه . ومعنى (لاينظراليهم) : أي يعرض عنهم ونظره سبحانه وتعالى لعباده رحمته ولطفه بهم .ومعنى (لايزكيهم) : لا يطهرهم من دنس ذنوبهم وقال الزجاج وغيره معناه لايثني عليهم .

ومعنى (عذاب أليم) : مؤلم . قال الواحدي : هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه . قال والعذاب كل مايعي الإنسان ويشق عليه] . شرح النووي على صحيح مسلم ١١٦/٢ .

(٢) ١٠٢/١ ك الإيمان باب غلظ تحريم إسبال الإزار وبيان الثلاثة الذين لايكلمهم الله يوم القيامة .

(٣) ت ٣٤٣/٤ ك البر والصلة باب ما جاء في البخيل . قال أبو عيسى هذا (حديث حسن غريب) . قوله [خب : بفتح الخاء وبكسر الباء:خداع يفسد بين الناس بالخداع .منّان : من المِنّة أي يَمُنّ على الفقراء بعد العطاء.أو من المَنّ بمعنى القطع لما يجب أن يوصل . وقيل لايدخل الجنة مع هذه الصفة حتى يجعل طاهراً منها إما بالتوبة عنها في الدنيا أو بالعقوبة بقدرها تمحيصاً في العقبى.أو بالعفو عنه تفضلاً وإحساناً . ويؤيده قوله تعالى :{ ونزعنا مافي صدورهم من غل } تحفه الأحوذي ٩٨/٦ . قال ابن الأثير (الخب : بالفتح الخداع ... والمصدر بالكسر) . انظر : النهاية ٤/٢ .

ثالثاً: وفيه ورد عن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايدخل الجنة مسكين متكبر، ولا شيخ زان، ولا منّان على الله بعمله » (١) .

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التالية :

أولاً : الأضرار الدنيوية :

١ - المنّ رذيلة وصفة ممقوتة من النّاس، والمنّان ممقوت مبغوض في المجتمع، لأن المنّان إذا أعطى عطيته، ومنّ بها على من أعطاها له، كان في ذلك كسر لنفس المحتاج، وإلحاق الذل والهوان به، لأنّ في المنّ تشهيراً بحاجة المحتاج، وفي ذلك تشهير بكرامته، وإهانة له . لذلك فالمنّان لايشكر على عطيته، ويمقته الأفراد، والجماعات .

٢ - أن المنّ يؤدي إلى تفكك المجتمع ومن آثاره الاحتقار والضغينة في النفوس فان المعطي المنّان، يتكبر على المحتاج الذي أخذ عطيته، ويحتقره، ويفتخر المنّان بعطيته، فيكون إنسان يرائي بعمله، ويذل من أعطاه العطية، كما أن من آثاره الحسد، والحقد، والضغينة في نفس المحتاج، وقد يدفعه ذلك إلى أفعال غير مشروعة ومنهي عنها كالسرقة، أو القتل ونحوه، وذلك خشية أن يأخذ العطية ممن وسّع الله في رزقه فيذله بما أعطاه .

ثانياً: الأضرار الأخروية :

١ - المنّ رذيلة منافية للإخلاص وآفة تتسبب في ضياع العمل وإحباط الأجر وذلك مادل عليه قول الله تعالى : { ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ونفي الشيء إثبات لضده فالذين يتبعون صدقاتهم بالمنّ والأذى

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب وعزاه إلى الطبراني من رواية الصباح بن خالد بن أمية عن نافع ورواته إلى الصباح ثقة . انظر الترغيب والترهيب ٣/٥٦٥ .

يحبط عملهم ويضيع أجرهم ويحرمون الجزاء الذي رتبه الله على الصدقة في سبيله لمن آتاها من غير أن يتبعها بالمنّ والأذى .

ويؤكد ذلك النهي الصريح في قوله تعالى : { يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ } والنهي الصريح دليل على عظم خطر هذا العمل وسوء عاقبته .

وفي تشبيه المنفق المنّان بمن يزرع على أرض صلبة ملساء عليها تراب فأعتقد صلاحها فلمّا سقط المطر وجرّد الصخرة ممّا كان عليها ضاع الزرع وذهب الجهد والعمل فلا يجني من زرعه وجهده شيئاً . في هذا التشبيه غاية الدقة والحكمة في تصوير سوء أثر المنّ على العمل الصالح وأنّه يضيع الأجر فلا يجني المنفق من وراء إنفاقه شيئاً ولا يستطيع كما قال تعالى : { لَّايَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا } .

٢ - إن المنّان يلحقه الفزع والرعب من أهوال القيامة والحزن على ماضاع منه في الدنيا والآخرة وذلك مادل عليه قول الله عز وجل في إثبات سلامة المنفق المخلص من إصابته بأهوال الفزع والحزن يوم القيامة { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ونفي الشيء إثبات لضده . فالمنفق المنّان يلحقه الخوف والفزع والحزن على ماضيع .

٣ - إستحقاق المنان إعراض الله عنه وإبعاده عن رحمته وذلك مادلّ عليه قوله تعالى : { وَٱللَّهُ لَايَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ } وذلك إعراض من الله عز وجل عنهم فمن تشبه بصفة الكافرين إستحق ما أستحقوه من العقاب على ذلك وإعراض الله عنهم يوم القيامة يحرمهم الأجر والثواب وكما دلّ على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم » ونظر الله إلى عباده رحمته بهم وإعراضه عنهم نقمة عليهم .

٤ - المنّان متعرض لغضب الرب عز وجل وسخطه عليه وذلك مادّل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الثلاثة الذين لايكلمهم الله يوم القيامة وذكر

« المنّان الذي لايعطي شيئاً إلا منّهَ » . ومعنى لايكلمهم أي لايكلمهَم بكلام رضا ولا رحمة وإنما بكلام سخط وغضب .

٥ - أن المنّان يوكل إلى عمله يوم القيامة فلا يطهره الله عز وجل من ذنوبه يوم القيامة،وذلك لأنه لم يقصد من عمله رضا الله عز وجل فتركه لعمله وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « ولايزكيهم » بمعنى لايطهرهم من دنس ذنوبهم فلا يغفر لهم ويعذبهم بها .

٦ - إلحاق العذاب الأليم بالمنّان وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الثلاثة الذين لايكلمهم الله قال « ولهم عذاب أليم » أي موجع يصل وجعه إلى قلوبهم وأجسادهم .

٧ - حرمانه دخول الجنة دخولاً أولياً حتى يطهر من ذنبه إما بالعقاب على قدر مامنّ في عطيته أو بالتوبة في الدنيا أو بفضل من الله وكرم فيعفو عنه . وذلك ما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام « لايدخل الجنة خَبٌ ولا منّان » .

هذا جانب من جوانب عذاب المنّان وبيان خسارته التي ترتبت على نفقته التي أتبعها بالمنّ والأذى وذلك يدل على مدى خطر هذه الصفة الرذيلة وما تلحقه بمن إتصف بها من خسائر وضلال وضياع نسأله تعالى السلامة منها .

[٥] الغضب

الغضب في اللغة :

نقيض الرضا (١)

قال ابن فارس : [الغين والضاد والباء أُصل صحيح يدلُّ على شدة وقوة] (٢) مشتق من الغضبة وهي الصخرة الصلبة لأن الغضب اشتداد السخط (٣) . وقال ابن جني [مشتق من غضبة الرأس وهي جلدته أي صار حمى قلبه إلى جلدة رأسه] (٤) .

الغضب في الإصطلاح :

هو ثوران دم القلب إرادة الإنتقام (٥) .

يوضح ذلك ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أُنه قال « ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه » (٦) والمراد أن الغضب حرارة غريزية وحدة جبلية مشعلة جمرة نار مكمونة في كانون النَّفس (٧) .

قال ابن عرفة : [الغضب شيء يداخل القلوب ومنه محمود ومذموم فالمذموم

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ٣٠٣/١ ؛ لسان العرب ٦٤٨/١ ؛ القاموس المحيط ١١٥/١ ؛ تاج العروس ٤١٣/١ .

(٢) مقاييس اللغة ٤٢٨/٤ .

(٣) انظر الإشتقاق ٤٦١ ؛ تهذيب اللغة ١٦/٨ ؛ مقاييس اللغة ٤٢٨/٤ ؛ تاج العروس ٤١٣/١ .

(٤) المخصص ١٢٠/١٣ .

(٥) انظر : المفردات ٣٦١ ؛ بصائر ذوي التمييز ١٣٥/٤ ؛ تاج العروس ٤١٣/١ .

(٦) ت : ٤٨٤/٤ ك الفتن باب ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة .

(٧) تحفة الأحوذي ٤٣١/٦ .

ماكان في غير الحق والمحمود ما كان في جانب الدين والحق ..] (١) .

يتضح مما سبق أن الغضب نزعه فطريةً موجودةً في كل انسان إلا أنه اذا تجاوز الحد المفروض له والذي حده الشرع صار مذموماً ،لأنه يكون حينذاك آفه فتاكةً بقوى الإنسان فيؤذي الفرد والمجتمع ويعود بالخسارة والهلاك على الفرد والمجتمع . فالغضب في غير دين الله ممقوت مذموم منهي عنه لأنه انفعال يدفع الانسان إلى أن يفعل أفعال لايرضى الله عنها لذلك كان الغضب من الصفات المذمومه المنهي عنها في الدين والخلق .

الغضب في استعمالات القرآن والسنه :

ورد استعمال (الغضب) في القرآن والسنه بحسب كونه من الله تعالى او من الناس في مواضع عديده منها :

أولاً : الغضب من الله تعالى : (٢) .

تكرر في مواضع كثيره من القرآن الكريم منها :-

١ - قوله تعالى : { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ } (٣) .

٢ - قوله تعالى : { وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ } (٤) .

٣ - قوله تعالى : { فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ } (٥) .

٤ - قوله تعالى : { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ } (٦) .

---

(١) انظر : لسان العرب ٦٤٩/١ (بتصرف) .

(٢) قال ابن جرير [اختلف في تأويل الغضب من الله تعالى وموقف أهل السنةً إثبات الصفات لله تعالى كما يليق بجلاله،والإيمان بها كما جاءت من غير تشبيه ولاتمثيل ولاتعطيل] انظر تفسير الطبري المحقق ١٨٨/١ .

(٣) سورة البقرة آيه (٦١) .

(٤) سورة آل عمران آيه (١١٢) .

(٥) سورة البقرة آيه (٩٠) .

(٦) سورة الأعراف آيه (٧١) .

٥ - قوله تعالى :{ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }(١).

٦ - وفيه ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حلف على يمين وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » (٢) .

٧ - ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي » (٣) .

وفي رواية « إن الله عز وجل لمّا خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي » (٤) .

ثانياً: الغضب من الناس وهو نوعان :

(أ) محمـــود (ب) مذمـــوم

ومما ورد في الغضب المحمود :

غضب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنه في دين الله عز وجل .

١ - وفيه قوله تعالى حكاية عن غضب موسى عليه السلام { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا } (٥) .

٢ - ومنه قول الله تعالى حكاية عن غضب يونس عليه السلام { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا } (٦) .

---

(١) سورة الأنفال آية (١٦) .

(٢) م :١٢٢/١ ك الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .
جه : ٤٠/٢ أبواب الأحكام باب من حلف على يمين فاجره ليقتطع بها مالاً .

(٣) خ مع فتح الباري ٤٤٠/١٣ ك التوحيد باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين .

(٤) جه : ٤٤٧/٢ ؛ أبواب الزهد باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة .

(٥) سورة الأعراف آية (١٥٠) .
غضب موسى عليه السلام على قومه لمّا رجع من ميقات ربه ووجد قومه يعبدون العجل .

(٦) سورة الأنبياء آية (٨٧) .
غضب يونس عليه السلام من عدم إيمان قومه .

٣ – ومنه ماورد عن غضب النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث أنَه ماكان يغضب لنفسه أبداً وإنما كان يغضب لأمرٍ في دين الله وإظهاره للغضب دليل على تأكيد الزجر عن ذلك الأمر ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك ماثبت عن عائشه رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت قرام (١) فيه صور فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه . وقالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور » (٢) .

٤ – ومنه ماثبت عن ابن مسعود (٣) رضي الله عنه قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا . قال : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ . قال : فقال « ياأيها الناس إن منكم منفِّرين فأيكم ماصلى بالناس فليتجوز فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة » (٤) .

ومما ورد في الغضب المذموم :

١ – حكاية عن صفات المؤمنين المتقين قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَاغَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) قرام : ثوب من صوف ملون يفرش في الهودج أو يغطى به .

(٢) خ مع فتح الباري ٥١٧/١٠ ك الأدب باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله (واللفظ له) .
م ٦٦٨/٣ ك اللباس والزينة باب تحريم تصوير صور الحيوان .

(٣) ابن مسعود هو عبدالله ابن مسعود .

(٤) خ مع فتح الباري ٥١٧/١٠ ك الأدب باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله .

(٥) سورة الشورى آية (٣٧) .
قوله { وإذا ماغضبوا يغفرون } [المراد أن من سجيَّتهم المغفرة عند الغضب أي إمساك أنفسهم عند الإندفاع مع داعية الغضب فلا يغول الغضب أحلامهم] انظر : روح المعاني ٤٦/٢٥ . تفسير المراغي ٥٢/٢٥ .

٢ – ومنه مارواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »(١) .

بالنظر الى ماثبت من النصوص في استعمالات (الغضب) في القرآن والسنة، تبين استعمال القرآن للغضب فيما وصف به الله تعالى نفسه ، وفي الغضب من الخلق وهو نوعان : محمود ومذموم . إلا أنه استعمل الغضب المذموم في موضع واحد في القرآن في مقام ذكر العلاج منه والسلامة منه عند ذكره عز وجل لصفات المؤمنين المتقين فقال تعالى{ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } (٢) إلا أن السنة استعملت الغضب استعمالاً إضافياً عما في القرآن الكريم وذلك في مقام الذم والتحذير من الغضب وفي هذا النوع وردت نصوص كثيرة كما سيتم ذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها .

وهذا النوع من الغضب هو المقصود في بحثي . لأنه هو الآفة التي تفتك بقوى البشر أفراداً وجماعات،وأضرارها متعدية للآخرين،والغضب في غير دين الله مذموم في الشرع لأنه عائق من مجاهدة العبد لنفسه،فالإنسان اذا غضب لايتمكن من كبح جماح شهوة الغضب في نفسه ويدفعه ذلك الى إرتكاب الآثام والمعاصي وقد يرتكب كبيرة من الكبائر . وإذا ما التزم منهج الشرع في كبح جماح الغضب تمكّن من الانتصار على هذه الآفه .

---

(١) خ مع فتح الباري ٥١٨/١٠ ك الأدب باب الحذر من الغضب .

م ٢٠١٤/٤ ك البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

(٢) سورة الشورى آيه (٣٧) .

الغضب وأضراره في القرآن والسنه :

لم يرد في القرآن الكريم نص صريح بالنهي عن الغضب، وإنما ورد الثناء على من لم يتصف بهذه الصفة الرذيلة ، والرضا عمن كظم غيظه وعفا عن الناس ، ولم يندفع وراء غضبه بالإنتقام وارتكاب الآثام ، وفي الثناء على من لم يتصف بهذه الصفة السيئة ذم لمن اتصف بها ، ومما ورد في ذلك :-

١ - في معرض بيان صفات المتقين والترغيب فيما عند الله من الأجر والثواب العظيم لمن اتصف بهذه الصفات ذكر تعالى (١) منها في قوله تعالى : { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (٢) .

وفي موضع آخر قال تعالى { وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } (٣) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٢١٤/٧ ؛ التحرير والتنوير ٩١/٤ .

(٢) سورة آل عمران آية (١٣٤) .

قوله{والكاظمين الغيظ} أي والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه (الغيظ) مصدر من قول القائل أغاظني فلان فهو يغيظني غيظاً وذلك إذا أحفظه وأغضبه . قال ابن عاشور [كظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتى لايظهر عليه وهو مأخوذ من كظم القربة إذا ملأها وأمسك فمها .. ولاشك أن أقوى القوى تأثيراً على النفس القوة الغاضبة فإذا استطاع إمساك مظاهرها مع الامتلاء منها دل ذلك على عزيمة راسخة في النفس وقهر الإرادة للشهوة وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة] التحرير والتنوير ٩١/٤ وانظر تفسير الطبري المحقق ٢١٥/٧ .

قوله {والعافين عن الناس} فإنه يعني [والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون فتاركوها لهم] انظر تفسير الطبري المحقق ٢١٥/٧ .

قوله {والله يحب المحسنين} أي[إن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والأرض والعاملون بها هم المحسنون وإحسانهم هو عملهم بها] انظر : تفسير الطبري المحقق ٢١٥/٧ .

(٣) سورة الشورى آية (٣٧) .

٢ - في مقام الحض على حسن المعاملة، والأخذ بمكارم الأخلاق، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقلة المبالاة بجفاء المشركين وصلابتهم، وأن يسعوهم بالعفو والدأب على محاولة التبليغ (١) قال تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } (٢) .

وهذا أمر بالتحلي بمكارم الأخلاق والأمر بالشيء نهي عن ضده .

٣ - وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني . قال « لاتغضب » فردده مراراً . قال : « لاتغضب » .

٤ - وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس الشديد بالصرعه انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

وفي رواية : « ماتعدون الصرعة فيكم ؟ قال قلنا الذي لايصرعه الرجال . قال : ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » (٣) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٣٢٦/١٣ ؛ التحرير والتنوير ٢٢٧/٩ .

(٢) سورة الأعراف آيه (١٩٩) .

قوله { خذ العفو } من أخلاق الناس وهو الفضل ومالا يجهد واترك الغلظة عليهم . قوله { وأمر بالعرف } اسم مرادف للمعروف من الأعمال وهو الفعل الذي تعرفه النفوس أي لاتنكره .

قوله { وأعرض عن الجاهلين } الإعراض ادارة الوجه عن النظر للشيء مشتق من العارض وهو الخد فان الذي يلتفت لاينظر إلى الشيء .

قال أبو جعفر [أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل ذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه، باحتمال من ظلمهم أواعتدى عليهم لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب] .

انظر : تفسير الطبري المحقق ٣٢٩/١٣ ؛ التحرير والتنوير ٢٢٧/٩ .

(٣) م : ٢٠١٤/٤ ك البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

٥ - ومنه ماورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ... ألا إن بني آدم خلقوا من طبقات شتى ... ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ... ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض » (١) .

٦ - ما أخرجه أبو داود بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار » (٢) .

٧ - ما أخرجه أحمد بسنده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل يارسول الله أوصني قال:« لاتغضب » قال: قال الرجل ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله » (٣) .

٨ - ما رواه سفيان بن عبدالله الثقفي قلت : يارسول الله قل لي قولاً أنتفع به وأقلل قال « لا تغضب ولك الجنة » (٤) .

وفي رواية عن أبي الدرداء قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني

---

(١) ت : ٤٨٣/٤ ك الفتن باب ماجاء فيما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة . وقال أبو عيسى (حسن صحيح) .

(٢) د : ٢٤٩/٤ ك الأدب باب ما يقال عند الغضب . وسكت عنه أبو داود .

(٣) الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل ٨٠/١١ .
مجمع الزوائد ٦٩/٨ . وقال رجاله رجال الصحيح .

(٤) مجمع الزوائد ٧٠/٨ وعزاه إلى الطبراني في الكبير والأوسط .
فتح الباري ١٠ /٥١٩ وعزاه ابن حجر إلى الطبراني .

الجنة قال « لا تغضب » (١) .

٩ - ما رواه عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال : « قلت : يارسول الله مايمنعني من غضب الله قال « لاتغضب » (٢) .

<u>من النصوص السابقه تجلت الحقائق التالية :</u>

١ - الثناء من الله عز وجل على من سلم من صفة الغضب وكظم غيظه وهو قادر على إنفاذه،وعفا عن الناس، وصفح الصفح الجميل،وذلك مادل عليه قوله تعالى { وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ } وقوله { خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ } والثناء على الشيء ذم لضده فإذا كان الثناء على من كظم غيظه،وتعامل بالعفو والصفح الجميل،وانتصر على ثورة غضبه فإن من غضب ولم يكظم غيظه،استحق الذم والمقت على سوء عمله . ويكفي (الغضب) ذماً وتشنيعاً إعراض القرآن الكريم عن ذكره والتعريض بذمه في مقام الثناء على من تخلى عن هذه الصفات السيئة والداء الخبيث وتحلى بمكارم الأخلاق والصفات المضادة للغضب .

٢ - ورد النهي صريحاً عن هذا الداء في روايات عديدة ومناسبات مختلفة منها ماسبق ذكرها . وفي تكرار النهي عنها دليل على عظيم قبح هذا الفعل وخطره على الفرد والمجتمع،وذلك مادل عليه ماورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال «لاتغضب» فردد مراراً . قال « لاتغضب » .

٣ - أن النهي عن الغضب ليس نهياً عن ذات الغضب فإنه لايمكن النهي عنه لأنه نزعة فطرية موجودة في كل مخلوق،إلا أن النهي عن النوع المذموم منه وهو

---

(١) انظر المراجع السابقة .

(٢) صحيح ابن حيان ٢٥٧/١ ذكر رجاء الأمن من غضب الله لمن يغضب لغير الله عز وجل .

ماكان في غير دين الله . والغضب ثورة وانفعال يدفع بصاحبه إلى أقوال وأفعال قد تؤدي به إلى ارتكاب محرم من قذف،وطلاق،وقتل،وظلم،وبطش .. ونحوه . وفي ذلك قال الشيخ القاري [الغضب من نزعات الشيطان يخرج به الإنسان عن حد الاعتدال صورة وسيرة،حتى يتكلم بالباطل،ويفعل المذموم شرعاً،وعرفاً،وينوي الحقد والبغض،وغير ذلك من القبائح التي كلها من أثر سوء الخلق بل قد يكفر ولهذا قال « لاتغضب » وأصر عليه مع إلحاح السائل مريداً للزيادة أو التبديل فكأنه قال له حسّن خُلقك وهو من جوامع الكلم فالحديث من بدائع الكلم] (١) .

٤ - أن قول النبي صلى الله عليه وسلم « لاتغضب » يحتمل أموراً :-

الأول : الحديث عام مخصوص بالغضب من أجل الله تعالى،فليس كل غضب مذموماً ، وهذا النهي عن الغضب هو الغضب المذموم الذي يكون لغير الله،لما يترتب عليه من أضرار جسيمة وخسائر دنيوية وأخروية ؛ فالحديث من جوامع الكلم التي خُص بها النبي صلى الله عليه وسلم،وقد انطوى هذا الحديث على خير كثير ومنع من الشر الكثير،وفي بيان ذلك قال ابن حجر [قال ابن التين : جمع صلى الله عليه وسلم في قوله (لاتغضب) خير الدنيا والآخرة،لأن الغضب يؤول إلى التقاطع،ومنع الرفق،وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين] (٢) . ويؤكد ذلك قول الصحابي رضي الله عنه [ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله] .

الثاني : يحتمل هذا الحديث أمرين :

١ - أن يكون المراد إجتنب أسباب الغضب،ولا تترك لنفسك الانبعاث عند وجود أسبابه،أما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر غريزي في طباع

---

(١) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧٤٨/٤ .

(٢) فتح الباري ٥٢٠/١٠ .

البشر لايزول من الجبلة (١) .

٢ - أن يكون المراد الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم،والسخاء، والحلم،والحياء،ونحو ذلك من الأخلاق الحميدة،فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه (٢) .

ويعتبر هذا الحديث ربع الإسلام،لأن أعمال الإنسان إما خير،وإما شر،والشر إما أن ينشأ عن شهوة،أو عن غضب،وهذا الحديث متضمن لنفي الغضب، فيتضمن نفي نصف الشر وهو ربع المجموع فكان هذا الحديث ربعاً من هذه الجهة (٣) كما ذكر ابن حجر الهيثمي .

٥ - نسب النبي صلى الله عليه وسلم الغضب إلى الشيطان في قوله « إنما الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من نار » وذلك لاتحاد منشئهما،وفي هذا غاية التشنيع والتقبيح لشأن من يغضب ويمكّن غضبه من نفسه ، فقد مكّن الشيطان من نفسه وجعل له سلطاناً عليه . والغضب من أعظم مداخل الشيطان على الإنسان،فهو جمرة مكمونة في طي فؤاد ابن آدم،وأكثر مايستخرجها داء الكبر،والترفع،والشهوة،وغيرها من قوى الفساد والضلال، التي تهدم عناصر الخير،وطاقة الإنسان،وتخلفه رماداً كما يخلف الجمر الرماد ، وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه » .

وفي تشبيه الغضب بجمرة من نار تنويه بما يخلفه الغضب من أضرار وخسائر،كما يخلف الجمر الرماد ويقضي على كل شيء صالح وصل إليه .

---

(١) انظر : شرح متن الأربعين النووية (٤٥) ، شرح الأُبّي على صحيح مسلم ٥١/٧ فتح الباري ٥٢٠/١٠ .

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم (١٣٠) .

(٣) الفتح المبين (١٥٦) .

٦ - لعظم ضرر الغضب ومايسببه من مفاسد عظيمة،وخسائر فادحة جسيمَة،شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالغازي الذي يريد الصراع،ومن استطاع أن يغلبه جعله في مقام الصرعة من الرجال الذي يصرع الرجال ولايغلبه أحد، وذلك ماورد في قوله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . وفي رواية « فما تعدون الصرعة فيكم ؟ قال : قلنا : الذي لا يصرعه الرجال ... » .

والصرعة [بضم الصاد وفتح الراء المبالغ في الصرع الذي لا يغلب] (١) . فنقله النبي صلى الله عليه وسلم عن وصفه اللغوي بضرب من التوسع والإيجاز - كما ذكر القاري في المرقاة قال [فجعل الذي يملك نفسه عند الغضب كأنه أعدى أعدائه،وشر خصومه،وذلك لأنه لمّا كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بحلمه،وصرعها بثباته،كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه] (٢) .

٧ - يترتب على الغضب أضرار وخسائر دنيوية وآخروية :

فمن الخسائر الدنيوية :

١ - تغير ظاهر البدن واختلاف مظهر الإنسان من إحمرار العينين،وانتفاخ الأوداج، كما وصف ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أما رأيتم إلى حمرة عينيه،وانتفاخ أوداجه » ويتلو ذلك رعدة الأطراف،وخروج الأفعال عن حيز الاعتدال،واضطراب الحركة والكلام ونحوه . ولو رأى الإنسان سوء منظره حال غضبه لخجل من نفسه ومن سوء فعله .

٢ - تغير باطن الإنسان،فإن تغير الظاهر ناشيء عن تغير الباطن فالغضب جمرة نار مكمونة في طي فؤاد ابن آدم وعند غليان دم الإنسان بالإنفعال والغضب يتغير ظاهره وينشأ عن تغير باطنه إثارة الحقد،والحسد،والضغينة،وإرادة

---

(١) النهايه ٣/٢٣ .

(٢) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/٧٤٩ .

الإنتقام من غيره،وإن لم يتمكن إنتقم منَ نفسه فيضرب نفسه،أو يَحرمها الطعام والشراب ونحو ذلك من الأفعال المضطربة الناشئة عن ثورة الغضب في نفس الإنسان . وقد يرتكب المرء كبيرة توجب حداً،أو معصية توجب عقاباً، أو يستحق بها غضب الله وسخطه،لذلك لما سأل الصحابي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عما يباعده عن غضب الله قال « لاتغضب » .

٣ - إنطلاق اللسان بالشتم والقذف والأيمان الفاجرة .

وقد يدفعه الغضب للكفر بالله ككفر جبلة ابن الأيهم (١) . من لطمة أخذت منه قصاصاً،أو للظهار كما ثبت من قصة خولة بنت ثعلب وزوجها أوس بن الصامت، كما ورد في مسند أحمد أنها راجعت زوجها فغضب فظاهر منها،وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه،وضجره،فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو ماتلقى من سوء خلقه فأنزل الله آية الظهار وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكفارة (٢) أو طلاق كما روى ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال له [إني طلقت امرأتي ثلاثاً وأنا غضبان . فقال ابن

---

(١) جبلة بن الأيهم الغسّاني ذكر ابن كثير[أنه كان ملك غسان وهم نصارى العرب أيام هرقل وهو آخر ملوك غسان أسلم في عهد عمر بن الخطاب فاتفق أن وطيء رداء رجل من مزينه بدمشق فلطمه ذلك المزني فدفعه أصحاب جبلة إلى أبي عبيدة فقالوا هذا لطم جبلة قال أبو عبيدة : فليلطمه جبلة . فقالوا أو مايقتله ؟ قال : لا . قالوا فما تقطع يده ؟ قال لا : إنما أمر الله بالقود . فقال جبلة أترونى أني جاعل وجهي بدلاً لوجه مازني جاء من ناحية المدينة بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانياً] .
انظر : البداية والنهاية ٦٣/٨ - ٦٤ .

(٢) انظر جامع العلوم والحكم (١٢٩) .

عباس : لايستطيع أن يحل لك ماحرم الله عليك،عصيت ربك،وحرّمتَ عليك امرأتك] (١) .

ولما ينطلق به اللسان من شرح حال الغضب وذلك ماورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم « وإذا غضبت فاسكت » وفي روايه « إذا غضب أحدكم فليسكت قالها ثلاثاً » وفي الأمر بالسكوت حال الغضب،كف لما يترتب على الكلام حال الغضب من قبائح الأقوال مما يوجب الندم عليها عند زوال الغضب

ومن الأضرار الآخروية :

أن العبد إذا ارتكب أي فعل حال غضبه منهياً عنه استحق مايترتب على ذلك الفعل من العقاب . ومن ارتكب محرماً استحق غضب الله عليه،وإذا أُغضب الله عليه سخط عليه،وأُسخط عليه الملائكه،وأهل الأرض،ويوم القيامة لا ينظر الله إليه بعين الرحمة والرضا،لذلك لما سأل الصحابي عما يمنعه من غضب الله قال « لا تغضب » لعظم المفاسد والخسائر التي تترتب على الغضب وبذلك يخسر بسبب غضبه خسائر دنيوية وأخروية وذلك هو الخسران المبين .

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم (١٢٩) وعزاه ابن رجب الى الجوزجاني والدار قطني باسناد على شرط مسلم .

[٦] الجــدل

الجدل في اللغة :

ورد في لغة العرب للدلالة على معان مختلفة منها :-

أولاً : الجدل بالتحريك اللدد في الخصومة والقدرة عليها .

يقال : جادلت الرجل فجدلته جدالاً أي غلبته ، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام . وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً . والإسم الجدل وهو شدة الخصومة (١) .

وأصل الجدل من الجدل وهو شدة الفتل يقال : جدلت الحبل جدلاً إذا شددت فتله ومنه قيل لزمام الناقة الجديل (٢) .

قال أمرؤ القيس :

وكشح لطيف كالجديل مخصر .·. وساق كأنبوب السقي المذلل

قال ابن فارس : [الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام في استرسال يكون فيه،وامتداد الخصومة،ومراجعة الكلام] (٣) .

ثانياً : الجدل الصرع .

يقال : جدلته فانجدل صريعاً وهو مجدول وأكثر مايقال جدلته تجديلاً والمجدل الملقى بالجدالة وهي الأرض قال الهذلي

مجــدل يتكسى جلده دمـه .·. كما تقطر جذع الدومة القطل (٤)

ويقال جدلته بالتخفيف وجدلته بالتشديد وهو أعم (٥) .

---

(١) انظر : الصحاح ١٦٥٣/٤ ؛ لسان العرب ١٠٥/١١ ؛ القاموس المحيط ٣٤٦/٣ ؛ تاج العروس ٢٥٤/٧ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ٦٧/٢ ؛ تهذيب اللغة ٦٤٩/١٠ ؛ المفردات (٨٩) ؛ لسان العرب ١٠٥/١١ .

(٣) مقاييس اللغة ٤٣٣/١ .

(٤) شرح ديوان امروء القيس (١٥٠) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ٦٤٩/١٠ ؛ أساس البلاغة ٥٣؛ لسان العرب ١٠٥/١١ ؛ تاج العروس ٢٥٤/٧ .

الجدال في اصطلاح العلماء :

المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإ لزام الخصم (١) .

قال إمام الحرمين الجويني [إظهار المتنازعين مقتضي نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو مايقوم مقامها] (٢) .

وقال الجرجاني [هو عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها] (٣) .

وقال صاحب المصباح [إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب هذا أصله ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم] (٤) .

وعرفه الكفوي [هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لايكون إلا بمنازعة غيره] (٥) .

بناء على ماذكر في تعريف الجدل نخلص بالآتي :

(١) أن الجدل هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة في الكلام والبيان لإلزام الخصم،وإبطال مدعاته،وإثبات دعوى المتكلم،وهذا على نوعين :-

أ - النوع الأول :

ماكان في تقرير الحق وإظهاره :

وهذا جدل ممدوح ومنه جدال القرآن الكريم . وجدال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في إثبات وحدانية الله عز وجل وصدق دعوتهم،وإبطال دعوى المكذبين،وإلزامهم بفساد حججهم ودعواهم .

---

(١) المفردات (٨٩) ؛ بصائر ذوي التمييز [٢/٣٧٣] . انظر مناهج الجدل (٢٤) .

(٢) الكافيه في الجدل (٢١) .

(٣) التعريفات (٧٥) .

(٤) المصباح المنير (٩٣) .

(٥) الكليات (٢/١٧٢) .

ب - **النوع الثاني :**

ما كان في تقرير الباطل وإظهاره .

وهذا جدال مذموم ذمه الشرع ونهى عنه .

وفي هذا النوع من الجدال قال الإمام الغزالي :

[وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه، وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه، وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهة عند المجادل، بحيث يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه وخطأ صاحبه]

وقال [وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل، والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنيتان للنفس قويتان لها، أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس، وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء، وهي من صفات الربوبية، وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى السبعية، فإنه يقتضي أن يمزق غيره، ويقصمه، ويصدمه، ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء والجدال] (١) .

ألفاظ مرادفة للجدل :

قال صاحب كتاب مناهج الجدل [وقد شاعت بين الناس ألفاظ وإن لم تكن واحدة في المفهوم فهي قريب بعضها من بعض كالمناظرة، والمحاورة ، والمناقشة والمباحثة لأنها ترجع في نهاية أمرها إلى طريقة البيان والتبين التي أودعها الله في بني الإنسان جبلة وطبعاً . وقد توجد بينها فروق تبينها قواعد الجدل وأدب البحث والمناظرة، إذ يرى البعض أن الجدل يراد منه إلزام الخصم ومغالبته .

أما المناظرة : فهي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين مع إتحاف السادة ٧/٤٧٢ . (بتصرف) .

قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق .

والمحاورة : هي المراجعة في الكلام ومنه التحاور أي التجاوب، وهي ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه ، وقد ورد لفظ الجدل والمحاورة في موضع واحد من سورة المجادلة في قوله تعالى : { قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ } وقريب من ذلك المناقشة] (١) .

الجدل في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال (الجدل) بلفظه وماتصرف منه في مواضع كثيرة (٢) وبمعان متعددة منها :

١ - المراء والملاحاة في الباطل : (٣)

قال تعالى : { .. فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ } (٤) .

قال ابن عباس رضي الله عنه [الجدال المراء والملاحاة] (٥) .

وقال مالك [والجدال في الحج أن قريشاً كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة بقزح، وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة فكانوا يتجادلون . يقول

---

(١) مناهج الجدل في القرآن . د/ زاهر بن عواض الألمعي (٢٩ - ٣٠) .

(٢) قال ابن نجم الحنبلي [ذكر الجدل في تسعة وعشرين موضعاً] وحققه الألمعي بقوله [أنه خلط بين الموضع بمعنى المرة الواحدة وبين الموضع بمعنى الآية الواحدة والنتيجة تختلف تبعاً لذلك . فلفظة الجدل وماتصرف منها ذكرت في القرآن تسعاً وعشرين مرة في سبع وعشرين آية] انظر استخراج الجدال من القرآن بتحقيق د/ زاهر الألمعي ص ٥١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري المحقق ٤٢٢/١ .

(٤) سورة البقرة آية (١٩٧) .

(٥) انظر : تفسير الطبري المحقق ٤٢٢/١ .

هؤلاء نحن أصوب ويقول هؤلاء نحن أصوب فقال تعالى : { لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ } فهذا الجدال فيما نرى والله أعلم] (١) .

٢ - المنازعة والمدافعة بالقول : (٢) .

ومما ورد في ذلك قول الله تعالى { هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (٣) .

ومنه قوله تعالى : { ..... وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ } (٤) .

وقول الله تبارك وتعالى : { يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا } (٥) .

وقول الله تعالى : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } (٦) .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير .. » (٧) .

وقول أسيد بن حضير رضي الله عنه لسعد بن عبادة رضي الله عنه في قصة الإفك « فإنك منافق تجادل عن المنافقين .. » (٨) .

٣ - **محاجة الخصم بالدليل لإثبات الحق وإظهاره : (٩)**

ومما ورد فيه قوله تعالى{ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا } (١٠).

---

(١) انظر موطأ مالك ٣٨٩/١ ؛ [قزح : بفتح القاف والمعجمة وهو الشيء المرتفع وهو مكان بالمزدلفة] النهاية ٥٨/٤ .

(٢) انظرتفسيرالطبري المحقق١٩٣/٩؛القرطبي٧٢/٩؛ التحرير والتنوير١٦٤/٥ .

(٣) سورة النساء آية (١٠٩) .

(٤) سورة هود آية (٧٤) . انظر تفسير القرطبي ٧٢/٩ .

(٥) سورة النحل آية (١١١). انظر القرطبي ١٩٣/١٠؛ التحرير والتنوير٣٠٢/١٤

(٦) سورةالمجادلة آية(١)انظر:تفسيرالطبري غير المحقق ٢/٢٨؛ زاد المسير١٨٢/٨.

(٧) ت : ٦١٧/٥ ك صفة القيامة باب ما جاء في العرض .

(٨) م : ٢١٣٤/٤ ك التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

(٩) انظر : تفسير القرطبي ٢٧/٩ - ٢٨ ؛ التحرير والتنوير ٥٠/٢١ .

(١٠) سورة هود آية (٣٢) . انظر التحرير والتنوير ٦٠/١٢.

وقول الله تعالى : { وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. } (١)

وقوله تبارك وتعالى { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (٢) .

٤ - **المخاصمة والمنازعة ومقابلة الحجة بالحجة لإظهار الباطل واللدد في الخصومة : (٣)**

ومما ورد فيه قول الله تعالى : { وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ } (٤) .

وقوله تعالى { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا .. } (٥) .

وقوله تعالى { .. وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ } (٦) .

وقوله تعالى { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا } (٧) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل ثم تلا الآية { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } (٨) .

قال الأُحوذي [ما كان ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدال، وهو الخصومة بالباطل مع نبيهم، وطلب المعجزة منه عناداً أو جحوداً] وقيل : [المراد هنا العناد والمرآء في القرآن] (٩) .

---

(١) سورة النحل آية (١٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت آية (٤٦) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ٨٢/٢٤ .

(٤) سورة الكهف آية (٥٦) .

(٥) سورة غافر آية (٤) .

(٦) سورة غافر آية (٥) .

(٧) سورة الزخرف آية (٥٨) .

(٨) ت : ٣٧٨/٥ ك تفسير القرآن باب ومن سورة الزخرف وقال أبو عيسى (حسن صحيح)

(٩) انظر : تحفة الأحوذي ١٣٠/٩ .

٥ - **المخاصمة والمنازعة على وجه التضليل والتمويه : (١) .**

ومما ورد في ذلك قول الله تعالى : { حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ } (٢) .

وقول الله تعالى : {وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ } (٣) .

وقول الله تعالى : { وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ } (٤) .

ومجادلة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بقصد التمويه والتضليل بإثارة الشبهات (٥) .

ومما ورد في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما تلا قوله تعالى : { هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ } (٦) إلى آخر الآيه قوله:{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ}:« ياعائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله عز وجل فاحذروهم » (٧)

٦ - **ورد في السنة بمعنى الإلقاء على الجدالة :**

ومما ورد في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنا خاتم النبين في أم الكتاب وإن آدم لمنجدل في طينته » (٨) أي ملقى على الجدالة وهي الأرض.

ومنه ماورد في حكاية ابن الصياد « فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة له .. » (٩) .

---

(١) انظر تفسيرالطبري ١١/٣٠٨ ؛ ١٢/٨٦ ؛ التحرير والتنوير ١٤/٣٢٠ .

(٢) سورة الانعام آيه (٢٥) .

(٣) سورة الانعام آيه (١٢١) .

(٤) سورة الحج آيه (٦٨) .

(٥) انظر مراجع التفسير السابقة .

(٦) سورة آل عمران آيه (٧) .

(٧) جه : ١/١١ المقدمه باب إجتناب البدع والجدل.خ مع الفتح ٨/٢٠٩ ك التفسير باب (منه آيات محكمات) بلفظ (هم الذين سمى الله)

م / ٤ / ٢٠٥٣ ك العلم باب النهي عن إتباع متشابه القرآن .

جه ١ / ١١ المقدمة باب اجتناب البدع والجدل .

(٨) مسند أحمد ٤/١٢٧ .

(٩) ت : ٤/٥١٨ ك الفتن باب ما جاء في في ذكر ابن الصياد وقال (حديث حسن غريب) .

هذا يبين أن الجدل يدور على أمرين :

الأول : جدال في تقرير الحق والثاني : جدال في تقرير الباطل

قال الرازي [أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام قال تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم { وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام { يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا } وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآيـه حيث قال تعالى { وَمَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } وقال : { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } ... واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال بالباطل ولفظ الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه] (١) .

والجدال المذموم قسمان : (٢)

١ - جدال بغير علم كما دل عليه قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .. } .

٢ - جدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه وإثارة الشبهات بعد ظهور الحق وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ .. }

والجدال المذموم بقسميه هو مجال الدراسة في هذا البحث لأنه مرض يصيب النفس الإنسانية فيفتك بالعقائد والإيمان لما يثيره من ضلالات وشبهات ولما ينتج عنها من خسائر في الدنيا والآخره .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٩/٢٧ .

(٢) انظر مناهج الجدل (٦٣) .

ذم الجدل وبيان مساوئه وأضراره في القرآن والسنة :

ورد في الجدل بالباطل نصوص كثيرة منها :

١ - في مقام النهي عن الجدال عن أهل الباطل قال تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم والمراد نهي الأمة (١) عن ذلك { وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا } (٢) .

٢ - في مقام التوبيخ والتقريع لمن يجادل عن أهل الباطل (٣) قال تعالى { هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ } (٤) .

٣ - في مقام التشنيع على الذي يجادل فيما قرره القرآن من التصريف في القول وتنوع الأساليب من أجل كشف الحقائق وإبرازها بصورة واضحة جلية (٥) قال تعالى { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } (٦) .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ١٩٤/٥ . قال ابن عاشور [المجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه . وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك ومنه سمى علم قواعد المناظرة والإحتجاج في الفقه علم الجدل .

(٢) سورة النساء آية (١٠٧) .

(٣) انظر تفسير أبو السعود ٢٣٠/٢ .

(٤) سورة النساء آية (١٠٩) .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٢٢٩/٥ . قال أبو السعود [أكثر شيء جدلاً : أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل وهو ها هنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لأن كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه] .

انظر : التحرير والتنوير ٣٤٧/١٥ .

(٦) سورة الكهف آية (٥٤) .

قال ابن عاشور [الجدل منازعة بمعارضة القول . أي هو الكلام الذي يحاول =

٤ - في بيان موقف الكفار من رسالة رسل الله الذين أرسلهم الله مبشرين أهل الإيمان ومنذرين أهل الكفر (١) قال تعالى : { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا } (٢) .

٥ - عند بيان عظم شأن الساعه المنبئة عن البعث بيّن عز وجل حال بعض المنكرين (٣) بقوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } (٤) .

٦ - في معرض ذكر فئة من المضلين الذين يضلون الناس والتشنيع عليهم (٥) .

= به إبطال ما في كلام المخاطب من رأي أو عزم عليه بالحجة، أو بالإقناع، أو بالباطل قال تعالى : { ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن } وقال { قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله } وقال { يجادلنا في قوم لوط } وقال { ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم } وقال { يجادلونك في الحق بعد ماتبين } والمراد هنا مطلق الجدل بخاصة ما كان منه بباطل أي كل إنسان في طبعة الحرص على إقناع المخالف بأحقية معتقده أو عمله وسياق الكلام يقتضي إرادة الجدل بالباطل] التحرير والتنوير ٣٤٨/١٥ .

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢٣٠/٥ ؛ التحرير والتنوير ٣٥٢/١٥ .

(٢) سورة الكهف آية (٥٦) .

قال أبوالسعود : [ليدحضوا به الحق] أي بالجدال . (الحق) أي يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها وهو قولهم للرسل عليهم الصلاة والسلام ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحوهما)

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٩٢/٦ .

(٤) سورة الحج آية (٣) .

قال أبوالسعود (قوله تعالى (بغير علم) حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل أي ملابساً بغير علم) .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٩٦/٦ .

قال تعالى { مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (١) .

٧ - في مقام التوبيخ والتقريع للمشركين على إصرارهم على الشرك بالله برغم مايرون من دلائل وحدانية الله المنبثة في السموات والأرض (٢) قال تعالى : { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (٣) .

٨ - في إثبات صفة الكفر للمجادلين في آيات الله ووصمهم بهذه الصفة التي سجلها الله تعالى عليهم في كتابه العزيز (٤) قوله تعالى { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ

---

(١) سورة الحج آية (٨) .

قال أبوالسعود : (بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالاً من ضمير يجادل أي كائناً بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى (ولا هدى) الاستدلال والنظر الصحيح الهادي إلى المعرفة (ولا كتاب منير) وهي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا برهان سمعي) .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٧٣/٧ ؛ التحرير والتنوير ١٧٤/٢١ .

(٣) سورة لقمان آية (٢٠) .

قوله { وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة } المراد إكثار المنعم وأصل الإسباغ كما ذكر ابن عاشور [جعل مايلبس سابغاً أي وافياً في الستر. ومنه قولهم : درع سابغة. ثم استعير للإكثار لأن الشيء السابغ كثير فيه مايتخذ منه من سَرْد أو شُقَق أثواب . ثم شاع ذلك حتى ساوى الحقيقة فقيل سوابغ النعم] انظر التحرير والتنوير ١٧٤/٢١ .

(٤) انظر : تفسير البيضاوي مع حاشيه الشهاب ٣٥٨/٧ .

ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ } (١) .

٩ – في إثبات أن عقاب الذين يجادلون في آيات الله سيكون كعقاب الذين جادلوا قبلهم فيها (٢) . قال تعالى { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } (٣) .

١٠– في مقام التنديد بالمجادلين وذمهم (٤) .

قال تعالى : { ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ

---

(١) سورة غافر آية (٤) .

[قوله { مايجادل في آيات الله } أي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق] تفسير أبي السعود ٢٦٦/٧ ؛ وانظر تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٣٥٨/٧ قوله { فلا يغررك تقلبهم في البلاد } فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في النعم إنما هو استدراج. (المغرور) : ظن أحد شيئاً حسناً وهو بضده يقال غرك إذ جعلك تظن السيء حسناً ويكون التغرير بالقول أو بتحسين صورة القبيح . (والتقلب) اختلاف الأحوال وهو كناية عن تناول محبوب ومرغوب .

والمراد : لا يوهمنك تناولهم مختلف النعماء واللذات في حياتهم أننا غير مؤاخذيهم على جدالهم في آياتنا] انظر : البيضاوي مع حاشية الشهاب ٣٥٨/٧ . تفسير أبي السعود ٢٦٦/٧ ؛ التحرير والتنوير ٨٣/٢٤، ٨٤ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٣٥٨/٧ ؛تفسير أبي السعود ٢٦٦/٧ ؛ التحرير والتنوير ٨٤/٢٤ .

(٣) سورة غافر آية (٥) .

قوله (فكيف كان عقاب) تقرير فيه تعجيب والمراد أن آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضاً لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة] انظر مراجع التفسير السابقه .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ١٤١/٢٤ .

مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } (١) .

١١- وفي مقام التنديد بالمجادلين والكشف عما تكنُّه صدورهم من أسباب الجدل بغير الحق (٢) . قال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} (٣) .

---

(١) سورة غافر ايه (٣٥) .

قوله (بغير سلطان) بغير حجه بل اما بتقليد أو بشبهة داحضة) البيضاوي مع حاشية الشهاب ٣٧١/٧ .

وقوله (أكبر مقتاً عند الله) كبر بمعنى عظم وساء . والمقت : شدة البغض وهو كناية عن شدة العقاب على ذلك من الله، وكونه مقتاً عند الله تشنيع له وتفظيع] انظر التحرير ١٤٣/٢٤ .

قوله (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) .

[الطبع : الختم ، والمتكبر ذو الكبر المبالغ فيه، ولذلك استعيرت صيغة التكلف .

والجبر : الذي يكره الناس على مالايحبون عمله لظلمه] . انظر التحرير والتنوير ١٤٤/٢٤ .

(٢) انظر:تفسير أبي السعود ٢٨١/٧ ؛ السراج المنير٣/٤٨٩ ؛ التحرير والتنوير ١٧٢/٢٤ .

(٣) سورة غافر آيه (٥٦) .

قوله (إن في صدورهم إلاّكبر) صدورهم : أي قلوبهم وإنما أطلق الصدور على القلوب مجازاً بعلاقة الحلول . وفي ذكر الصدور دون القلوب . قال الخطيب الشربيني [إشعار بعظم الكبر فإنه قد ملأ القلوب حتى فاض وشغل الصدور التي هي مساكنها] والكبر : عظمة يجدونها في أنفسهم، والكبر من الإنفعالات النفسية وهو إدراك الإنسان خواطر تشعره بأنه أعظم من غيره، فلا يرضى بمساواته فضلاً عن متابعته] .

انظر : البيضاوي ٣٧٨/٧ ؛ السراج المنير ؛ التحرير والتنوير ١٧٣/٢٤ .

قوله (ماهم ببالغيه) من البلوغ وهو الوصول ويطلق على نوال الشيء وتحصيله مجازاً .

١٢ - في مقام التقرير والتعجب من أحوال المجادلين والتشنيع عليهم(١) قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ، ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِٱلْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ } (٢) .

١٣ - في مقام تهديد المجادلين في آيات الله وتأكيد العذاب لهم قال تعالى: { وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ } (٣) .

* * *

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢٤٨/٧ ؛ التحرير والتنوير ٢٠٠/٢٤ .

(٢) سورة غافر آية (٦٩ - ٧١) .

قوله (ألم تر) (الإستفهام مستعمل في التقرير وهو منفي لفظاً والمراد به التقرير على الإثبات) التحرير والتنوير ٢٠٠/٢٤

والمعنى (انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها والزاجرة عن الجدال فيها كيف يعرضون عنها مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها وإنتفاء الصوارف عنها بالكلية) تفسير أبي السعود ٢٨٤/٧ ؛ التحرير والتنوير ٢٠١/٢٤ .

(٣) سورة الشورى آية (٣٥) .

من النصوص السابقة تجلت الحقائق الآتية :

١ - الجدل نزعة فطرية في كل إنسان لايمكن أن يخلو منها بشر، وإن النفس البشرية مجبولة على حب الدفاع عنها، وتقرير مطالبها، وإيضاح أبعاد مقاصدها، بصرف النظر عن نوع مطالبها ومقاصدها إن كان في الحق أم في الباطل وقد قرر القرآن ذلك في قوله تعالى : { وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } ولا يتخلى الإنسان عن الجدل حتى في يوم القيامة كما دل عليه قوله تعالى : { يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا } وقوله صلى الله عليه وسلم « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات أما عرضتان فجدال ومعاذير » إلاَّ أن الجدل إذا كان على وجه دفع الحق، وتلبيسه بالباطل عناداً وتكبراً عن الحق وإتباعه، وطمعاً في الرياسة والقيادة ونحوه فإنه يترتب عليه كثير من المساوئ والأضرار في الدنيا والآخرة (١) .

٢ - أن الجدل بغير حجة أو دليل هو جدل بالباطل وهو الذي وصفه الله تعالى بأنه جدل بغير سلطان ولا هدى ولا كتاب منير .

٣ - أن الجدل الباطل سبب هلاك الأمم السابقة وسبب ضلالهم .

٤ - أن الجدل آفة فتاكة بقوى الإنسان تلحق به خسائر في الدنيا والآخرة .

من الاضرار الدنيوية :

(١) وصم المجادلين بصفة الكفر التي هي أمقت شيء إلى الله تعالى وإلى المؤمنين الذين هم مظاهر الخير في الأرض في مواضع عديدة من القرآن منها :

أ - قول الله تعالى { وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ }

ب - قول الله تعالى { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا } .

---

(١) انظر مناهج الجدل (٣١) .

(٢) الحرمان من محبة الله عز وجل والتي هي أمل كل مؤمن وذلك مادل عليه قوله تعالى { وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا } والحرمان من محبة الله حرمان من رحمته عز وجل .

(٣) أن المجادل بالباطل متبع لقائد لايقود إلاّ إلى الضلال ولايرشد إلاّ إلى عذاب السعير وهو الشيطان الرجيم وذلك مادل عليه قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } .

(٤) استحقاق المجادل في آيات الله بالباطل الختم على قلبه وذلك مادل عليه قوله تعالى : { كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } .

(٥) مقت الله عز وجل ومقت المؤمنين وذلك مادل عليه قوله تعالى : { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا } .

(٦) وصم المجادل في آيات الله بالضلال لنفسه ولغيره وذلك مادل عليه قوله تعالى : { ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ } .

وقوله صلى الله عليه وسلم « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا قوله تعالى : { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } » فما كان وقوعهم في الضلال الا بسبب الجدل .

(٧) التشنيع على المجادل في آيات الله بغير علم ولا برهان وبيان أن هذا لا يصدر إلا من إنسان متكبر وذلك مادل عليه قول الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ } .

(٨) وصم المجادل في آيات الله بأنه ألد أعداء الله كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم » .

(٩) إلحاق الخزي بالمجادل في آيات الله كما دل عليه قوله تعالى { .. لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ .. } .

الاضرار الأخروية :

١ - استحقاق المجادل لعقاب الله الذي عاقب به المجادلين في آياته من الأمم السابقة وذلك مادل عليه قوله تعالى : { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } .

٢ - إلحاق الذل والهوان بهم في عذاب جهنم إذ تقودهم ملائكة العذاب إلى النار ، والأغلال في أعناقهم والسلاسل كما دل عليه قوله تعالى : { إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ } .

٣ - تقلبهم في دركات جهنم وذلك مادل عليه قوله تعالى : { فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ } .

٤ - تهكم الملائكة بهم في عذاب جهنم وذلك مادل عليه قوله تعالى حكاية عن قيل ملائكة العذاب لهم { ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } هذا ومما يبدو لي أن الجدل في آيات الله بالباطل يشمل الجدل في أحكام الله تعالى، ومانص الشرع عليه من أحكام، ومادل عليه فتوى أهل العلم المبني على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة بالإجتهاد والقياس ونحوه من وسائل استنباط الأحكام . وعلى ذلك فإن جدل العامة ومن لايفقه في نصوص الكتاب والسنة هو من باب الجدل بالباطل في آيات الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، وهذا هو من الجدل المذموم والممقوت من الله تعالى، مذموم فاعله ومهدد بوعيد الله له بأن لامحيص من عذابه .

[٧] القسوة

القسوة في اللغة :

إسم يدل على الصلابة في كل شيء (١) .

وهي من قسا يقسو قَسْواً وقُسُواً (٢) .

ومن المجاز : القسوة بمعنى غلظ القلب وأصله من حجر قاس (٣)

يقال : قسا قلبه قسوة وقساوة وقساء بالفتح والمد غلظ القلب وشدته (٤)

قال ابن فارس : [القاف والسين والحرف المعتل يدل على شدة وصلابة من ذلك الحجر القاسي والقسوة غلظ القلب وهي من قسوة الحجر] (٥) .

ويقال : درهم قسي أي رديء (٦) .

قال الجوهري : [وهو ضرب من الزيوف أي فضة صلبة رديئة ليست بلينة وجمعه قسيان مثل صبي وصبيان . ودراهم قسيّة وقسيّات .

قال أبو زبيد الطائي :

لها صواهل في صم السلام كما .٠. صاح القسيات في أيدي الصياريف (٧)

واستعمل في الأزمنه يقال عام قسي ذو قحط (٨) .

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ٤٤/٣ ؛ تهذيب اللغة ٢٢٥/٩ ؛ لسان العرب ١٨٠/١٥ .

(٢) انظر جمهرة اللغة ٤٤/٣ .

(٣) انظر : مقاييس اللغة ٨٧/٥ ؛ أساس البلاغة (٣٦٦) . المفردات ٤٠٤

(٤) انظر : الصحاح ٢٤٦٢/٦ ؛ لسان العرب ١٨١/١٥.

(٥) مقاييس اللغة ٨٧/٥ .

(٦) انظر : الصحاح ٢٤٦٢/٦ وانظر : أساس البلاغة ٣٦٦ ؛ لسان العرب ١٨١/١٥

(٧) الصحاح ٢٤٦٢/٦ وانظر : أساس البلاغة ٣٦٦ ، لسان العرب ١٨١/١٥ .
الشعر لأبي زبيد الطائي والضمير للمساحي التي حفر بها قبر عثمان رضي الله عنه .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٢٢٥/٩ ؛ الصحاح ٢٤٦٢/٦ ؛ أساس البلاغة ٣٦٦ ؛ لسان العرب ١٨١/١٥.

قال ابن منظور [قال الراجز : ويطعمون الشحم في العام القسي

قدماً إذا ما أحمر آفاق السمى

وأصبحت مثل حواشي الأتحمي] (١) .

والعام القسي الشديد الذي لا مطر فيه ، وعشية قسية إذا كانت باردة وليلة قاسية شديدة الظلمة (٢) .

نخلص من ذلك : بأن القسوة في لغة العرب تطلق على الصلابة في كل شيء ، وعلى الشيء الرديء ومن المجاز استعماله في وصف الإنسان بالقسوة . واستعماله في الأزمنة .

القسوة في استعمالات القرآن والسنة :

استعملت في القرآن الكريم والسنة النبوية بمعنيين :

الأول : غلظ القلوب (٣) .

ومنه قول الله تعالى{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً }(٤)

وقوله تعالى{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } (٥) .

وقوله عز وجل { فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ } (٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد شيء من الله القلب القاسي » (٧) .

---

(١) لسان العرب ١٨١/١٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٢٢٥/٩ ؛ مقاييس اللغة ٨٧/٥ ؛ الصحاح ٢٤٦٢/٦ ؛ أساس البلاغة ٣٦٦ ؛ لسان العرب ١٨١/١٥ .

(٣) انظر : المفردات (٤٠٤) ؛ بصائر ذوي التمييز ٢٧٠/٤ .

(٤) سورة البقرة آية (٧٤) .

(٥) سورة المائدة آية (١٣) .

(٦) سورة الحديد آية (١٦) .

(٧) ت : ٦٠٧/٤ ك الزهد باب (٦١) . وقال عقبه (هذا حديث حسن غريب)

قال ابن منظور [قال ابن إسحاق : تأويل قست في اللغة غلظت ويبست وعست ، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه] (١) .
وقال السجستاني [قلب قاس أي صلب يابس جاف عن الذكر غير قابل له] (٢) .

ثانياً : الشيء الردىء المرذول :

ومما ورد فيه ماذكره ابن الأثير عن الصديق رضي الله عنه في خطبته قال [فهو كالدرهم القسي] ، أي الدرهم الرديء (٣) .
ومنه حديث الشعبي لأبي الزناد [تأتينا بهذه الأحاديث قسية وتأخذها منا طازجة ، أي تأتينا بها رديئة وتأخذها خالصة منتقاة] (٤) .

* * *

---

(١) لسان الغرب ١٥/١٨١ . وانظر زاد المسير ١/١٠٢ ذكره ابن الجوزي من قول إبراهيم بن السري .

(٢) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن على حاشية تفسير المهايمي ٢/١٠٣

(٣) النهاية ٤/٦٣ .

(٤) النهاية ٤/٦٣ .

أقول : قوله تأتينا رديئة . يقصد : أن فيها شوائب وأشياء رديئة دخيلة عليها وإلا فإنه لايصح وصف الحديث بالرديء تأدباً لأنه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

مساوىء القسوة وأضرارها في القرآن والسنة :

ورد ذم القسوة وتقريع القساة وبيان أضرارها في مواضع مختلفة وبمناسبات متعددة منها :

أولاً : في مقام التقريع والتشنيع على بني إسرائيل ووصف حالهم بعد ماراوا الآيات التي أجراها الله تعالى على يد نبيهم موسى عليه السلام (١) قال تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (٢) .

---

(١) انظر : تفسيرالطبري المحقق ٢/٢٣٣ ؛ زاد المسير ١/١٠٢ ؛ الواضح ١/٢٦ .

(٢) سورة البقرة آية (٧٤) .

قوله تعالى { ثم قست قلوبكم من بعد ذلك } [أي جفت قلوبكم وغلظت وعست من بعد أن أحيا المقتول لهم الذي اِدارأو في قتله فأخبرهم بقاتله وبالسبب الذي من أجله قتله] انظرتفسيرالطبري المحقق ٢/٢٣٣ .

قوله (فهي كالحجارة أو أشد قسوة } بمعنى أن قلوبكم صلبت بعد إذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه - عن الخضوع له والإذعان لواجب من الله عليكم فقلوبكم كالحجارة صلابة ويبسا وغلظا وشدة] انظرتفسيرالطبري ٢/٢٣٤ .

وقوله (أو أشد قسوة) قال أبو جعفر [فهي أوجه في القسوة إما أن تكون كالحجارة أو أشد على تأويل أن منها كالحجارة ومنها أشد قسوة] أنظر تفسير الطبري ٢/٢٣٧ .

قوله (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) أي من الحجارة حجارة يتفجر منه الماء الذي تكون منه الأنهار .قوله (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) أي تتصدع فتكون عيناً نابعة وأنهاراً جارية .

قوله (وإن منها لما يهبط من خشية الله) بمعنى وإن من الحجارة مايتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفح من خوف الله وخشيته .

[وإنما وصف الله تعالى الحجارة بما وصفها به إخباراً بأن من الحجارة ماهو ألين من قلوبهم لما يدعون إليه من الحق] انظر:تفسيرالطبري ٢/٢٣٩ -٢٤٠ .

ثانياً : في مقام ذم نقض الميثاق وبيان أنه سبب لقسوة القلب حيث جرت سنة الله أن تؤثر الأعمال في النفوس وتقسي القلوب (١) قال تعالى { فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (٢) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ١٠/١٢٥ ؛ تفسير الفخر الرازي ١١/١٨٦ ؛ السراج المنير ١/٣٦٢ .

(٢) سورة المائدة آية (١٣) .

- قوله { فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم } [الباء سببيه ومامزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس أي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر (لعنّاهم) أي طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم قردة وخنازير يراد أذ للناهم بضرب الجزية عليهم] أبو السعود ٣/١٦ .

- وقوله { وجعلنا قلوبهم قاسية } أي غليظة يابسة عن الإيمان بالله والتوفيق لطاعته منزوعة منها الرحمة فلا تتأثر بالمواعظ والنذر] .

انظر : تفسيرالطبري المحقق ١٠/١٢٧ ؛ البيضاوي مع حاشية الشهاب ٣/٢٢٥ التحرير والتنوير ٦/١٤٣ .

- وقوله { يحرفون الكلم عن مواضعه } قال البيضاوي (استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والإفتراء عليه] تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب .

- وقوله{ ونسوا حظاً مما ذكروا به}تركوا نصيباً مما أمرو به في كتابهم وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم}، تفسيرالفخرالرازي ١١/١٨٧ وانظر تفسيرالطبري المحقق ١٠/١٢٩.وقوله { ولاتزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً } قال أبو جعفر الطبري :[يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولاتزال يامحمد تطلع على اليهود الذين أنبأتك نبأهم من نقضهم ميثاقي ونكثهم عهدي مع ابادي عندهم ونعمتي عليهم على مثل ذلك من الغدر والخيانه] إلا قليلاً منهم - وهم الذين آمنوا كعبد الله ابن سلام وأصحابه .

انظرتفسيرالطبري المحقق ١٠/١٣٠ وانظر تفسير الفخر الرازي ١١/١٨٧ .

ثالثاً : في مقام ترهيب المشركين وتحذيرهم من أن يسلكوا سبيل الأمم السابقة في تكذيبها برسلها، أخبر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أُخِذوا بالشدائد فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم وزيّن لهم الشيطان ضلالتهم فأصروا عليها (١) قال تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٢) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٣٥٤/١١ زاد المسير ٣٨/٣ ؛ نظم الدرر ١٣/٧ ؛ التحرير والتنوير ٢٢٦/٧ .

(٢) سورة الأنعام آية (٤٣) .

قال أبو جعفر الطبري [يقول تعالى ذكره . متوعداً لهؤلاء العادلين به الأصنام – ومحذرهم أن يسلك بهم إن هم تمادوا في ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم في تعجيل الله عقوبته لهم في الدنيا ومخبراً نبيه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من تكذيب الرسل] انظر : تفسير الطبري المحقق ٣٥٤/١١

– قوله (لعلهم يتضرعون) أي (فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلي ويخلصوا لي العبادة ويفردوا رغبتهم إلي دون غيري بالتذلل منهم لي بالطاعة والإستكانة منهم إليّ بالإنابة) تفسير الطبري المحقق ٣٥٥/١١ .

– قوله (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) بمعنى :[فهلا إذ جاءهم بأسنا (العذاب) تضرعوا إلى الله ليكشف عنهم البأس والعذاب [لولا] إذا دخلت على الماضي أفادت اللّوم والتوبيخ والعرب إذا أوّلت لولا فعلاً فعلتها استفهاماً وبذلك كانت لولا في مقام الإستفهام الإنكاري توبيخاً لهم على عدم تضرعهم وخضوعهم لله عز وجل حين أخذهم بالشدة إذ من شأن الشدائد أن تربي النفوس وتهذب الأخلاق وترقق القلوب] .

– انظر : تفسير الطبري المحقق ٥٥٢/٢ ؛ معاني القرآن للفراء ٣٣٤/١ ؛ حاشية الجمل ٣٠/٢ .

=

رابعاً: في بيان أن فتنة الشيطان تصيب أصحاب القلوب المريضة والقلوب القاسية (١) قال تعالى { لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } (٢) .

= - قوله (ولكن قست قلوبهم) بمعنى أنهم أقاموا على تكذيبهم رسلهم وأصروا على ذلك عناداً وتكبراً لقسوة قلوبهم فهي لاتتأثر ولاتستجيب]. انظر : الطبري المحقق ١١/٣٥٧ ؛ التحرير والتنوير ٧/٢٢٨ .

- قوله (وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون) بمعنى[حسّن لهم الشيطان قسوة قلوبهم،وأغراهم بالإستمرار على آثامهم ومعاصيهم]. انظر تفسير الطبري المحقق ١١/٣٥٧ ؛ التحرير والتنوير ٧/٢٢٩ . وانظر معنى (زيّن) في روح المعاني ٧/١٥١ ؛ التحرير ٣/١٧٨ .

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ١٢/٥٥ ؛ زاد المسير ٥/٤٤٣ ؛ نظم الدرر ١٣/٧٢ ؛ التحرير والتنوير ١٧/٣٠١ .

(٢) سورة الحج آية (٥٣) .

- قوله[(ليجعل مايلقى الشيطان) الجعل هنا جعل نظام ترتب المسببات على أسبابها ويلقى من الإلقاء،وحقيقته رمي الشيء من اليد،واستعير هنا للوسوسة وتسويل الفساد،ومايثيره الشيطان من الشبه وزخارف القول تشبيهاً للتسويل بإلقاء شيء من اليد بين الناس).انظر: تفسير أبي السعود ٦/١١٤ ؛ فتح القدير ٣/٤٦٢ . التحرير والتنوير ١٧/٣٠١ .

- قوله(فتنة للذين في قلوبهم مرض) فتنة : البلية والمحنة .

والذين في قلوبهم مرض : أي الذين في قلوبهم شك ونفاق فهم مترددون عن قبول الحق والإيمان به .(والقاسية قلوبهم) الجافية عن الإيمان فإنها لاتلين للحق ولاترجع إلى الصواب . قال السجستاني (قلب قاس أي صلب يابس جاف عن الذكر غير قابل له) .

انظر : نزهة النظر في غريب القرآن على حاشية تفسير المهايمي (١٠٣) تفسير أبي السعود ٦/١١٤ ؛ فتح القدير ٣/٤٦٢ .

- (الظالمين) : الواضعين أقوالهم وأفعالهم في غير موضعها . وقوله (لفي شقاق بعيد) الشقاق الخلاف والعداوة الشديدة . ووصف الشقاق بالبعد للمبالغة .

خامساً : في بيان عاقبة من لاينتفع بالأدله ولا يتاثر بها ولايستجيب لدعوة الحق والهدى (١) قال تعالى : { أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } (٢) .

سادساً: في التحذير من فتور الهمه عن ذكر الله وبيان أنه سبب لقساوة القلب (٣) قال تعالى { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ } (٤) .

سابعاً: في ذم القسوة،وغلظ القلب.أخرج البخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : [أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال : « الإيمان يمان هاهنا . ألا إن القسوة،وغلظ القلوب،في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر » (٥) .

---

(١) انظر : تفسيرالطبري غير المحقق ٢٣/٢٠٩ ؛ نظم الدرر ١٦/٤٨٥ ؛ التحرير والتنوير ٢٣/٣٨١ .

(٢) سورة الزمر آيه (٢٢) .

قوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) قال ابن عاشور [إن الله تعالى اجمل سوء حالهم بما تدل عليه كلمه (ويل) من بلوغهم أقصى غايات الشقاوة والتعاسة] . انظر : التحرير والتنوير ٢٣/٣٨١ .

[والمراد بذكر الله:القرآن.والمعنى:أن كفرهم يحملهم على كراهية مايسمعون من الدعوة إلى الإسلام بالقرآن فكلما سمعوه أعرضوا وعاندوا حتى رسخت الكراهية في قلوبهم فصارت قاسية لاتلين ولا تتأثر] انظرالتحرير والتنوير ٢٣/٣٨٢ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ٢٧/٣٩٠ .

(٤) سورة الحديد آيه (١٦) .

(٥) خ مع فتح الباري٦/٣٥٠ك بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال قال الحافظ ابن حجر [قال الخطابي : انما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ماهم فيه عن أمور دينهم وذلك يفضي إلى قساوة القلب] فتح الباري ٦/٣٥٢ .

ثامناً: في مقام الترهيب من ترك ذكر الله والترغيب في الإكثار من ذكر الله

أخرج الترمذي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي » (١) .

* * *

(١) ت : ٦٠٧/٤ ك الزهد باب (٦١) . وقال أبو عيسى (حديث حسن غريب)

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التالية :

أولاً : قسوة القلب سبب الضلال وعدم التأثر بالأدلة الموجبة للايمان،وهي سبب العناد،والإصرار على الكفر،مع تعاضد الأدلة على وجوب الإيمان بالله،وصدق دعوة رسله عليهم الصلاة والسلام،فاستحق بذلك كل من اتصف بهذه الصفة الممقوتة مقت الله عز وجل والتشنيع عليه بوصفه بأقبح الصفات وأشدها وذلك مادل عليه قول الله تعالى { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } .

بل وزيادة في التشنيع عليهم تفضيل الحجارة عليهم لما ينتفع به من خلالها كما قال تعالى { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } وذلك إشارة إلى أن الحجارة قد يعتريها التحول عن صلابتها وشدتها بالتفرق والتشقق،وهذه القلوب لن تتحول عن كفرها وجحودها وعدم انتفاعها فهي أشد وأغلظ قسوة من الحجارة مع كونها نوعاً مغايراً لنوع قساوة الحجارة (١) .

ثانياً : الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل،فإن كثرة الذنوب تفسد الفطرة، وتدنس النفوس،وتقسي القلوب،فاستحق من قسا قلبه عن التأثر والانتفاع أن يطرد من رحمة الله ويزداد قلبه قسوة فلاينتفع ولا يتأثر أبداً (٢) وذلك مادل عليه قوله تعالى : { فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } .

قال صاحب الواضح [.. وكان نقضهم الميثاق مفسداً لفطرتهم، مدنساً لنفوسهم،فإن الذنب الذي يرتكبه الإنسان يترك نكتة سوداء في القلب،فإذا كثرت المعاصي اسود القلب،وأصبح في أكنة لايصل إليه النور والهدى] (٣) .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ٥٦٢/١ ؛ الظلال ٨٠/١ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ١٤٣/١ ؛ الظلال ٨٥٩/٢ ؛ الواضح ٢١٧/١ .

(٣) التفسير الواضح ٢١٧/١ .

ثالثاً : من أضرار قسوة القلب عدم التضرع إلى الله وقت الشدائد، إذ مَن شأن الفطرة السليمة التضرع إلى الله في الرخاء والشدة، والتضرع حال الشدة أمر فطري جبلي في الإنسان ، لأنه حال شدته لا يلجأ لغير خالقه ولايستجير بسواه ليكشف عنه بأسه، إلا أن قسوة القلب تحول دون ذلك وذلك مادل عليه قوله تعالى : { فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ } وهذا دليل على أن قسوة القلب مرض ينحرف بالنفس عن السلامة والاستقامة (١) .

رابعاً: تمكين الشيطان من فتنة القلب بما يثيره من الشبهات والحجج الباطلة (٢) وذلك مادل عليه قوله تعالى : { لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ } فيجره إلى طريق الغواية والضلال الذي أقسم - إبليس - بأن يوقع فيه بني آدم حين قال فيما حكاه عز وجل عنه { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ } .

خامساً : الوصم بصفة الظلم والشقاق البعيد كما دل عليه قوله تعالى : { وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } وتسجيل الضلال المبين عليهم الذي هو أقصى غايات الشقاوة والتعاسة كما دل عليه قوله تعالى :{ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ }

سادساً : الوعيد بالويل والثبور فإن من قسا قلبه يزداد غلظة وصلابة إذا ذكر الله فاستحق بذلك الوعيد من ا لله تعالى في قوله { فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ } حيث أن ذكر الله سبب لإطمئنان القلب السليم المؤمن بالله تعالى كما ذكر ذلك عز وجل في قوله تعالى { ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ } .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ٢٢٦/٧ ؛ الظلال ١٠٨٨/٢ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢٩٨/١٧ ؛ الظلال ٢٤٣٢/٤ .

إلاَّ أن قسوة القلب سبب للحرمان من هذا الاطمئنان والسعادة بنوَر الحق والهدى .

سابعاً: الوصم بصفة الفسق والخروج عن أمر الله .

فإن البعد عن ذكر الله والتهاون فيه سبب لقسوة القلب التي تدفع بصاحبها إلى الخروج عن أمر ربه، وارتكاب المعاصي، فاستحق أن يوصم بالفسق للدلالة على بلوغ درجة المقت عند الله عز وجل كما دل عليه قوله تعالى : { وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } (١) .

ثامناً : الخسارة في دار القرار .

فان من أعظم خسائر القسوة وأضرارها الخسارة في دار القرار بالبعد من الله وحرمانه رحمته عز وجل وتلك أعظم خسارة وأشد عقوبة وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « أبعد الناس من الله القلب القاسي » (٢).

---

(١) سورة الحديد آية (١٦) .

(٢) ت : ٦٠٧/٤٠ ك الزهد باب (٦١) .

الفصل الثالث [أمراض الضعف]

[أ] الجبـــن

الجبن في لغة العرب :

يطلق للدلالة على معان

الأول : ضد الشجاعة والشجاع (١)

والجُبْنُ صفة الجبان . وقد جَبَن يَجْبُن وجَبُنَ جبْناً وجُبُناً وجبانة . واجبنه وجده جبانا أو حسبه كذلك (٢) .

وهو يُجَبَّن أي يرمي بذلك (٣) .

والجبان هو الذي يهاب المقدم على كل شيء ليلاً أو نهاراً (٤) .

قال الشاعر :

جهلاً علينا وجبناً على عدوهم .·. وبئس الخلتان الجهل والجبن (٥)

قال الزمخشري : [ومن المجاز فلان شجاع القلب جبان الوجه أي حيي] (٦)

الثاني : الجُبْن الذي يؤكل

وربما ثقلت نونه مع ضم الباء وفيها التخفيف (٧) .

والجبنة أخص منها . وقد تَجَبَّن صار كالجبن (٨) .

قال الفيُّومي [فيها ثلاث لغات رواها أبو عبيدة عن يونس بن حبيب سماعاً عن العرب أجودها سكون الباء والثانية ضمها للإتباع والثالثه وهي أقلها التثقيل] (٨) .

---

(١) لسان العرب ٨٤/١٣ وانظر : النهاية في غريب الحديث ٢٣٧/١ .
(٢) انظر : تهذيب اللغة ١٢٣/١١ ؛ الصحاح ٢٠٩٠/٥ ؛ لسان العرب ٨٤/١٣ .
(٣) لسان العرب ٨٤/١٣ . القاموس المحيط ٢٠٨/٤
(٤) انظر: المخصص ٦١/٣ ؛ لسان العرب ٨٤/١٣ ؛ تاج العروس ١٥٩/٩ ؛ القاموس المحيط ٢٠٨/٤ .
(٥) الشاعر : قضب ابن أم صاحب . انظر : جمهرة اللغة ٢١٤/١ .
(٦) أساس البلاغة (٥١) .
(٧) انظر : جمهرة اللغة ٢١٤/١ ؛ مقاييس اللغة ٥٠٣/١ ؛ المفردات (٨٧) القاموس ٢٠٨/٤ . (٨) المصباح المنير (٩٠) .

الجبن في استعمالات القرآن والسنة :

لم يرد استعماله في القرآن الكريم وإنما ورد استعماله في السنة في المعاني التالية :

أولاً : ضد الشجاعة والشجاع : (١)

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وهو محتضن أحدإبني بنته « إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون »(٢) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « الولد مبخلة مجبنة » (٣)

ومنه وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد بن سفيان قال [.. ولا تغلل ولا تجبن] (٤) .

ومنه قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه [.. والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء فالجبان يفر عن أبيه وأمه ..] (٥) .

الثاني : الجبن المأكول :

ومنه ماورد في سنن الترمذي وابن ماجة أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء . فقال : « الحلال ما أحل الله والحرام ماحرم الله وماسكت عنه فهو مما عفا عنه » (٦) .

نستنتج مما سبق أن الجبن ورد في استعمالات السنة في المعاني التي وردت في لغة العرب والمعنى الذي هو مجال هذا البحث والدراسة هو المعنى الأول وهو إهاب المقدم على كل شيء وهذا مرض لما يؤدي إليه من ضعف وخوف ولما يترتب عليه من أضرار ومساوىء كما سيتضح بعد الدراسة إن شاء الله .

---

(١) النهايه في غريب الحديث ٢٣٧/١ .

(٢) ت : ٣١٧/٤ ك البر والصله باب ماجاء في حب الولد .

(٣) جه : ٣٠٩/٢ ابواب الآداب باب الوالد والاحسان الى البنات .

(٤) ط : ٤٤٨/٢ ك الجهاد باب النهي عن قتل الولدان في الغزو .

(٥) ط : ٤٦٣/٢ ك الجهاد باب ماتكون فيه الشهاده .

(٦) ت : ٢٢٠/٤ ك اللباس باب ماجاء في لبس الفراء . وقال عقبه (حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا

جه : ٢٥٢/٢ ابواب الاطعمه باب أكل الجبن والسمن .

الجبن وأضراره في نصوص السنة :

أولاً : للتحذير من الخصال الذميمة التي تضعف العبد، وتبعده عن طاعة ربه، وتقربه من معاصيه، والتي قد تحوّل ماهو نعمة من الله على العبد إلى نقمة - والعياذ بالله من ذلك - .

١ - ورد عن خولة بنت حكيم أنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد إبني بنته وهو يقول « والله إنكم لتجهلون وتجبنون وتبخلون وإنكم لمن ريحان الله » رواه الحميدي (١) والترمذي (٢) بدون ذكر القسم ورواه أحمد (٣) تاماً ولم يذكر (لتجهلون) .

---

(١) مسند الحميدي ١/١٦٠ .

(٢) ت : ٤/٣١٧ ك البر والصلة باب ماجاء في حب الولد .
قال أبو عيسى [حديث ابن عيينة عن إبراهيم ابن ميسرة لا نعرفه إلا من حديثه ولانعرف لعمر بن عبدالعزيز سماعاً من خولة] .

(٣) حم المحقق ٦/٤٠٩ وسند الحديث [سفيان عن إبراهيم بن ميسرة عن أبي سويد عن عمر بن عبدالعزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم ..] .
قال البنا الساعاتي في الفتح الرباني تعقيباً على تعليق الترمذي [قال الحافظ في تهذيب التهذيب في ترجمته (روي عن خولة بنت حكيم مرسلاً) وعلى هذا فحديث عمر بن عبدالعزيز هذا عن خولة منقطع والله أعلم] .
انظر : الفتح الرباني ١٩/٤٤ .
- قوله [لتجهلون وتجبنون وتبخلون] بصيغة التفعيل بمعنى أنكم تحملون آباءكم على البخل والامتناع عن الإنفاق في سبيل الله وآداء حقوق الله فيه حرصاً على إبقائه لولده . وإن الولد يحمل أباه على الجبن وإهاب القتال خشية أن يقتل فيضيع ولده من بعده، فحفاظاً على نفسه ومهجته لتربية ولده ، كما أنه يحمل أباه للجهل على الآخرين لنصرته ظالماً أو مظلوماً، وعلى الشغل به عن العلم وإدراك فضيلته وأن يجهل مع ولده بتلاعبه حفاظاً على قلبه]
انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٣٢٢ ؛ فيض القدير ٦/٣٧٨ .
أقول: وإجتماع المؤكدات في الحديث [أن صيغة التفعيل - واسميه الجملة = =

٢ - ومنه ماورد عن علي العامري أنه جاء الحسن والحسين يسعيان إلىَ النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال « إن الولد مبخلة مجبنة » (١) .

٣ - ومنه ما ورد عن الأسود بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ حسناً فقبله ثم أقبل عليهم فقال « إن الولد مبخلة مجهلة مجبنة » (٢) .

٤ - ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الولد ثمرة القلب وأنه مجبنة مبخلة محزنة » (٣) .

الثاني : ومما ورد في ذم الجبن وبيان سوئه ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع » (٤) .

= والقسم على رواية أحمد والحميدي تفيد التحذير من هذه الخصال الذميمة ولما تؤدي إليه من النكوص وترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد في سبيل الله والجهل على الناس والاعتداء عليهم .

- قوله (وإنكم لمن ريحان الله) أي من رزق الله .

انظر : فيض القدير ٦/٢٧٨ ؛ الفائق ١/١٨٥ .

(١) جه : ٢/٢٠٩ أبواب الآداب باب بر الوالد والإحسان الى البنات .
قال المحقق الشيخ الأعظمي [قال البوصيري في الزوائد هذا إسناد صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده] .

(٢) مجمع الزوائد ٨/١٥٥ باب ماجاء في الأولاد .
وقال الهيثمي [رواه البزاز ورجاله ثقات] .

(٣) فيض القدير ٦/٣٧٨ .
أورده السيوطي وعزاه إلى أبي يعلي وقال (وكذا البزار عن أبي سعيد الخدري قال الزين العراقي وتبعه الهيثمي وفيه عطية العوفي وهو ضعيف)

(٤) مختصر سنن أبي داود ٣/٣٦٩ ؛ حم المحقق ١٦/١١٦ وقال المحقق إسناده صحيح وقال المنذري (قال محمد بن طاهر وهو إسناد متصل وقد إحتج مسلم بموسى بن علي عن أبيه عن جماعة من الصحابة) .

قوله (شر ما في الرجل) الشر : السوء والفساد وأشر ما في الرجل أسوأ =

الثالث : لبيان صفة الدعاء مايجب الإستعاذه منه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن » (١) .

= ما في الرجل من الخصال الذميمة . انظر لسان العرب ٤/٤٠٠ ؛ المصباح المنير ٣٠٩ .

قوله [شح هالع] الشح : بخل مع حرص وهو أشد أنواع البخل [انظر النهاية ٢/٤٤١ ؛ الفروق اللغوية (١٤٤)(هالع) من الهلع وهو أشد الجزع والضجر (انظر النهاية ٥/٢٦٩) .ومعناه [البخل الذي يمنع صاحبه من إخراج الحق الواجب عليه وإذا استخرج منه هلع وخرج من ذلك] انظر : معالم السنن مختصر السنن ٣/٣٦٩ ؛ إتحاف السادة المتقين ٨/١٩٤ .

قوله (جبن خالع) الشديد الذي كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه قال ابن الاثير [وهو مجاز في الخلع والمراد به مايعرض من نوازع الأفكار وضعف القلب عند الخوف] انظر النهاية ٢/٦٥ ؛ معالم السنن مع مختصر السنن ٣/٣٦٩ .

(١) خ مع فتح الباري ٦/٣٦ ك الجهاد باب مايتعوذ به من الجبن .

م ٤/٢٠٧٩ ك الذكر والدعاء باب . مايتعوذ به من الجبن .

قوله (العجز) أي عدم القدرة على الطاعة والعبادة وعدم القدرة على تحمل المصائب والمحن .

قال القاري [هو ضد القدرة وأصله التأخر عن الشيء مأخوذ من العجز وهو مؤخر الشيء وصار في العرف اسماً للقصور عن فعل الشيء ثم استعمل في مقابلة القدرة وأشتهر فيها] .

انظر : مرقاة المفاتيح ٥/٢٢٥ ؛ إتحاف السادة المتقين ٥/٨٢ .

- (الكسل) التثاقل عن الأمر المحمود وعدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع وجود القدرة عليه .

انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣/١٣٧ ؛ مرقاة المفاتيح ٥/٢٢٥ .

- (الجبن) هو الخوف وضعف القلب،ومنه الخوف عند القتال،ومنه عدم الجرأة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم التوكل على الله في الرزق وإهاب الوقوف أمام العصاة،والأخذ على يد الظالمين وردعهم عن ظلمهم، ونصرة المظلوم،ومنه عدم الإقدام على مخالفة النفس والشيطان ونحوه من ترك الواجبات التي يجب الإقدام عليها.(انظر مرقاة المفاتيح ٥/٢٢٥ ؛ دليل الفالحين ٧/٣٠٧). قال الزبيدي [الجبن بضم فسكون هيئة حاصلة للقوة الغضبية لها يحجم عن مباشرةماينبغي] انظر: إتحاف السادة ٥/٨٢ .

واستعاذة النبي صلى الله عليه وسلم مما عصم منه ليلتزم خوف الله عز وجل وإعظامه وإجلاله والإفتقار إليه وليقتدي به في ذلك وليبين صفة الدعاء ومايستحق الإستفاده منه .

من النصوص السابقة تجلت الحقائق الآتية :

الجبن آفة شديدة الضرر فتاكه بقوى الإنسان،فهي تضعف القلب وتنحرف به عن طريق السلامة والإستقامة،فإذا تمكن الجبن من قلب الإنسان منعه من الإقدام على كل شيء،وقد يترتب على عدم الإقدام التقصير في أداء الواجبات وارتكاب المعاصي أو ارتكاب الكبائر ، وقد ثبت من الأضرار التي يسببها الجبن في الدنيا والآخرة من خلال الأحاديث السابقة مايلي :

أولاً : إن حب الأولاد سبب يدفع الآباء للجبن فإذا لم يعط الإنسان النعمة حقها من الشكر والطاعة للمنعم أصبحت سبب نقمة وسخط عليه وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث « إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله » أي من رزقه .

ثانياً : التحذير من الامتناع عن الإنفاق في سبيل الله ومن الجهل ومن النكوص عن الجهاد في سبيل الله لأجل الولد أو المال أو النفس وذلك مادل عليه جمعه صلى الله عليه وسلم للصفات الذميمة وبيان أن سببها الأولاد كما ورد في الحديث السابق . وأيضاً دل عليه إجتماع المؤكدات في الحديث [إن – وصيغة التفعيل واسميه الجملة – والقسم على رواية أحمد والحميدي] .

ثالثاً : التحذير من الإتصاف بالصفات الذميمة والتي تحمل الرجل على عكس مايتطلب منه من التخلق بالصفات الحميدة من الكرم والشجاعة والإقدام وعدم الخوف والنكوص عن الأمور التي يجب الإقدام فيها لإثبات الحق وإظهاره .

رابعاً: إنتشار الظلم والشر والفساد في المجتمعات إذا اتصف أفرادها بصفة الجبن والبخل لما فيهما من التقصير عن القيام بالحقوق وترك الغلظة على أهل

المعاصي والتشديد في نهيهم إذ بشجاعه النفس يستطيع الإنسان أن يقيم الحقوق فيحق الحق ويبطل الباطل ويغلظ على العصاة وينصر المظلوم ويؤدي حقوق المال فيواسي منه المحتاج ويؤدي حقوق الله فيه (١) .

خامساً : الجبن يؤدي إلى عذاب الآخرة واستحقاق عقاب الله ونقمته لأنه بإهابه وخوفه وضعف قلبه وعدم إقدامه قد يترك من الواجبات مايترتب على تركها من المحرمات مايستحق عليها العقاب فقد يفر من الزحف فيدخل تحت وعيد الله { وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ .... فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ } وربما يفتتن في دينه فيرتد لجبن أدركه وخوف على مهجته من الأسر والعبودية ونحوه (٢) .

---

(١) انظر : شرح الأُبي والسنوسي على صحيح مسلم ١٣٢/٧ .

(٢) انظر : عمده القارىء ١١٩/١٤ .

[٣] الجــزع

الجزع في لغة العرب :

الجَزَع بالتحريك نقيض الصبر (١) .

قال ابن فارس [.. والجَزَعُ نقيض الصبر وهو انقطاع المِنّة عن حمل مانزل به ..] (٢)

وجَزِع بالكسر يَجزَع جَزَعاً فهو جازع وجَزِعٌ وجَزُعٌ وجزوعٌ وجزاع .

والجزوع ضد الصبور على الشر (٣) .

وقد جزع من الشيء بالكسر وأجزعه غيره . أو إجزاعه الأمر (٤) .

قال الأعشى :

فإن جزعنا فإن الشر أجزعنا .:. وإن صبرنا فإنا معشر صبر (٥)

قال الراغب [وأصل الجزع قطع الحبل من نصفه يقال جزعته فانجزع ولتصور الانقطاع منه قيل جزع الوادي لمنقطعه] (٦) .

الجزع في الإصطلاح :

حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه وهو أبلغ من الحزن لأن الحزن عام (٧) .

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ٨٩/٢ ؛ تهذيب اللغة ٢٤٣/١ ؛ الصحاح ١١٩٦/٣.

(٢) مقاييس اللغة ٤٥٣/١ .

(٣) انظر تهذيب اللغة ٨٩/٢ ؛ لسان العرب ٤٧/٨ .

(٤) انظر : الصحاح ١١٩٦/٣ ؛ المحكم ١٨١/١. لسان العرب ٤٧/٨ ؛ القاموس المحيط ١٣/٣ .

(٥) انظر : المحكم ١٨١/١ .

(٦) المفردات (٩٢) .
وانظر : أساس البلاغه ٥٨ ؛ لسان العرب ٤٧/٨ ؛ القاموس المحيط ١٢/٣ .

(٧) انظر المفردات (٩٢) ، الكليات ١٧٤/٢ .

الجزع في استعمالات القرآن والسنة :

أولاً : ورد استعمال الجزع بمعنى نقيض الصبر في مواضع مختلفة :

منها قوله تعالى { سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ } (١) .

وقوله تعالى { إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا } (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه « قل لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة » قال : لولا أن يعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ } (٣) .

وما ورد عن جابر رضي الله عنه (.. فاجتووا المدينة فمرض فجزع ..) (٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم « كان فيمن قبلكم رجل به جزع فجزع .. » (٥).

ثانياً : ورد في السنة بمعنى التسلية ومايزيل الجزع :

ومنه ماورد عن المسوّر بن مخرمة قال : [لمّا طعن عمر جعل يألم . فقال له ابن عباس – وكأنه يجزعه يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ..] (٦) .

---

(١) سورة إبراهيم آية (٢١) .

(٢) سورة المعارج آية (١٩ – ٢٠) .

(٣) م : ٥٥/١ ك الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت مالم يشرع في النزع . . سورة القصص آية (٥٦) .

(٤) م : ١٠٩/١ ك الإيمان باب الدليل على أن قاتل نفسه يكفر .

(٥) خ مع فتح الباري ٤٩٦/٦ ك الأنبياء باب ماذكر عن بني إسرائيل .

(٦) خ مع فتح الباري ٤٣/٧ ك فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال ابن حجر : [يجزعه : بالجيم والزاى الثقيلة : أي ينسبه الى الجزع ويلومه عليه أو معنى يجزعه يزيل عنه الجزع وهو كقوله تعالى : {حتى إذا فزع عن قلوبهم } أي أزيل عنهم الفزع . ومثله مرضه إذا عنى إزالة مرضه] فتح الباري ٤٣/٧ . وانظر النهاية قال ابن الأثير .[أي يقول له مايسليه ويزيل جزعه وهو الحزن والخوف] ٢٦٩/١ .

تبين مما سبق أن الجزع نقيض الصبر . كما تبين من تعريف الإصطلاح أنه يدل على ضعف يلحق النفس وبالتالي تضعف القوى الإنسانية عن تحمل ما ألم بها من الشدائد والمصائب، وذلك مناف لتمام الإيمان، وهذا النوع من الجزع هو المقصود في بحثي لما يترتب عليه من مساوىء وأضرار كما سيتضح من نصوص القرآن والسنة إن شاء الله تعالى .

أضرار ومساوىء الجزع في نصوص القرآن والسنة :

أولاً : في مقام الإخبار عما جبل عليه الإنسان من الخصال الذميمة التي تخامر النفوس وقد تغلبها (١) قال تعالى : { إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا } (٢) .

---

(١) انظر : نظم الدرر ٢٠/٤٠٠ ؛ السراج المنير ٤/٣٨٤ .

(٢) سورة المعارج آية(١٩ ؛ ٢٠) .

لمَّا أخبر عز وجل عن حال الخلق يوم القيامة وحالة العرض بين يديه كان من العجب إقبال الإنسان على الدنيا بعد أن يسمع ذلك التفصيل من هول ذلك اليوم العظيم لذلك أعقبه عز وجل ببيان علة إقبال الإنسان على الدنيا وملذاتها وذلك لما جبل عليه من الحرص حال تقلبه في النعم ومن الجزع حال إصابته بالنقم وذلك في مقام الذم والتقريع على هاتين الصفتين .

قوله (إن الإنسان خلق هلوعاً) المراد بالإنسان جنس الإنسان وعبر به لما له من الأنس بنفسه، ورؤية محاسنه، ونسيانه لربه، ولدينه، ولذنبه ، والتوكيد للإهتمام بالخبر، ولفت الأنظار إليه، والتعريف بالحذر منه . وقوله (خلق هلوعاً) أي جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع وهو أفحش الجزع المفسر في الآيات بعدها . وليس المراد من قوله (خلق هلوعاً) أنه متصف بهذه الصفات وقت خلقه، ولا وقت ولادته، لأن الله لايذم أفعاله وإنما المراد الأفعال الظاهرة من القول، والفعل، فالإنسان يمكنه أن يتداركها ويمنعها من الظهور، ولا يقتصر نظره على الأمور العاملة في الدنيا لأن ذلك مناف للرضا بالقضاء والقدر].

انظر: زاد المسير ٨/٣٦٣؛ تفسير الفخر الرازي ٢٩/١٢٩ ؛ نظم الدرر ٢٠/٤٠٠ ؛ السراج المنير ٤/٣٨٤ . حاشية الجمل ٤/٤٠٦ ؛ التحرير والتنوير ٢٩/١٦٧=

ثانياً : ومما ورد في بيان سوء عاقبة الجزوع وذلك لأن الإنسان إذا جزع قدَ يرتكب فعلاً محرماً يستحق العقاب المترتب عليه من ذلك .

(أ) قتل النفس :

١ - ماورد عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ومعه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص له فقطع بها براجمه فشخبت يداه حتى مات فرآه الطفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيئته حسنة ورآه مغطياً يديه فقال له : ما صنع بك ربك ؟ قال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : مالي أُراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل لي : لن نصلح منك ما أُفسدت .

فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم وليديه فاغفر » (١) .

= قوله { وإذا مسه الشر جزوعاً } بمعنى إذا أصابه أُدنى درجات الضر من مرض أو فقر ونحوه لم يقابل ذلك بما يجب من الصبر وإنما يصيبه الفزع والقلق والإضطراب وكأن قلبه يكاد ينخلع من شدة الرعب واليأس من حصول الخير بعد ذلك وانقطاع أَمله ورجاءه في الفرج . وقد آثر التعبير (بالمس) دون التعبير بالإصابة للدلالة على شدة الجزع لأن المس أقل تمكناً من الإصابة وهو أقل درجاتها .

- انظر : تفسير ابن كثير ١١٧/٧ ؛ نظم الدرر ٤٠٠/٢٠ ؛ السراج المنير ٣٨٤/٤ ؛ الكليات ١٧٥/٤ .

(١) م : ١٠٩/١ ك الإيمان باب الدليل على أن قاتل نفسه لايكفر .

- قوله (فاجتووا) بمعنى كرهوا المقام بها لضجر ونوع من سقم قال النووي [قال أبو عبيد الجوهري وغيرها إجتويت البلد إذا كرهت المقام به وإن كنت في نعمة] قال : قال الخطابي [وأصله من الجوى وهو داء يصيب الجوف] انظر شرح النووي ١٣١/٢ . شرح الأُبي والسنوسي على صحيح مسلم ٢٢٥/١ وانظر : المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٣٧٩/١. =

٢ - أخرج الإمام مسلم بسنده عن شيبان قال : سمعت الحسن يقول : [إن رَجلاً مما كان قبلكم خرجت به قرحة فلما آذته انتزع سهماً من كِنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات . قال ربكم : «قد حرمت عليه الجنة » ثم مد يده إلى المسجد فقال : أي والله لقد حدثني بهذا الحديث جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد] (١) .

٣ - أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام « هذا من أهل النار » . فلما حضرنا القتال قاتل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيل : يارسول الله ، الرجل الذي قلت له آنفاً إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إلى النار » فكاد بعض المسلمين أن يرتاب فبينما هم على ذلك إذ قيل أنه لم يمت ولكن به

= - (مشاقص) سهم عريض النصل .
- (براجم) مفاصل الأصابع .
- (قوله (فشخبت يداه) بمعنى سال دمها بقوة .

(١) م ١٧١/١ ك الإيمان باب غلظ تحريم من قتل نفسه .
(قرحة) : حبات تخرج من بدن الإنسان .
(كِنانته) أي الِكنانة بكسر الكاف وهي جَعبة النشاب مفتوحة الجيم سميت كنانة لأنها تكن السهام أي تسترها .
(نكأها) أي قشرها وخرقها وفتحها .
(لم يرقا) لم ينقطع .
الحديث أخبر عن حادثة فيمن كان قبلنا والمقصود التحذير من أن يقع أحد في مثل فعله . وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ناسخ ينسخه .
معنى (جوى) لم أعثر عليه في غريب الحديث للخطابي . وأشار محقق المجموع المغيث إلى غريب الخطابي ٧٠٠/١ .

جراحاً شديداً فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه . فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال « الله أكبر أشهد أني عبدالله ورسوله » ..] (١) .

٤ – وقد تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم ممن يجزع عند المصائب وذلك ما أخبر به صلى الله عليه وسلم بقوله « ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية » (٢) .

* * *

(١) م : ١/١٠٥ ك الإيمان باب غلظ تحريم من قتل نفسه .
[قوله (فكاد) تطلق لمقاربة الفعل ولم يفعل إذا لم يتقدمها نفي فإن تقدمها كقولك ما كاد يقوم كانت دالة على القيام لكن بعد بطء]. انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢/١٢٢ .

(٢) م : ١/٩٩ ك الإيمان باب تحريم ضرب الخدود .
(ضرب الخد) : لطمه .
(شق الجيب) تقطيع الثوب .
(دعوى الجاهليه) رفع الصوت عند المصيبة بنياحة وغيرها .
وقد تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم ممن فعل هذه الأفعال لأنها دالة على شدة الجزع فهي لاتظهر إلا على جزوع ضعيف الإيمان بقضاء الله وقدره وهذا مناف لتمام الإيمان .

من النصوص السابقه تجلت الحقائق التالية :

الجزع مرض يصيب النفس الضعيفة وهو صفة ملاصقة لمن كان قلبه خالياً من الإيمان (١) . والنفس الانسانية مجبولة على الضعف، والنقص، وقلة الثبات في الشدائد، فإذا تملكها مرض الجزع دفعها ذلك إلى القيام بأفعال، والنطق بأقوال تؤدي إلى استحقاق العقاب من الله وسخطه ونقمته (٢) . وذلك مناف لما يجب أن يكون عليه المؤمن حال اصابته بالسراء والضراء، كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (٣) . فان لم يصبر العبد على ما ابتلاه الله به من المصائب والمحن وجزع قد يصدر عنه فعل معصية، أو ارتكاب كبيره من الكبائر يستحق بسببها ماتوعد الله به فاعلها من العقاب، وخسر بذلك الدنيا والآخرة.

ويترتب على الجزع اضرار ومساوئ منها :

١ - استحقاق الإنسان إذا جزع الذم والتوبيخ على سوء فعله كما دل على ذلك قوله تعالى : { إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا } .

٢ - إن النفس إذا جزعت من المصيبة، ولم تصبر على ما أصابها، وتحتمل المشقة، وتحتسب الثواب والأجر عند الله عز وجل، اعتقدت أن في الموت راحة لها من تلك المصيبة، وخلاصاً من ذلك الألم أو المرض الذي أصابها، وبذلك يكون الجزع سبب في ارتكاب ماحرمه الله في كتابه العزيز في قوله تعالى : { وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ } (٤) .

---

(١) انظر تفسير المكي الناصري .

(٢) قال ابن حجر [قال محمد بن كعب القرظي : الجزع القول السيء والظن السيء ،] . خ مع فتح الباري ١٦٩/٣ .

(٣) م : ٢٢٩٥/٤ ك الزهد والرقاق باب المؤمن أمره كله خير .

(٤) سورة الانعام آيه (١٥١) .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن سوء عاقبة من قتل نفسه بآلة أو سم أو بأي شيء تخلصاً وجزعاً أنه يتعذب به إلى يوم القيامة .

وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن شرب سماً فقتل نفسة فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » (١) .

وفي خبر آخر قال « .. ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة » (٢) .

٣ – الخلود في النار إذا استحل ذلك كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « فهو في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » أما إذا لم يستحل فيدخل تحت قوله عز وجل { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } .

٤ – حرمانه من دخول الجنة وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر عن الذي نكأ القرحة فمات « قال ربكم : قد حرمت عليه الجنة » .

٥ – احباط العمل الصالح مهما بلغ من المشقة،واستحقاق عذاب النار كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخبر فيه عن الرجل قاتل يوم حنين قتالاً شديداً بأنه من أهل النار .

٦ – تبرؤ النبي صلى الله عليه وسلم ممن ظهرت عليه آثار الجزع والهلع عند المصيبة وذلك ماصرح به قوله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من ضرب الخدود .. » الحديث .

---

(١) م : ١٠٣/١ ك الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .

(٢) المرجع السابق .

(يتوجأ) يطعن . (يتردى) ينزل . (يتحساه) يشربه في تمهل ويتجرعه انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٢١/٢ .

[٣] اليــأس

اليأس في لغة العرب :

ورد للدلالة على معنيين

الأول : القنوط وقطع الرجاء (١) . وقيل ضد الرجاء (٢) .

يقال : ايس يأيس يأساً ويئس ييئس يأساً أيضاً (٣) .

قال ابن فارس : [ويقال إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزه إلا هذه . يقال منه يئس ييأس وييئس . على يَفْعَل ويَفعِل] (٤) .

ثانياً : العلم . وهذا المجاز (٥) .

قال الزمخشري في الأساس [ومن المجاز قد يئست أنك رجل صدق بمعنى علمت] (٦) .

قال سحيم :

أقول لهم بالشِّعب إذ ييسرونني .·. ألم تيأسوا إني ابن فارس زَهْدَم (٧)

---

(١) انظر : مقاييس اللغة ١٥٣/٦ ؛ مختار الصحاح (٧٤٠) ؛ لسان العرب ٢٥٩/٦ ؛ القاموس المحيط ٢٦٠/٢ ؛ الكليات ١١٣/٥ .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ١٨٠/١ ؛ لسان العرب ٢٦٠/٦ ؛ القاموس المحيط ٢٦٠/٢.
قال صاحب الفروق اللغوية [الرجاء واليأس نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر] الفروق اللغوية /٢٠٣ .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) مقاييس اللغة ١٥٣/٦ .

(٥) أساس البلاغة (٥١١) .

(٦) المرجع السابق .

(٧) انظر : أساس البلاغة ٥١١ ؛ مقاييس اللغة ١٥٤/٦ .

قال المحقق عبدالسلام هارون [لسحيم بن وثيل اليربوعي أو لولده جابر بن سحيم مما في اللسان .

(يأس – يسر – زهدم) . وزهدم فرس سحيم . وعلى ذلك فالوجه نسبه الشعر إلى جابر] انظر هامش مقاييس اللغة – وانظر لسان العرب ٢٦٠/٦ .

وقال آخر :

ألم تيأس الأقوام أني أنا إبنه .. وإن كنت عن عرض العشيرة نائياً (١)

ويرادف اليأس القنوط :

قال ابن فارس [القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من شيء يقال قنط يقنط وقنط يقنط] (٢) .

اليأس في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال كلمة يأس في القرآن على وجهين (٣) وفي السنة على وجه واحد (٤) وهي كالتالي :

الأول : القنوط (ضد الرجاء)

ومنه قوله تعالى { وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } (٥) .

ومنه قوله تعالى { لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } (٦) .

ومنه قوله تعالى { وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ } (٧) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها

---

(١) انظر أساس البلاغة (٥١١) .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣٢/٥ وانظر : جمهرة ١١٥/٣ ؛ لسان العرب ٣٨٦/٧.

(٣) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر (٥٠١) ؛ نزهة الأعين النواظر /٦٣٣ ؛ بصائر ذوي التمييز ٢٧٤/٥ . تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب /٢٩٤ .

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢٩١/٥ .

(٥) سورة يوسف آية (٨٧) .

قال ابن الجوزي (وإنما عبر باليأس عن القنوط لأن القنوط ثمرة (اليأس) نزهة الأعين النواظر/٦٣٣ .

(٦) سورة الممتحنة آية (١٣) .

(٧) سورة الطلاق آية (٤) .

مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة . فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة » (١)

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث « إن رجلاً حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله .. » (٢)

ثانياً : العلم :

وفيه قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٣) بمعنى أفلم يعلموا .

* * *

(١) خ مع فتح الباري ٤٩٤/٦ ك الأنبياء باب ما ذكر عن بني اسرائيل .

(٢) خ مع فتح الباري ٣٠٠/١١ ك الرقاق باب الرجاء مع الخوف .

(٣) سورة الرعد آيه (٣١) .

قال الفراء (قال المفسرون: ييأس يعلم وهو في المعنى على تفسيرهم لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين أن لو يشاء لهدى الناس جميعاً . فقال : أفلم ييأسوا علماً-يقول : يؤيسهم العلم فكان فيهم العلم مضمراً كما تقول في الكلام : قد يئست منك ألاّ تفلح علماً . كأنك قلت علمته علماً] معاني القرآن للفراء ٦٣/٢ .

وقال أبو البقاء : [كل يأس في القرآن فهو قنوط إلا التي في الرعد فإنها بمعنى العلم] انظر الكليات ١١٣/٥ .

وقال الزمخشري في تفسيره [استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لايكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك] الكشاف ٢/٨٨ وانظر مفردات /٥٥٢ .

ذم اليأس وبيان أضراره في نصوص القرآن والسنه :

أولاً : في بيان أن اليأس من صفات الكافرين وأهل الضلال وردت نصوص عديدة في مواضع مختلفة :

١ – في مقام ذكر استحقاق أهل الكفر والضلال للعذاب الأليم وبيان أن نظرتهم للحياة قاصرة على نعيم الدنيا وملذاتها (١) قال تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ } (٢) .

٢ – وفي موضع آخر قال تعالى : { وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٣) .

٣ – وفي موضع آخر قال تعالى : { قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا ٱلضَّالُّونَ } (٤) .

٤ – وفي مقام النهي عن موالاة اليهود قال تعالى { يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا

---

(١) انظر : التفسير تفسيرالفخرالرازي ١٩٠/١٧ ؛ التحرير والتنوير ١٢/١٢ .

(٢) سورة هود آية (٩) .

والمعنى كما ذكره أبو جعفر [ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعة في الرزق والعيش فبسطنا عليه من الدنيا – وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع – (ثم نزعناها منه) يقول : ثم سلبناه ذلك فأصابته مصائب أجاحته فذهبت به . (إنه ليؤوس كفور) يظل قنطاً من رحمة الله آيساً من الخير] تفسيرالطبري المحقق ٢٥٥/١٥ والمراد بالكفور منكر نعمة الله لأنه تصدر منه أقوال وخواطر من السخط على ما انتابه كأنه لم ينعم عليه قط] قاله ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٣/١٢ .

(٣) سورة العنكبوت آية (٢٣) .

والمعنى (أنه تحقق لهم اليأس من الأزل لأنهم لم يرجوا لقاء الله يوماً فاستحقوا العذاب الأليم) .

انظر : التفسير الكبير ٥٠/٢٥ ؛ نظم الدرر ٢٢٠/١٤ ؛ التحرير والتنوير ٢٣٣/٢٠ .

(٤) سورة الحجر آية (٥٦) .

قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْقُبُورِ } (١) .

٥ - في مقام ذكر وصية يعقوب عليه السلام لبنيه عند ما طلب منهم البحث عن يوسف عليه السلام وأخيه قال تعالى حكايةً عنه (٢) . { .. وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ } (٣) .

ثانياً : في بيان أن الإعراض عن شكر الله على نعمه، واليأس من رحمته، سبب للحرمان من نعمة القرآن ومن خيرات كثيرة (٤) .

---

(١) سورة الممتحنة آية (١٣) .
والمراد : (قد يئسوا من الآخرة وثوابها مع أنهم يؤمنون بها وذلك لعنادهم مع النبي صلى الله عليه وسلم مع علمهم بصدقه كما يئس الكفار حال كونهم من أصحاب القبور الذين ماتوا فقد يئسوا من الرجوع إليهم والإلتقاء بهم في أي وقت) .
انظر : تفسير الفخر الرازي ٣٠٩/٢٩ ؛ التحرير والتنوير ١٦٩/٢٨ ؛ الواضح ٢٩٩/٢ .
قال ابن عاشور [وتشبيه إعراضهم هذا بيأس الكفار من أصحاب القبور وجهة شدة الإعراض وعدم التفكر في الأمر شبه إعراضهم عن العمل لنفع الآخرة بيأس الكفار من حياة الموتى والبعث] التحرير ١٦٩/٢٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري المحقق ٢٣٢/١٦ ؛ التفسير الكبير للرازي ١٩٨/١٨ ؛ نظم الدرر ٢٠٤/١٠ ؛ تفسير أبي السعود ٣٠٢/٤ .

(٣) سورة يوسف آية (٨٧) .
قوله [ولا تيأسوا من روح الله) بمعنى لاتقنطوا من أن يروح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه يفرج من عنده فيؤتينهما . (إنه لا ييأس من روح الله) أي لايقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه (إلا القوم الكافرون) يعني القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه] .
انظر المراجع السابقة .

(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي ٣٥/٢١ ؛ البحر المحيط ٧٥/٦ ؛ تفسير ابن كثير ٣٤٤/٤ ؛ نظم الدرر ٤٩٨/١١ ؛ حاشية الجمل ٦٤٤/٢ .

قال تعالى : { وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا } (١) .

---

(١) سورة الإسراء آية (٨٣) .

قوله { وإذا أنعمنا على الإنسان } المراد بالنعم سعة الرزق وكشف البلاء .

انظر زاد المسير ٨٥/٥ .

قوله [{ أعرض ونأى بجانبه } أعرض : ولىّ ظهره . ونأى بجانبه : تباعد تكبراً وبطراً وهو تمثيل الإجفال عن الشيء . والمراد : أن الإنسان إذا أصابته نعمة من الله بالسعة في الرزق والعافية وأسباب المعيشة أعرض عن القيام بحقوق المنعم لعباده والذكر والشكر وتباعد عن التقرب إليه علواً واستكباراً]

انظر : غريب إبن قتيبة (٢٦٠) ؛ زاد المسير ٨٥/٥ ؛ تفسير الفخر الرازي ٣٥/٢١ ؛ الواضح ٥٧٦/١ .

قوله { وإذا مسه الشر كان يئوساً } بيان لحال هذا النوع من الإنسان فإنه إذا أصابه أدنى درجات الشر من الضيق والبلاء كان شديد اليأس من رحمة ربه قاطعاً رجاءه من الفرج وذلك لضعف إيمانه ويقينه .

قال ابن عاشور [(جملة إذا مسه الشر كان يئوساً) إحتراس من أن يتوهم السامع من التقييد (وإذا أنعمنا) أنه إذا زالت عنه النعمة صلح حاله فبين أن حاله ملازم لنكران الجميل في السراء والضراء ، فإذا زالت النعمة عنه لم يقلع عن الشرك والكفر ويتب إلى الله ولكنه ييأس من الخير ويبقى ضيق الصدر لايعرف كيف يتدارك أمره] التحرير ١٩٣/١٥ .

وقوله (كان يئوساً) صيغة مبالغة تدل على قوة يأسه وفعل (كان) يدل على رسوخ هذا الفعل .

انظر : التحرير والتنوير ١٩٣/١٥ .

والنص الكريم إخبار عن نقص الإنسان وصفته أمام شهواته وملذاته فاذا أصابته النعمة اغتر بها ونسي ذكر المنعم والقيام بحقوقه من الشكر والعبادة وإذا أصابته النقمة بالكرب والضيق اسف وحزن وقطع رجاءه من رحمة ربه .

ثالثاً : في بيان أن طبيعة النفس البشرية متقلبة،متبدلة الأحوال،متغيرة المنهج فان أحست بالخير انتفخت وتعظمت،وإن أحست ببلاء ونقمة ذبلت وضعفت وردت نصوص في مواضع مختلفة :

١ - قال تعالى : { وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } (١) .

٢ - قال تعالى : { لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ } (٢) .

وورد في هذا المعنى نصوص عديدة في القرآن الكريم من ذلك :

١ - قوله تعالى : { فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ } (٣) .

٢ - قوله تعالى : { إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } (٤) .

---

(١) سورة الروم آية (٣٦) . انظر الواضح ٢/٢١٥ .

(٢) سورة فصلت آية (٤٩) .

والمعنى [أن الإنسان إذا أتاه خير فهو لا يسئم من طلب الزيادة وفي حال الحرمان من النعم أو التقصير عليه تجده يائساً قانطاً من رحمة الله وتيسيره] .

انظر : البحر المحيط ٧/٥٠٣ ؛ نظم الدرر ١٧/٢١٧ ؛ حاشية الجمل ٤/٤٨ .

وقوله (فيئوس قنوط) [مبالغة من حيث البناء والتكرار . أما من حيث البناء (فيئوس) فعول من يئست و (قنوط) فعول من قنط ومجازهما واحد . وأما من حيث التكرار : فاليأس صفة القلب وهو فعل قلبي للإعتقاد بعدم حصول الميئوس منه وانقطاع الرجاء من الخير . و(القنوط) عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر] انظر : الكشاف ٣/٣٩٤ ؛ تفسير الفخر الرازي ٢٧/١٣٧ ؛ تفسير أبي السعود ٨/١٨ ؛ روح المعاني ٢٥/٤ ؛ مجاز القرآن ٢/١٩٨ .

(٣) سورة الفجر آية (١٥ ، ١٦) .

(٤) سورة المعارج آية (١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .

٣ - قوله تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } (١) .

وهذا حال الإنسان ضعيف الإيمان، إلا المؤمن فإنه يهذب هذا الضعف فيه ويقويه بقربه إلى الله، وشكره في السراء والضراء، لذلك قال صلى الله عليه وسلم « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (٢)

رابعاً : في مقام النهي عن اليأس والقنوط من رحمة الله وبعث الرجاء في النفس . قال تعالى : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٣) .

وفي موضع آخر قال تعالى عن قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام { فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ } (٤) .

وفي موضع آخر قال تعالى حكاية عن وصية يعقوب عليه السلام لبنيه { وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ } (٥) .

ومما ورد في النهي عن اليأس ما ورد عن حبةَ وسواء ابني خالد قالا : دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج شيئاً فأعنّاه عليه . فقال « ولا تيأسا من الرزق ماتهززت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله عز وجل » (٦) .

---

(١) سورة هود آية (٩ ، ١٠) .
(٢) م : ٢٢٩٥/٤ ك الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير .
(٣) سورة الزمر آيةَ (٥٣) .
(٤) سورة الحجر آيةَ (٥٥) .
(٥) سورة يوسف آية (٨٧) .
(٦) جه : ٤١٩/٢ أبواب الزهد باب التوكل واليقين وصحح إسناده البوصيري .

من النصوص السابقة تجلت الحقائق التاليه :

إن اليأس مرض يصيب النفس الضعيفة ، فإذا تمكن منها ظهر القنوط على حواس الانسان وبدت اثاره على مظهره الخارجي ، واليأس يؤدي بالانسان إلى الخسارة في الدنيا والآخرة ، ويلحق به اضراراً جسيمه ذات عواقب وخيمه منها :-

١ - أنه سبب للكفر بالله وجحود نعمته .

فإن الإنسان إذا أصابته ضراء أو نقمةٌ ينكر نعمة الله عليه بما يصدر عنه من أقوال وأفعال تبدي السخط على ما أصابه وكأنه لم ينعم عليه قط وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ } (١) . وقد يصدر من الإنسان أقوال تؤدي به إلى استحقاق سخط الله وعقابه،لأنه حال يأسه يتلفظ بكلمات لايلقي لها بالاً فقد تكون سبب خسارته يوم القيامة،وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اللسان وإطلاق العنان له بالكلام بقوله عليه الصلاة والسلام « .. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم » (٢) .

٢ - انه من صفات الكافرين وأهل الضلال .

وذلك مادل عليه التشنيع عليهم في قوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي } (٣) .

وقوله تعالى : { وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } (٤) .

وقوله تعالى : { وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } (٥) .

---

(١) سورة هود آيه (٩) .

(٢) خ مع فتح الباري ٣٠٨/١١ ك الرقاق باب حفظ اللسان .

(٣) سورة العنكبوت آيه (٢٣) .

(٤) سورة الحجر آيه (٥٦) .

(٥) سورة يوسف آيه (٨٧) .

قال الإمام الفخر الرازي [وأعلم أن اليأس من رحمة الله لايحصل إلا إذا أعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو ليس بكريم بل هو بخيل، وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لايحصل إلاّ عند حصول أحد هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لايحصل إلاّ لمن كان كافراً والله أعلم] (١) .

٣ - أنه خصلة ذميمة تنشأ عن قلة صبر، وضعف إيمان، وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب طلب النفع الدائم، فإنه إذا أصابته النعمة فرح واغتر بها، وإذا أصابه الكرب تضجر وتذمر وقطع رجاءه من رحمة ربه، ونسي ما كان فيه من الخير والنعم وظن أن لن يأتيه خير قط وذلك مادل عليه التشنيع عليهم في مواضع متعددة من القرآن الكريم منها :

قوله تعالى : { وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا } (٢) .

وقوله تعالى : { وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } (٣) .

وقوله تعالى : { لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ } (٤) .

وأخبر عز وجل في مواضع أخرى من القرآن عن طبيعة الإنسان المتقلبة نتيجة ضعف إيمانه قال تعالى : { إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا } (٥) .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١١٩/١٨ .

(٢) سورة الإسراء آية (٨٣) .

(٣) سورة الروم آية (٣٦) .

(٤) سورة فصلت آية (٤٩) .

(٥) سورة المعارج آية (١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .

وقوله تعالى : { فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ . وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ } (١) .

أما العبد المؤمن قوي الإيمان فهو الذي يستطيع أن يهذب هذا الضعف فيه، وهذه الجبلة حتى تزول،فهو يوازي بين إصابته بالخير والشر ويحمد الله على كلا الحالين،ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه،وما أخطأه لم يكن ليصيبه . والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

٤ – أنه سبب لإنتفاء التوكل على الله واليقين به .

وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث حبة وسواء ابني خالد « لا تيأسا من الرزق ماتهززت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله عز وجل » بمعنى أن الإنسان يجب ألاّ يقطع الأمل في الرزق وكسب المعاش مادام حياً،فإن الله هو الذي خلق الإنسان وهو الذي يرزقه،وليس على الإنسان إلاّ الأخذ بأسباب الرزق والتوكل على الله مقسِّم الأرزاق وذلك حقيقة التوكل واليأس مناف لذلك .

٥ – أنه ينافي حسن الظن بالله تعالى .

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على حسن الظن بالله تعالى وأن يكون موتهم على ذلك أخرج مسلم بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايموتنّ أحد منكم إلاّ وهو يحسن الظن بالله » (٢)

قال الإمام النووي [قال العلماء هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة . ومعنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه] (٣) .

---

(١) سورة الفجر آية (١٥ ، ١٦) .

(٢) م : ٢٢٠٥/٤ ك الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم(٢١٠/١٧).

٦ - استحقاق العذاب الأليم في الآخرة .

وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

٧ - استحقاق اليائس غضب الله عليه .

لأنَّ اليأس من صفات الكافرين الذين غضب الله عليهم ونهى عن اتباعهم والتخلق بصفة من صفاتهم في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } .

---

[٤] الاستكانه

الإستكانة في لغة العرب :

الاستكانة في اللغة : الخضوع والذلة (١) .

يقال : استكان الرجل أي خضع وذل (٢) .

قال الأزهري [قال أبو سعيد : يقال أكانه الله يكينه إكانة أي أخضعه حتى استكان،وقد أدخل عليه من الذل ما أكانه] وقال [الذي قاله أبو سعيد حسن كأن الأصل فيه الكينة وهي الشدة والمذلة] (٣) .

وقيل : الاستكانة (افتعل) من (سكن) والألف للإشباع لأن معناه خضع وتذلل فكأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به مايريده .

وقيل : هو استفعل من (كان) التامّة فكأن الخاضع يطلب من نفسه أن يكون ويثبت على مايريد به صاحبه .

قال أبو البقاء (والأول أقوى من حيث المعنى ولكن لايساعده وجوه الاشتقاق والثاني أصح لفظاً وأضعف معنى) (٤)

استعمالات القرآن والسنة :

ورد ذكر الإستكانة في موضعين من القرآن الكريم : (٥)

الأول : قوله تعالى : { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } (٦) .

---

(١) انظر : الصحاح ٢١٩٠/٦ ؛ مختار الصحاح /٥٨٤ ؛ القاموس المحيط ٢٦٤/٤ .

(٢) انظر : لسان العرب ٣٧١/١٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٧٤/١٠ .

(٤) الكليات ١٥٩/١ .

(٥) انظر : المفردات /٤٤٥ ؛ بصائر ذوي التمييز ٣٩٥/٤ ؛ غريب القرآن لابن قتيبة /١١٣ .

(٦) سورة آل عمران آية (١٤٦) .

الثاني : قوله تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } (١) .

ومن السنة :

ماورد في حديث توبة بن مالك « أما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما » (٢) أي خضعا وذلا . قال ابن الأثير والإستكانة إستفعال من السكون (٣) .

---

(١) سورة المؤمنون آية (٧٦) .

(٢) م : ٤/..٢١٢ ك التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢/٣٨٦ .

أضرار ومساوىء الاستكانه لغير الله في القرآن والسنة :

١ – في مقام الحث على أخذ العظة والعبرة من قصص السابقين من الأمم حيث لم يهنوا لما أصابهم ولم يضعفوا ولم يستكينوا . قال تعالى (١) : { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } (٢) .وفي ذلك دلالة على أن الاستكانة لغير الله أمر ممقوت لايحبه الله .

---

(١) انظر: تفسير الطبري المحقق ٧/٢٦٣؛ التحرير والتنوير ٤/١١٨؛ البحرالمحيط ٤/١١٨ .

(٢) سورة آل عمران آية (١٤٦) .

– قوله(وكأين) بمعنى كم وهي للتكثير). انظر : تفسير الطبري المحقق ٧/٢٦٣ ؛ البحر المحيط ٣/٧١ ؛ حاشية الشهاب ٣/٦٩ .

–(ربّيون) جمع ربّي وهو المتّبع لشريعة الرب والمراد بهم هنا جماعات كثيرة من أتباع الأنبياء والرسل). انظر : تفسير الطبري المحقق ٧/٢٦٥ ؛ غريب ابن قتيبة /١١٣ ؛ التحرير والتنوير ٤/١١٨.

– (وهنوا) من الوهن بمعنى الضعف وهو إنكسار الجد بالخوف . قال الخليل : [هو الضعف في العمل والأمر كذلك في العظم ونحوه] والمراد به هنا قلة القدرة على العمل .

انظر : غريب ابن قتيبة /١١٣ ؛ الفروق اللغوية/٩٤ ؛ التحرير والتنوير ٤/١١٨ .

– (وماضعفوا) قال ابن عاشور [الوهن والضعف هنا مجازان فالأول أقرب إلى خور العزيمة ودبيب اليأس في النفوس والفكر . والثاني أقرب إلى الإستسلام والفشل في المقاومة] انظر : الفروق اللغوية /٩٣ ؛ التحرير والتنوير ٤/١١٩ .

– (وماستكانوا) الاستكانة هنا بمعنى الخضوع والمذلة للعدو .

انظر : غريب ابن قتيبة /١١٣ ؛ تحفة الأريب /٢٧١ ؛ التحرير والتنوير ٤/١١٩.

– والمراد من النص الكريم لفت أنظار المؤمنين إلى التأسي بأحوال الأمم السابقة والمعنى هلّا تأسيتم بمن كان قبلكم من أتباع الأنبياءالذين قاتلوا =

٢ - في مقام التشنيع على المشركين حيث سلط الله عليهم العذاب وذلك بسبب عدم استكانتهم وخضوعهم وذلهم(١) وبسبب عدم تضرعهم لخالقهم ورازقهم ومدبر أمرهم قال تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } (٢) .

<u>بالنظر إلى النصين السابقين استبان الآتي</u> :

١ - أن الاستكانة لغير الله ممقوتة من الله تعالى توجب لصاحبها بغض الله له وذلك ما اتضح من مفهوم الآية الكريمة حين أثنى عز وجل على أتباع الأنبياء من الأمم السابقة وذكر من صفاتهم أنهم ما استكانوا لغير الله فاستحقوا محبة الله عز وجل في قوله تعالى : {. وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }

٢ - أن الاستكانة لاتكون إلاّ لله تعالى وذلك ماتبين من التشنيع على المشركين وذكر قسوة قلوبهم، وبيان موقفهم في الشدائد التي من شأنها أن تلين القلوب، وتجعل النفوس تستكين لله عز وجل إلاّ أنهم لم يستكينوا لله تعالى لما بلغ

= مع أنبيائهم وقتل منهم جماعات كثيرة، فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من القتل والجراحات وماضعفت قواهم عن الجهاد ولاخضعوا لعدوهم لما قتل أنبياؤهم بل صبروا على ما أصابهم واستمروا في الجهاد والدفاع عن الدين وتبليغ الدعوة وهذه صفات الصابرين الذين يحبهم الله ويرضى عنهم. انظر تفسير الطبري المحقق ٢٦٤/٧ ؛ البحر المحيط ٧١/٣ ؛ ابن كثير ١٢٢/٢ حاشية الجمل ٣٢٠/١ ؛ نظم الدرر ٨٥/٥ ، التحرير والتنوير ١١٦/٤ .

(١) انظر: التفسير الكبير ١١٣/٢٣ ؛ تفسير ابن كثير ٣١/٥ ؛ التحرير والتنوير ١٠٠/١٨ .

(٢) سورة المؤمنون آية (٧٦) .
قوله (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد «ابن كثير» قوله (فما استكانوا لربهم ومايتضرعون) أي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على غيّهم وضلالهم فما خشعوا ولا خضعوا لله عز وجل ولا يدعوا الله ليكشف عنهم العذاب .

من قسوة قلوبهم وبعدهم عن الله وأكد ذلك بقوله { فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } .

٣ – أن الاستكانة لغير الله تكون دلالة على ضعف النفوس وخضوعها لغير الله وذلك شرك بالله إذ يجب أن لايخضع ولا يستكين الإنسان إلّا لرب العالمين فهو الذي يجب أن تستكين إليه النفوس وتضرع إليه في الشدائد والكربات. ويجب أن لاتضعف النفس إلّا أمام الله عز وجل .

[٥] الحسـد

الحسد في اللغة :

الحسد في اللغة : تمني زوال النعمة عن المحسود وأن تكون له (١) .

يقال : حسده يحسده حسوداً والبعض يقول يحسده بالكسر . والمصدر حسداً بالتحريك وحساده (٢) .

قال ابن فارس [الحاء والسين والدال أصل واحد وهو الحسد] (٣) .

وأصل الحسد القشر . ذكر الأزهري عن ابن الأعرابي قال [الحسد القرار ومنه أخذ الحسد لأنه يقشر القلب كما يقشر القراد الجلد فيمتص دمه] (٤) .

والغبط ضرب من الحسد وهو أخف منه (٥) .

قال أبو هلال العسكري [الغبط أن تتمنى أن يكون لك مثل حال المغبوط لك من غير أن تريد زوالها عنه . والحسد أن تتمنى أن يكون حاله لك دونه فلهذا ذم الحسد ولم يذم الغبط] (٦) .

الحسد في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال كلمة (الحسد) في القرآن والسنة بمعنيين :

الأول : بمعنى تمني زوال النعمة عن الغير ومن ذلك من القرآن (٧) .

أولاً : قول الله تعالى { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } (٨) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٢٨١/٤ ؛ الصحاح ٤٦٥/٢ ؛ المحكم ١٢٧/٣ ؛ لسان العرب ١٤٨/٣ ؛ القاموس المحيط ٢٨٨/١ .

(٢) انظر الصحاح ٤٦٥/٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٦١/٢ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ٢٨١/٤ ؛ لسان العرب ١٤٨/٣ .

(٥) انظر تهذيب اللغة ٢٨١/٤ .

(٦) الفروق اللغوية (١٠٤) ؛ وانظر النهاية في غريب الحديث ٣٨٣/١ .

(٧) المفردات /١١٨ .

(٨) سورة البقرة آية (١٠٩) .

ثانياً : وقوله تعالى { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ } (١) .
ثالثاً : وقوله تعالى { فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (٢)
رابعاً : وقوله تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ .....وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (٣)

ومن السنة :

أولاً : قوله صلى الله عليه وسلم « لاتباغضوا، ولاتحاسدوا، ولاتدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً » (٤) .

ثانياً : وقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الناس أفضل قال « كل مخموم القلب صدوق اللسان »

قالوا : صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقي النقي لا إثم فيه، ولا غل ولا حسد » (٥) .

ثالثاً: وقوله صلى الله عليه وسلم « لايجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد » (٦)

الثاني : بمعنى الغبطة وهي تمني أن تكون له مثل تلك النعمة التي لغيره، ولا يتمنى زوالها عن المنعم عليه (٧) .

ومما ورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم « لاتحاسد إلا في اثنتين رجل اتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار . يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل . ورجل اتاه الله مالاً ينفقه في حقه فيقول : لو أوتيت مثل

---

(١) سورة النساء آية (٥٤) .
(٢) سورة الفتح آية (١٥) .
(٣) سورة الفلق آية (٥) .
(٤) خ مع فتح الباري ٤٩٢/١٠ ك الأدب بابماينهي عن التحاسد .
م : ١٩٨٣/٤ ك البر والصلة باب تحريم التحاسد والتباغض .
ت : ٣٢٩/٤ ك البر والصلة باب ماجاء في الحسد .
(٥) جه : ٤٢٩/٢ أبواب الزهد باب الورع والتقوى . وصحح إسناده البوصيري .
(٦) ن : ١٣/٦ ك الجهاد باب فضل من عمل في الله على قدمه
(٧) النهاية ٣٨٣/١ .

ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل » (١) .

هذان نوعان من الحسد اما الاول فحرام ومنهي عنه في الشرع واما الثاني فهو الغبطه فمباح .قال ابن حجر :[الحسد المذكور في الحديث هو الغبطة . وأطلق الحسد عليها مجازاً وهي أن يتمنى أن يكون له مثل مالغيره من غير أن يزول عنه،والحرص على هذا يسمى منافسة فإن كان في الطاعة فهو محمود،وإن كان في المعصية فهو مذموم،وإن كان في الجائزات فهو مباح ، فكأنه قال في الحديث : لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين(٢)]

ذم الحسد وبيان أضراره ومساوئه في القرآن والسنه :

١ - في مقام ذكر كيد اليهود للمسلمين أخبر عز وجل عن خبايا نفوسهم (٣) قال تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم .. } (٤) .

٢ - في مقام ذم اليهود والتشنيع عليهم بأقبح خصالهم (٥) .

---

(١) خ مع فتح الباري ٢٢٠/١٣ ك التمني باب تمني القرآن والعلم .
٥٠٢/١٣ ك التوحيد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به .

(٢) فتح الباري ١/ ١٦٦ - ١٦٧ (بتصرف)

(٣) انظر : تفسير الطبري المحقق ٥٠٠/٢ ؛ زاد المسير ١٣١/١ ؛ التفسير الكبير ٢٣٦/٤

(٤) سورة البقرة آيه (١٠٩) .
وقوله { ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم } أي تمنى كثير من اليهود ردة المؤمنين عن الإسلام .
وقوله (حسداً من عند أنفسهم) قال ابن الجوزي : لأن حسد الإنسان لايكون إلا من عند نفسه والمعنى مودتهم لكفركم من عند أنفسهم لا أنه عندهم الحق .

(٥) انظر:تفسيرالطبري المحقق٤٧٦/٨؛تفسيرالفخرالرازي١٣٢/١٠؛أنوار التنزيل مع حاشية الشهاب ١٤٧/٣ ؛ ابن كثير ٣١٨/٢ ؛ التحرير والتنوير ٨٨/٥ .

قال تعالى : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا } (١) .

٣ – في مقام إعلام النبي صلى الله عليه وسلم بما سيقوله المخلفون من الأعراب عن الحديبية عندما يفتح الله على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه بالنصر والمغانم الكثيرة أخبر تعالى أنهم سيحرصون على الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر ليحوزوا على الغنائم في حين أنهم اعتذروا كذباً في الحديبية فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن لايأذن لهم بالخروج في خيبر (٢) .

---

(١) سورة النساء آية (٥٤) .
قوله (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) قال ابن عاشور : [أم للإضراب الإنتقالي يفيد الإنتقال من توبيخهم على البخل إلى توبيخهم على الحسد بالإستفهام المقدر من (أم) للإنكار والتوبيخ على حسدهم الذي هو من شر الرذائل وأقبحها] انظر التحرير ٥/٨٨ .
وقوله { من فضله } المراد : النبوة والكتاب والهدى وازدياد العز والنصر، والمراد إنكار حسد اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على ما أنعم الله به عليهم ورزقهم من فضله فإنه جعل فيهم النبوة، وآتاهم الكتاب، وزادهم عزة ونصراً، وأنعم عليهم بالهدى .
ثم أخبر تعالى أن ما آتاه للنبي صلى الله عليه وسلم والعرب ليس بدعاً وإن الحسد ديدن اليهود ودأبهم المستمر فقد جعل عز وجل النبوة في بني إسرائيل وآتاهم الملك والحكمة قال { فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب .. } وذلك تعليل للإنكار واستقباح حسدهم وإلزامهم بما هو مسلم عندهم، وحسم لمادة حسدهم، واستبعادهم المبني على توهم عدم استحقاق المحسود لما أوتي من الفضل، وذلك ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة و (آل إبراهيم) هم أبناؤه ونسله .
(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٨/٩٠ ؛ ابن كثير ٦/٣٣٩ ؛ التحرير والتنوير ٢٦/١١٦ المراغي ٢٦/٩٦ .

قال تعالى : { سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (١) .

---

(١) سورة الفتح آية (١٥) .

قوله [يريدون أن يبدلوا كلام الله] المراد أن الله وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر . ولذلك لما حرص المخلفون عن الحديبية على الخروج مع المؤمنين في خيبر فهم يريدون أن يبدلوا كلام الله من حيث أنه وعدها لأهل الحديبية لايشاركهم فيها أحد]. ذكره ابن كثير عن مجاهد وقتادة وجويبر قال واختاره ابن جرير .

انظر : تفسير ابن كثير ٣٣٩/٦ ؛ المراغي ٩٦/٢٦ ؛ التحرير والتنوير١٦٨/٢٦

وقوله [فسيقولون بل تحسدوننا] وهذا من قول المخلفين عن الحديبية وذلك لما منعهم النبي صلى الله عليه وسلم من الخروج معه في خيبر . والحسد هو كراهة أن ينال غيرك خيراً معيناً أو مطلقاً سواء كان مع تمني انتقاله إليك أو بدون ذلك . فالحسد هنا أريد به الحرص على الإنفراد بالمغانم وكراهية المشاركة فيها لئلا ينقص سهام الكارهين . وقد نسبوا الحسد للمؤمنين لأنهم ظنوا أن الجواب بمنعهم لعدم رضا أهل الحديبية أن يشاركهم أحد في المغانم وليس المراد نسبة الحسد للنبي صلى الله عليه وسلم].

انظر : التحرير والتنوير ١٦٩/٢٦ .

قوله { بل كانوا لايفقهون إلا قليلاً } لبيان علة إتهامهم للمؤمنين بالحسد وذلك أنهم لم يفهموا من منع النبي صلى الله عليه وسلم لهم من الخروج إلاّ ظاهر القول وذلك لقلة فهمهم في الدين وجهلهم فهم لايفقهون من الدين الا قليلاً ولو فقهوه لفهموا وما قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

(انظر: التحرير ؛ والمراغي) .

وقوله { لايفقهون } أفاد إنتفاء الفهم عنهم وإنما نفي الفهم عنهم ولم ينف الإيمان لأنهم كانوا مؤمنين ولكنهم كانوا جاهلين بشرائع الإسلام ونظمه ؛

انظر : التحرير والتنوير .

٥ - ومما ورد في النهي عن الحسد والتحذير من هذه الخصلة الذميمة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (البخاري ومسلم) « لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » (١) .

٦ - وفي بيان شدة الضرر وما يخلفه الحسد قال النبي صلى الله عليه وسلم « دبّ إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء وهي الحالقة . لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذالكم لكم

---

(١) خ مع فتح الباري ٤٨١/١٠ ك الأدب باب ماينهي عن التحاسد والتدابر .
م : ١٩٨٣/٤ ك البر باب تحريم التحاسد والتباغض ؛ زاد المسلم ١٦٤/٥ .
قوله{لاتحاسدوا} قال ابن حجر[الحسد تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى في ذلك أولا فان سعى كان باغياً وإن لم يسع في ذلك ولا أظهره ولا تسبب في تأكيد أسباب الكراهة التي نهي المسلم عنها في حق المسلم نظرة : فإن كان المانع له من ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور ؛ وإن كان المانع من ذلك التقوى فقد يعذر لأنه لايستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدتها أن لايعمل بها ولايعزم على العمل بها . وقد أخرج عبدالرزاق عن معمر عن اسماعيل بن أمية رفعه « ثلاث لايسلم منها أحد : الطيرة والظن والحسد . قيل : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : إذا تطيرت فلا ترجع ؛ وإذا ظننت فلا تحقق ؛ وإذا حسدت فلا تبغ » .
وعن الحسن البصري قال : ما من آدمي إلاّ وفيه الحسد فمن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء] .
قوله { ولاتدابروا } . قال ابن حجر (قال الخطابي : لاتتهاجروا فيهجر أحدكم أخاه مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره إذا أعرض عنه حين يراه) .
قوله { ولا تباغضوا } قال ابن حجر [حقيقة التباغض أن يقع بين اثنين وقد يطلق إذا كان من أحدهما والمذموم منه ما كان في غير الله تعالى .

أفشوا السلام بينكم » (١) .

٧ - وفي بيان منافاة الحسد لتمام الإيمان،أخرج النسائي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « .. لايجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد » (٢) .

٨ - وورد في الرقية أن جبرائيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا محمد اشتكيت ؟ قال : «نعم» قال « بسم الله أرقيك،من كل شيء يؤذيك،من شر كل نفس،أو عين،أو حاسد،يشفيك بسم الله أرقيك » (٣) .

من النصوص السابقة استبانت النتائج التالية :

أولاً : أن الحسد سبب للمنع من الدخول في دين الاسلام،فقد حسد أهل الكتاب النبي صلى الله عليه وسلم أن آتاه الله النبوة،وحسدوا العرب أن تكون النبوة،والكتاب،والهدى،والنصر،والعزة فيهم،فامتنعوا عن الدخول في الاسلام،وتمنوا زوال ذلك الفضل عن العرب،وأن يبقى فضل النبوة فيهم، وبذلك منعوا أنفسهم من نعيم الهدى والإيمان،واستحقاق رضى الله عز وجل وذلك مادل عليه التشنيع عليهم في قوله تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم } .

---

(١) ت : ٦٦٤/٤ ك صفة القيامة باب (٥٦) .
قال أبو عيسى : هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحي ابن أبي كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا فيه الزبير .
مسند أحمد المحقق ٦/٣ ؛ قال المحقق اسناده ضعيف .

(٢) ن : ١٣/٦ ك الجهاد باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ،

(٣) م : ١٧١٨/٤ ك السلام باب الطب والمرض والرقي .
قوله { من شر كل نفس } قال النووي [يحتمل أن المراد بالنفس نفس الآدمي، وقيل يحتمل أن المراد بها العين، فان النفس تطلق على العين،ويقال رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه] انظر شرح النووي ١٧٠/١٤ .

وقوله تعالى : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ } .

ثانياً : الحسد داء جسيم،ومرض خطير يفتك بالجماعات،ويفكك أواصر الصلة والمحبة،ولعظم ضرره على نفس الإنسان وعلى الآخرين حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه من ضمن ماحذر من الأمراض في قوله صلى الله عليه وسلم « لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » (١) وذكر الإمام الزبيدي في إتحاف السادة [أن التباغض من أسباب الحسد والتقاطع والتدابر من ثمراته ونتيجته] (٢) .

وقد حسد إخوة يوسف عليه السلام أخاهم لمكانته عندأبيه فقالوا فيما ذكره عز وجل حكاية عنهم { إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }(٣).فكادوا له ودبّروامكيدتهم فأضاعوه عن أبيه وذلك نتيجة حسدهم قال تعالى حكاية عنهم{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ.قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ } (٤)

ثالثاً : منافاة الحسد لتمام الإيمان وكماله،وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « .. لايجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد » وذلك تقبيح للحسد وترهيب من ضرره،وبيان أنه ينبغي للمؤمن أن يتجنب هذه الصفة،لأن المؤمن يجب أن يحب لأخيه مايحب لنفسه،والحسد ينافي ذلك فهو تمنى زوال النعمة من المنعم عليه سواء تمناها لنفسه أو تمنى زوالها فقط دون أن يتمنى انتقالها إليه .

---

(١) سبق تخريجه ص(٣١٠) .

(٢) إتحاف السادة على إحياء علوم الدين ٨/ ٥٠ .

(٣) سورة يوسف آية (٨) .

(٤) سورة يوسف آية (٩ ، ١٠) .

رابعاً : أن الحسد من شر الرذائل وأقبح الصفات لما يلحق بصاحبه من خسائر دنيوية وأخروية فمن الخسائر الدنيوية، مقت الناس للحاسد، والخوف من التعامل معه، وبغضه، والنفرة من التقرب إليه، كما أنه ينزله من درجة الفضيلة عند الناس، وذلك مادل عليه ما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل أي الناس أفضل ؟ قال « كل مخموم القلب، صدوق اللسان، قالوا : صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب ؟ قال « هو التقي النقي لا إثم فيه ولا غل ولا حسد » (١) .

بمعنى أن الغل والإثم والحسد من الصفات المنافية للتقوى فإن من تقوى الله ألاّ يحمل المرء في نفسه على المسلم غل ولاحسد ولا إثم .

ومن الخسائر الآخروية :

استحقاقه لعذاب السعير كما دل عليه قوله تعالى : { وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } (٢) .

وذلك لما ذكر تعالى حسد اليهود للناس على ما آتاهم من فضله وقال تعالى : { فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } (٣) .

---

(١) جه : ٤٢٩/٢ أبواب الزهد باب الورع والتقوى .
قال المحقق [قال البوصيري في الزوائد هذا إسناد صحيح رواه البهيقي في سننه من هذا الوجه] .

(٢) سورة النساء آية (٥٥) .

(٣) الآية السابقة .

وقوله { فمنهم من آمن .. } الآيه } المراد حكاية لما صدر من أسلاف اليهود مع أنبيائهم فإن أولئك الأنبياء مع ماخصهم الله من النبوءة والملك وأنهم من بني جنسهم فقد جرت عادة الأمم في ذلك أن بعضهم كفر وأعرض وصد الناس عن الإيمان بهم فلا عجب أن تكون هذه حالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم فان الحسد والإعراض دأبهم وديدنهم من قديم الزمان . وذلك تسلية للنبي =

خامساً : ولعظم ضرر الحسد وجب التعوذ منه ولايتعوذ إلاّ من عظيم . قال تعالى :
{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } .

فجعله الله تعالى من الأمور العظام التي يجب أن يتعوذ منها . وفي رقية جبرائيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم (بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين أو حاسد يشفيك بسم الله أرقيك) .

وفي الحسد ذكر الإمام ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم [أن الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام . فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود، بالبغي عليه بالقول والفعل، ثم منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالة النعمة عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما، وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه وهو كان ذنب إبليس حيث كان حسد آدم عليه السلام لما رآه قد فاق على الملائكة بأن الله خلقه بيده، وأسجد له ملائكته وعلّمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فمازال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أخرج منها] (١) .

= صلى الله عليه وسلم ليكون صابراً على ماينال من قبلهم . وقوله { وكفى بجهنم سعيراً } بيان لقرارهم ومصيرهم الذي أوصلهم إليه حسدهم وبغضهم للأنبياء والرسل والمؤمنين .

انظر: تفسير الطبري المحقق ٤٧٦/٨ ؛ تفسير الفخر الرازي ١٣٢/١٠ ؛ تفسير ابن كثير ٣١٨/٢ ؛ حاشية الجمل ٣٩٢/١ ؛ روح المعاني ٥٧/٥ ؛ التحرير والتنوير ٨٨/٥ .

(١) جامع العلوم والحكم (٢٨٦) .

[٦] النفـــاق

النفاق في لغة العرب :

ذكر أهل اللغة في أصل النفاق قولان :

الأول : أنه مأخوذ من النفق محركة وهو سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر ولذا سمي المنافق منافقاً لأنه يدخل في الإسلام من وجه ويخرج من وجه آخر وبه قال أبوعبيد كما ذكر الأزهري وابن منظور (١)

الثاني : أنه مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو موضع يرققه اليربوع من جحره ويكتمه فإذا أتى من جهة القاصعاء وهو جحر يسد بابه بترابه ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج (٢) .

وأكثر أهل اللغة على أنه مشتق من نافقاء اليربوع واختلفوا في وجه الإشتقاق :-

١ - قال ابن فارس [ومنه إشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف مايظهر فكأن الإيمان يخرج منه أو يخرج هو من الإيمان في خفاء] (٣) .

٢ - قال ابن دريد : [النفق السرب في الأرض ونافقاء اليربوع من هذا وهو سربه الذي يدخل فيه والمنافق من هذا اشتقاقه لأنه يدخل في الكفر وهو يظهر غيره] (٤) .

٣ - وقال الزبيدي في تاج العروس [ومن المجاز نافق في الدين إذا ستر كفره وأظهر إيمانه ومصدره النفاق .. وهو مأخوذ من نافقاء اليربوع إذا أخذ في نافقائه] (٥) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٩٢/٩ ؛ لسان العرب ٣٥٩/١٠ ؛ القاموس المحيط ٢٨٦/٣

(٢) انظر : جمهرة اللغة ١٥٥/٣ ؛ تهذيب اللغة ١٩٢/٩ ؛ لسان العرب ٣٥٩/١٠ ؛ تاج العروس ٨٠/٧ .

(٣) مقاييس اللغة ٤٥٤/٥ .

(٤) الإشتقاق / ١٩٨ .

(٥) تاج العروس ٨٠/٧ .

٤ - وقال أبو عبيد الهروي والأزهري والأصفهاني [مأخوذ من نافقاء اليربوع باعتبار خروج المنافق عن الدين فإنه يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه] (١) .

وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار خروج المنافق عن الدين من غير الوجه الذي دخل فيه يكون أقرب لأنه دخل في الإسلام بلسانه وخرج منه بقلبه .

النفاق في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال (النفاق) في القرآن الكريم والسنة النبوية على وجهين :

الوجه الأول :

نفاق الاعتقاد وهو نفاق التكذيب :

الوجه الثاني :

نفاق العمل .

وقد ذكر الإمام الترمذي ماروى عن الحسن البصري أنه قال [النفاق نفاقان نفاق العمل ونفاق التكذيب] (٢) وبه قال الإمام العيني في كتابه عمدة القارىء (٣) .

وقد ورد في القرآن الكريم استعماله على الوجه الأول ومما ورد فيه :

١ - وقوله تعالى : { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ } (٤) .

---

(١) انظر : غريب الحديث ١١٣/٣ ؛ تهذيب اللغة ١٣٢/٩ ؛ المفردات /٥٠٢ ؛ بصائر ذوي التمييز ١٠٥/٥ .

(٢) ت : ٢٠/٥ ك الإيمان باب ماجاء في علامة المنافق .

(٣) عمدة القارىء على صحيح البخاري ٢١٧/١ .

قال العيني [إن المنافق هو المظهر لمايبطن خلافه . وفي الإصطلاح هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر فان كان في إعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلاّ فهو نفاق العمل] .

(٤) سورة التوبة آية (٦٤) .

٢ – وقوله تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ } (١) .

٣ – وقول الله تعالى : { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } (٢) .

ومما ورد في السنة في هذا النوع من النفاق :

٤ – أخرج البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ .. } الآيه » (٣) .

٥ – أخرج البخاري بسنده عن صفوان بن محرز المازني قال [بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى ؟

فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول«إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره،فيقول أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ، فيقول : نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه،ورأى في نفسه أنه هالك،قال:سترتها عليك في الدنيا،وأنا أغفرها لك اليوم،فيعطي كتاب حسناته،وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » (٤) .

---

(١) سورة التوبة آية (٦٨) .

(٢) سورة المنافقون آية (١) .

(٣) خ مع فتح الباري ٢٣٢/٨ ك التفسير باب { لاتحسبن الذين يفرحو بما أوتوا}.

(٤) خ مع فتح الباري ٩٦/٥ ك المظالم باب قول اله تعالى { ألاَّ لعنة الله على الظالمين } .

٦ - أخرج البخاري بسنده عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال (إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأما اليوم فإنّما هو الكفر بعد الإيمان) (١) .

ومما ورد في الوجه الثاني من النفاق :

ورد في السنة النبوية ولم أعثر في نصوص القرآن الكريم على هذا الوجه من النفاق . ومما ورد في السنة :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أُخلف وإذا أُتمن خان » (٢) .

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعْها . إذا أُتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » (٣) .

وفي رواية للترمذي « أربع من كن فيه كان منافقاً وإن كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعْها . من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر » (٤) .

(١) خ مع فتح الباري ٦٩/١٣ ك الفتن باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه .

(٢) خ مع فتح الباري ٨٩/١ ك الإيمان باب علامة المنافق .
م : ٧٨/١ ك الإيمان باب بيان خصال المنافق .
ت : ١٩/٥ ك الإيمان باب ما جاء في علامة المنافق .

(٣) خ مع فتح الباري ٨٩/١ ك الإيمان باب علامة المنافق .
م : ٧٨/١ ك الإيمان باب بيان خصال المنافق .

(٤) ت ١٩/٥ ك الإيمان باب ماجاء في علامة المنافق .

ذم النفاق وبيان خصاله وأضراره في نصوص القرآن والسنة :

ورد ذم المنافقين، والتشنيع عليهم، والتهكم بهم، وتقبيح خصالهم، والكشف عن حقائق مافي قلوبهم، في مواضع كثيرة من القرآن وقرن الله عز وجل بينهم وبين الكافرين في العذاب بل هم أشد في نصوص كثيرة من القرآن الكريم منها :

١ - في مقام ذكر طوائف الناس أمام هداية القرآن الكريم ذكر عز وجل أن منهم مؤمناً ومنهم كافر ومنهم فئة ضعيفة عن المواجهة بالكفر فأظهرت الإيمان وأبطنت الكفر وهم المنافقون وذلك في بضع عشر آية في سورة البقرة (١) قال تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٢٦٩/١ الفخر الرازي ٥٨/٢ ؛ القرطبي ١٩٦/١ ابن كثير ٨٣/١ ؛ الدر المنثور ٧٤/١ .

وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١) .

---

(١) سورة البقرة آية [٨ - ٢٠]
قوله (ومن الناس) قال ابن جرير [أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق وأن هذه الصفة صفتهم] .
قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد ونحوهم ٢٦٨/١
- (يخادعون) [أي يظهرون خلاف مايخفون من الخدع وهو إظهار خلاف ماتخفيه من قول أو فعل يوهم أن فاعله يريد بمدلوله نفع غيره ويخفي إرادة الشر به والمخادعة مفاعلة بين اثنين كقاتل وضارب وقد تأتي من جانب واحد كما يقال عاقبت اللص وطارقت النعل] .
انظر : المفردات ١٤٣؛ لسان العرب ٦٣/٨ ؛ غرائب القرآن ١٧٠/١ ؛ التحرير والتنوير ٢٧٤/١ .
- قوله (ومايشعرون) الشعور هو الفطنة والعلم بدقة ومنه سمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل إسم للعلم الدقيق والشعور علم الشيء علم حسي ومشاعر الإنسان حواسه لأنها آلات الشعور والمراد هنا : أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لاحس له] .
انظر:المفردات:٢٦٢؛ الكشاف ٣٢/١ ؛ غرائب القرآن ٧٢/١ ؛ القاموس المحيط
- قوله (في قلوبهم مرض) قال ابن جرير [أصل المرض السقم ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان فأخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضاً وإنما عني تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض مافي قلوبهم من الإعتقاد] تفسيرالطبري المحقق ٢٧٨/١ وانظر : مقاييس اللغة ٣١١/٥ ؛ المفردات ٤٦٦ .
- قوله (وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض) الفساد خروج الشيء من الإعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة والمقصود به هنا ما كان من المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من العمل في الأرض بما نهى الله جل ثناؤه عنه وتضييع ما أمر الله بحفظه] . انظر تفسير الطبري المحقق ٢٨٩/١ ؛ المفردات /٣٧٩ =

....

= - قوله (قالوا إنما نحن مصلحون) أي قالوا إنما نريد الإصلاح بين الفريقين المسلمين وأهل الكتاب وقصروا الصلاح على أنفسهم / .
انظر : تفسير الطبري المحقق ١/٢٩٠ ؛ التحرير والتنوير ١/٣١٤ .
- قوله [ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون] بمعنى هم المخالفون لأوامر الله والبالغون الغاية في الإفساد . فأبطل الله زعمهم بأسلوب يفيد حصر الفساد فيهم] .انظر تفسيرالطبري المحقق ١/٣٢٥ الأمثال في القرآن (٢٥٦) المنافقون في القرآن (٤٤) .
- قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ..) مثل إستضاءة المنافقين بما أظهروا بألسنتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار به وتصديقهم لما جاء به حتى حكم لهم بذلك في عاجل الدنيا بحكم المسلمين في حقن الدماء والأموال والأمن على الذرية من السباءوفي المناكحة والموارثة كمثل إستضاءة الموقد النار بالنار حتى إذا ارتفق بضيائها وأبصر ماحوله مستضيئاً بنوره من الظلمة خمدت النار وانطفأت فذهب نوره وعاد المستضيء به في ظلمة وحيرة وذلك المنافق لم يزل مستضيئاً بنور الإسلام ومتمتعاً بمميزاته في الدنيا حتى إذا لاقى ربه في الآخرة ذهب عنهم ما كانوا يدعونه ويتضيؤن بنوره فهم كمن في دجى الظلمات صم بكم عمي فهم لايدركون طريق النجاة بأي حاسة من الحواس] .
قوله [أو كصيب من السماء ..]
ضرب الله مثلاً لفريق آخر من المنافقين لم يصبروا على الكفر طوال حياتهم بل يؤمنون في وقت الرخاء أحياناً فإذا أحدقت بهم الشدائد أو عرضت لهم الشبهات كفروا ونافقوا أو قوله (كصيب) الصيب المطر النازل في إنحدار فالصيب مثل لظاهر ماأظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق والظلمات التي هي فيه كظلمات ماهم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب وأما الرعد والصواعق . فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه وإما في =

٢ - وفي تحذير المؤمنين من موالاة المنافقين والكشف عما تكنّه صدورهم للمؤمنين من البغضاء والحسد (١) .

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ . هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } (٢) .

= العاجل وإما في الآجل أن يحل بهم .

فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت . يعني يتّقون وعيد الله الذي أنزله في كتابه بما يبدونه على ألسنتهم من إظهار الإيمان كما يتقي الخائف من أصوات الصواعق بتغطيه أذنيه ووضع أصابعه فيها حذراً على نفسه وكلّما أضاء لهم البرق مشوا في ضوئه فإذا ذهب ضوءه وقفوا عن المسير ولو شاء الله لسلبهم مداركهم وحواسهم التي يدركون لها فلم يستطيعوا إدراك الحق والهدى فإن الله بليغ القدرة لايعجزه شيء .

انظر : تفسير الطبري المحقق ٣٣٣/١ ؛ التحرير والتنوير ٣١٦/١ .

الأمثال في القرآن ٣٠٨ ؛ المنافقون في القرآن ٤٤ .

(١) انظر تفسيرالطبري المحقق ١٤٠/٧ .

(٢) سورة آل عمران آية (١١٨ - ١٢٠) .

قال ابن جرير [إن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ويصافونهم المودة بالأسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم وبذلك قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم] انظر تفسير الطبري المحقق ١٤٠/٧. =

٣ - في مقام التهكم بالمنافقين وبيان سوء عاقبتهم والتشنيع عليهم (١) .

قال تعالى : { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً . الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً . وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً . الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن

= وقوله (ياآيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانةً من دونكم) يعني يا آيها الذين صدقوا الله ورسوله وأُقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم لاتتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دون أهل دينكم وملتكم من غير المؤمنين . قال ابن جرير [وإنما جعل (البطانة) مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في إطلاعه على أسراره ومايطويه عن أباعده وكثير من أقاربه محل ماولي جسده من ثيابه .

وقوله { ودوا ماعنتم) أي يريدون عنتكم ويتمنَّوْن لكم الشر والإساءة .

- وقوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) فإن المنافقين ظهرت البغضاء من فلتات أقوالهم .

- (وماتخفي صدورهم أكبر) وإن ماتخفيه صدورهم من البغض أكبر مما يرد على ألسنتهم .

- وقوله { إن تمسسكم حسنةٌ تسؤهم وإن تصبكم سيئةٌ يفرحوا بها }[أن تنالوا أيها المؤمنون خيراً كانتصاركم على أعدائكم وازدياد قوَّتكم وأنصاركم إستاؤا لذلك وأن تصبكم سيئةٌ كإصابتكم في المعارك ووقوع الخلاف بينكم فرحوا بذلك].انظر : تفسيرالطبري المحقق ١٤٠/٧ - ١٥٨ ؛ حاشية الشهاب ٥٨/٣ ؛ التحرير والتنوير ٦٢/٤ ؛ المنافقون في القرآن الكريم (١٥٣- ١٥٨)

(١) انظر : تفسيرالطبري المحقق ٣١٨/٩ ؛ تفسير أبي السعود ٢٤٤/٢ ؛ التحرير والتنوير ٢٣٣/٥ .

يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً . إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً . مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً } (١) .

---

(١) سورة النساء آية (١٣٨ - ١٤٣) .

- قوله (بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) بمعنى[أخبرهم والبشارة الخبر السار الذي ينبسط له بشرة الوجه، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر والمراد بها في الآية الإنذار بالعذاب وهو تنبيه إلى أن أسر مايسمعونه الخبر بما ينالهم من العذاب وذلك من باب التهكم].

انظر: المفردات (٤٨) ؛ بصائر ذوي التمييز ٢/ ٢٠٠ ؛ التحرير والتنوير ٥/ ٣٢٢

- { إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً } بمعنى أن الله جامع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار فموفق بينهم في عقابه في نار جهنم وأليم عذابه كما اتفقوا في الدنيا فاجتمعوا على عداوة المؤمنين وتوازروا على التخذيل عن دين الله وعن الذي ارتضاه وأمر به] انظر تفسير الطبري المحقق ٩/ ٣٢٢ .

- قوله (يتربصون بكم)[التربص الإنتظار بالشيء سلعة كانت يقصد بها غلاء أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله والمراد أن المنافقين ينتظرون أن يرّوا ماتصلون إليه فإن فتح الله عليكم ونصركم على عدوكم قالوا لم نجاهد معكم وننصركم عليهم . وإن كان لأعدائكم الكافرين حظ منكم قالوا لم تغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين ونمنعكم منهم بتخذيلنا إياهم حتى امتنعوا منكم فانصرفوا] انظر تفسير الطبري المحقق ٩/ ٣٢٤ .

- قوله (مذبذبين بين ذلك)[مترددين وأصل التذبذب التحرك والإضطراب والمراد : أن المنافقين متحيرون في دينهم لايرجعون إلى إعتقاد شيء على صحة فهم لامع المؤمنين على بصيرة ولا مع المشركين على جهالة ولكنهم حيارى بين ذلك]/ انظر تفسير الطبري المحقق ٩/ ٣٣٢ ؛ المفردات / ١٧٧ .

٤ – وفي الكشف عن سوء عاقبتهم وبيان مقام عذابهم قال تعالى { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً } (١) .

٥ – وفي مقام الكشف عن أحوال المنافقين وبيان سوء سلوكهم وشدة خوفهم وذعرهم من أن يكشف الله عما في قلوبهم قال تعالى { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ } (٢) .

٦ – وفي الكشف عن حقائقهم والتشنيع على سوء نواياهم وماتكنّه صدورهم من خبث،وللاستدلال عليهم من سلوكهم وأفعالهم ذكر صفات أفعالهم في نصوص متعددة من القرآن كما وردت في السنة صفاتهم وخصالهم الذميمة يستدل المؤمنون عليهم من خلال أفعالهم مما ورد في ذلك من القرآن :

(أ) قوله تعالى { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ } (٣) .

(ب) وفي بيان أن من صفاتهم خلف الوعد قال تعالى : { وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ

---

(١) سورة النساء آية (١٤٥) .

– قوله (الدرك الأسفل) الدرك كالدرج لكن الدرج يقال إعتباراً بالصعود والدرك إعتباراً بالحدور ولذا يقال درجات الجنة،ودركات النار، والدرك الأسفل قعر جهنم والمراد أنهم أشد عذاباً من الكافرين فإن جزاءهم ومقرهم قعر جهنم،ولن يكون لهم مخلص من هذا العذاب .

انظر : المفردات (١٦٧) ؛ تفسير الطبري المحقق ٣٣٧/٩ .

(٢) سورة التوبة آية (٦٤) .

(٣) سورة التوبة اية (٦٧ – ٦٨) .

وَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (١) .

(جـ) وفي بيان أن من خصالهم الجبن وضعف قلوبهم عن الجهاد قال تعالى : { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } (٢) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } (٣) .

ومن السنة :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان » (٤) .

٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . إذا أئتمن خان ، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » (٥)

٣ - وفي بيان أن من صفاتهم التردد في دينهم وعدم الثبات على المنهج الصحيح والصراط المستقيم ، أخرج مسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين

---

(١) سورة التوبة آية (٧٥ - ٧٧) .

(٢) سورة التوبة آية (٨١) .

(٣) سورة التوبة آية (٨٦ - ٨٧) .

(٤) سبق تخريجه في إستعمالات القرآن والسنة (٣٢٢) .

(٥) سبق تخريجه في إستعمالات القرآن والسنة (٣٢٢).

تعير الى هذه مره وإلى هذه مره » (١) .

٤ - وفي بيان سوء خصالهم أخرج الترمذي بسنده عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » (٢) .

٥ - وفي بيان سوء عاقبة المنافقين ذكر عز وجل في مواضع عديدة من القرآن الكريم وما استحقوه من العذاب وقرن بينهم وبين الكافرين في العذاب بل هم أشد من ذلك :

(أ) قوله تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً } (٣) .

(ب) قال تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ } (٤) .

(جـ) قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (٥) .

(د) وقال تعالى : { .. وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (٦) .

---

(١) م : ٢١٤٦/٤ ك صفات المنافقين وأحكامهم حديث (٢٧٨٤) .
العائرة : المترددة الحائرة لاتدريء أيهما تتبعه .
تعير : أي تتردد وتذهب .

(٢) ت : ٣٧٥/٤ ك البر والصلة باب ماجاء في العي .
وقال عقبة حسن غريب .

(٣) سورة النساء آية (١٤٥) .

(٤) سورة التوبة آية (٦٨) .

(٥) سورة التوبة آية (٧٣) .

(٦) سورة التوبة آية (٧٤) .

(هـ) وقال تعالى : { لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا } (١) .

(و) وقوله تعالى : { وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } (٢) .

(ز) ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم « في أمتي اثنا عشر منافقاً لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط ثمانية منهم تكفيهم الذبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » (٣) .

وفي القرآن والسنة نصوص كثيرة ولكن تخيَّرت بعضها علَّها تُلِمُّ بالموضوع خشية الإطالة .

---

(١) سورة الأحزاب آية (٦٠ – ٦١) .

(٢) سورة التوبة آية (١٠١) .

(٣) م : ٢١٤٤/٤ ك صفات المنافقين .

من النصوص السابقة تجلّت الحقائق التالية :

١ - نفي صفة الإيمان عن المنافقين ووصمهم بصفة الخداع والخيانة والكذب فقد كذبوا في إدعائهم الإيمان فكشف الله عز وجل حقيقتهم بقوله { وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } . ووصمهم بأخبث الصفات فقال { يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ } .

وقال تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } .

وأثبت لهم صفة التبلد وعدم الإحساس بقوله { وَمَا يَشْعُرُونَ }

٢ - وصمهم بصفة المرض الدالة على السقم والضعف والعجز قال تعالى : { فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } .

٣ - أنهم أهل الفساد في الأرض قال تعالى : { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ } .

٤ - استحقاقهم التشنيع عليهم وبيان أنهم بلغوا من الجهل والبله، وعدم الإدراك، أن عطّلوا حواسهم، فلم يدركوا النور والهداية، فأصبحوا كمن عطلت حواسه، فهم صم لايسمعون ، بكم لاينطقون ، عمي لايبصرون .

٥ - من صفاتهم الدالة على نفاقهم الكسل في أداء العبادات والرياء فيها وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ } .

٦ - أنهم لايذكرون الله إلا قليلاً إبتغاء الرياء والسمعة وذلك مادل عليه قوله تعالى : { وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } .

٧ - أنهم قوم مترددون في دينهم مذبذبين لا قرار لهم ولا استقرار وذلك مادل عليه قوله تعالى : { مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ }

٨ - أن من صفاتهم أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وذلك مادل عليه قوله تعالى : { يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ } .

٩ - أن من صفاتهم البخل عن الإنفاق في سبيل الله كما دل عليه قوله تعالى : { وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } .

١٠ - أن سلوكهم منحرف وخارج عن طريق الهداية والإستقامة لذلك وصمهم بصفة الفسق والخروج عن الحق في قوله تعالى : { إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ }

١١ - إستحقاقهم التهكم بهم وتبشيرهم بسوء عاقبتهم وبيان أنواع عذابهم :-

(١) تبشيرهم بأن لهم عذاباً أليماً لقوله تعالى : { بَشِّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } .

(٢) جمعهم مع الكافرين في عذاب جهنم كما دل عليه قوله تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } .

(٣) إستحقاقهم الخلود في النار كما دل على ذلك قوله تعالى : { وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ } { وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }

(٤) أن المنافقيمن أشد عذاباً من الكافرين فقد استحقوا الخلود في قعر جهنم وذلك مادل عليه قوله تعالى بصيغة التاكيد { إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ } .

(٥) استحقاقهم اللعن والخذلان فهم ملعونون مخذولون لايجدون لهم شفيعاً ولا نصيراً من عذاب الله وذلك مادل عليه قوله تعالى { وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ } { وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } وقوله { مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا } .

(٦) إستحقاقهم العذاب في الدنيا والآخرة . وذلك مادل عليه قوله تعالى { وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } .

وقوله { سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ } .

(٧) حرمانهم دخول الجنة أو أن يجدوا ريحها وذلك مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « في أمتي اثنا عشر منافقاً لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها .. » .

وقد ورد في النصوص السابقة صفات وخصال للمنافقين لم أذكرها لوضوحها في النصوص مما أغنى عن إعادة استخلاصها في هذا الموضع .

الباب الثاني
[[مجاهدة النفس وعقوبتها]]

تمهيد :

الفصل الأول : تعميق الشعور بالمسؤولية ،

الفصل الثاني: الإيمان بنقاء الفطرة البشرية ،

الفصل الثالث: إدامة التفكر في خلق الله والنظر في آياته ،

الفصل الرابع: الفقه في الدين ،

الفصل الخامس: التمسك بالدين والاعتزاز به ،

الفصل السادس: مراقبة النفس ومحاسبتها ،

١ - الخشية من الله ،

٢ - الرضا بقضاء الله وقدره ،

٣ - معرفة الانسان نفسه ،

٤ - التوبة ،

الفصل السابع : كبح جماح النفس

١ - الزهـد ،

٢ - الالتجاء إلى العبادات ،

أ - الصـلاة ،

ب - الصـوم ،

جـ - الذكـر ،

٣ - تعظيم الأمل في النعيم الأخروي .

الفصل الثامن : انحرافات في جهاد النفس

١ - انحرافات في العبادات

أ - انحرافات في الصـلاة ،

ب - انحرافات في الصيام ،

جـ - انحرافات في الذكـر ،

٢ - تحريم ما أحل الله من الطيبات ،

٣ - تعذيب البدن بزعم أنه طاعة لله ،

٤ - العزلة وإهمال شئون الحيـاة .

تمهيد :

أن مجاهدة النفس وإخضاعها للسير إلى الله، وكبح جماح شهواتها، وملذاتها، وركونها إلى الدنيا، واجتذابها إلى طريق الله عز وجل، وإلى بذلها لكسب رضا الخالق سبحانه، واجتناب سخطه، وغضبه، أمر عسير على النفس ، لما جبلت عليه من حب الإنطلاق والسير وراء ماتمليه عليها غرائزها وشهواتها وأهواؤها من الميل إلى متع الحياة الدنيا الفانية كما قال تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } (١) .

وإن علاج النفس من هذه الأدوار الفتّاكة لايتم إلا عن طريق إتباعها ما أنزل الله إليها من الإيمان بالله، والشعور بالمسؤولية أمام الله، وإدامة التفكر في خلق الله، والتمسك بالدين والإعتزاز به، والصبر على تنفيذ كل ذلك حتى تتحقق لها السعادة الدنيوية والآخروية وتحظى برضوان الله ونعيمه وجنّاته .

ومجالات مجاهدة النفس كثيرة لايمكن حصرها، إلاّ أن المنهج لتحقيق ذلك يمكن استنباطه من نصوص القرآن والسنة ووضع أُساسيات هذا المنهـج في عناصر مجملة :-

أولاً : تعميق الشعور بالمسؤولية .

ثانياً : الإيمان بنقاء الفطرة البشريه .

ثالثاً : إدامة التفكر في خلق الله .

رابعاً : التفقه في الدين .

خامساً: التمسك بالدين والإعتزاز به .

سادساً: مراقبة النفس ومحاسبتها .

سابعاً : الخشية من الله تعالى .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٤) .

ثامناً : التوبــة .

تاسعاً : الزهد في ملذات الدنيا وعدم التعلق والإنشغال بها .

عاشراً: الإلتجاء إلى العبادات كالصلاة والصوم والذكر .

أحدعشر: تعظيم الأمل في النعيم الآخروي .

الفصل الأول

« تعميق الشعور بالمسئولية »

المعنى في اللغة :

المسئولية : إسم مفعول من سأل يسأل سؤالاً ومسألة (١) .

ترد في اللغة بمعان منها :-

١ - الاستعطاء :

سأله الشيء بمعنى استعطاه إياه (٢) .

٢ - الإستخبار :

سأله عن الشيء بمعنى استخبره واستعمله (٣) .

٣ - طلب المعرفه :

تساءلوا إذا سأل بعضهم بعضاً طلباً للمعرفة (٤) .

٤ - الرجـاء :

نقل الزبيدي عن الخفاجي أنه قال : [سأل يتعدى بنفسه وبعن ومن وفي إذا كان بمعنى الرجاء لا الاستعطاف] (٥) .

والمسئول هو الشيء المطلوب (٦) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٦٦/١٣ ؛ مقاييس اللغة ١٢٤/٣ ؛ لسان العرب ٣١٨/١١

(٢) انظر : لسان العرب ٣١٩/١١ ؛ تاج العروس ٣٦٥/٧ .

(٣) انظر : المصباح المنير ٢٩٧ ؛ لسان العرب ٣١٩/١١ ؛ تاج العروس ٣٦٥/٧ .

(٤) انظر : الصحاح ١٧٢٣/٥ ؛ المصباح المنير ٢٩٧ ؛ لسان العرب ٣١٩/١١ .

(٥) انظر : تاج العروس ٣٦٥/٧ .

(٦) المصباح المنير /٢٩٧ .

استعمالات القرآن والسنة :

ورد ذكر السؤال في القرآن والسنة لوجوه متعددة منها :

١ - الوجه الأول : الاستفتاء على وجه التعلم (١) .

ومما ورد في ذلك قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } (٢) .

ومنه قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ } (٣) .

ومنه قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ } (٤) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « .. من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لاتسألوني عن شيء إلاّ أخبرتكم به مادمت في مقامي هذا .. » (٥) .

ومنه قوله « .. فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج » (٦) .

٢ - الوجه الثاني : الاستمتاع والاستعطاء (٧) .

ومما ورد فيه قوله تعالى : { وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

---

(١) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر /٢٢٣ ؛ النهاية في غريب الحديث ٣٢٨/٢ ؛ بصائر ذوي التمييز ١٦٢/٣ .

(٢) سورة البقرة آية (١٨٩) .

(٣) سورة البقرة آية (٢١٥) .

(٤) سورة البقرة آية (٢١٧) .

(٥) خ مع فتح الباري ٢٦٤/١٣ ك الإعتصام باب مايكره من كثرة السؤال ومن تكلف مالايعنيه .

(٦) خ مع فتح الباري ١٨٠/١ ك العلم باب الفتيا وهو واقف على الدابة .

(٧) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر /٢٢٣ ؛ تفسير أبي السعود ١٩٤/١ ؛ بصائر ذوي التمييز ١٩٢/٣ .

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ .. } (١) .
ومنه قوله تعالى : { لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ } (٢)
وقوله تعالى : { وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ } (٣) .

ومنه « .. أن أناساً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفذ ماعنده .. » (٤) .

٣ - الوجه الثالث : الدعاء وطلب الإجابة (٥) .

ومما ورد فيه قوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } (٦) .
ومنه قوله تعالى : { يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (٧) .
ومنه قوله تعالى { سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ } (٨) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « ستكون أثرة وأمور تنكرونها قالوا يارسول الله فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم » (٩) .

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٧) .
(٢) سورة المعارج آية (٢٥) .
(٣) سورة الضحى آية (١٠) .
(٤) خ مع فتح الباري ٣٠٣/١١ ك الرقاق باب الصبر عن محارم الله .
(٥) انظر : غريب القرآن لإبن قتيبة/٤٨٥ ؛إصلاح الوجوه والنظائر/٢٢٣ ؛ بصائر ذوي التمييز ١٦٢/٣ ؛ تفسير أبي السعود ١٨١/٨ ؛ ٢٩/٩ . المسئولية في القرآن /٣٤ .
(٦) سورة البقره آية (١٨٦) .
(٧) سورة الرحمن آية (٢٩) .
(٨) سورة المعارج آية (١) .
(٩) خ مع فتح الباري ٦١٢/٦ ك المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٥/١٣ ك الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدي أموراً تنكرونها) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه .. » (١) .

ومنه ماورد من قول أحد الصحابة « اللهم إني اسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولدولم يكن له كفواً أحد . قال : فقال : «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » (٢) .

٤ - الوجه الرابع : سؤال استخبار وإسترشاد وطلب معرفة (٣) .

ومما ورد فيه قوله تعالى : { فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (٤)

ومنه قوله تعالى { وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ } (٥) .

ومنه { فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْئَلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا } (٦)

ومنه ماورد في الحديث « أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير ؟ .. » (٧) .

---

(١) خ مع فتح الباري ٢٩/٣ ك التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل .

(٢) ت : ٥١٥/٥ ك الدعوات باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبوعيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١٦/٢٧ ؛ أنوار التنزيل ٢٨٧ ؛ تفسير أبي السعود ٥٦/٦ ؛ المسؤولية في القرآن (٣٣) .

(٤) سورة الأنبياء آيه (٧) .

(٥) سورة الزخرف آيه (٤٥) .

(٦) سورة الكهف ، آية (٧٠) .

وانظر : خ مع فتح الباري ٤٠٩/٨ ك التفسير باب (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) .

(٧) خ مع فتح الباري ٥٥/١ ك الإيمان باب إطعام الطعام من الإسلام .

٥ – الوجه الخامس : سؤال محاسبة ومناقشة (١) .

ومما ورد فيه قوله تعالى{ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } (٢)

ومنه قوله تعالى { فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } (٣) .

ومنه قوله تعالى { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } (٤) .

ومنه قوله تعالى { .. وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (٥) .

ومنه قوله تعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (٦) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « ألاَّ كلكلم راعٍ وكلكلم مسئول عن رعيته فالإمام الأعظم الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته .. » (٧) .

ومنه قوله « .. خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسئلون » (٨)

ومنه قوله « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل .. » (٩) .

---

(١) انظر : إصلاح الوجوه والنظائر/٢٢٣ ؛ المحرر الوجيز ١٠/٧ ؛ الفخر الرازي ٢١٣/١٩ ، ١٥٦/٢٢ ، ٢١٥/٢٧ ؛ تفسير الخازن ٢٥٧/٣ ؛ أبو السعود ٢١٢/٣ ، ٤٨/٨ . المسئولية في القرآن /٣٤ .

(٢) سورة الأعراف آية (٦) .

(٣) سورة الحجر آية (٩٢) .

(٤) سورة الزخرف آية (٤٤) .

(٥) سورة الأنبياء آية (٢٣) .

(٦) سورة الإسراء آية (٣٦) .

(٧) خ مع فتح الباري ١١١/١٣ ك الأحكام باب قول الله تعالى { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول .. } .

(٨) م : ٢٠٤١/٤ ك القدر باب كيفية الخلق الآدمي .

(٩) ت : ٦١٢/٤ ك صفة القيامة باب في القيامة . وقال أبو عيسى: حسن صحيح

٦ - الوجه السادس : السؤال على وجه المخاصمة والمجادلة والتعنت (١) .

ومما ورد فيه قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ .. } (٢) .

وقوله تعالى { .. وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } (٣) .

وقوله تعالى { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ } (٤) .

٧ - الوجه السابع : سؤال على وجه المراجعة والإعتراض (٥) .

ومما ورد فيه قوله تعالى { فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } (٦) .

ومنه قوله تعالى { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ } (٧)

وقوله تعالى { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ .. } (٨) .

٨ - الوجه الثامن : سؤال تكبيت وتقريع وتقرير (٩) .

ومما ورد فيه قوله تعالى { سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ } (١٠)

ومنه قوله تعالى { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } (١١) .

---

(١) انظر: إصلاح الوجوه والنظائر/٢٢٣ ؛ تفسير الفخر الرازي ١٣٣/٢٦ ؛ تفسير أبي السعود ١٨٨/٧ ، ٨٤/٩ ؛ المسئولية في القرآن للشافعي /٣٤ .

(٢) سورة الأسراء آية (٨٥) .

(٣) سورة الصافات آية (٢٧) .

(٤) سورة النبأ آية (١) .

(٥) انظر :إصلاح الوجوه والنظائر /٢٢٣ ؛ المحرر الوجيز ١٦٥/٩ الخازن ٢٥٧/٣ أبي السعود ٦٢/٦ .

(٦) سورة هود آية (٤٦) .

(٧) سورة هود آية (٤٧) .

(٨) سورة الأنبياء آية (٢٣) .

(٩) انظر : المفردات /٢٥٠ ؛ تفسير الفخر الرازي ١٣٢/٢٦ ، تفسير أبي السعود ٢١٣/١ ، ١٨٨/٧ ، ٥١٩ ؛ الكليات ١٦/٣ ؛ التحرير والتنوير ١٠٢/٢٣ .

(١٠) سورة البقرة آية (٢١١) .

(١١) سورة التكوير آية (٨) .

ومنه قوله تعالى{ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } (١)

وقوله تعالى { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ } (٢) .

٩ - الوجه التاسع : الطلب (٣) .

ومما ورد فيه قوله تعالى { يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا } (٤) .

وقوله تعالى { قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ } (٥) .

وقوله تعالى { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } (٦) .

والوجه المقصود من هذه الاستعمالات في بحثي هذا هو ماورد بمعنى المحاسبة والمناقشة، فإن الإنسان إذا لم يستشعر أنه محاسب على أعماله وأقواله لن يستطيع أن يكبح جماح شهواته وملذاته، ولن يتمكن من منع لسانه ويده وجوارحه أن تعصي الله ورسوله، فالشعور بالمسئولية نحو كل كلمة يتلفظ بها الإنسان، وكل عمل يعمله يكون له أثره البالغ في ضبط النفس، وتهذيب غرائزها، وأهوائها، وشهواتها إلى ماتحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الملك آية (٨) .

(٢) سورة الصافات آية (٢٤) .

(٣) انظر: الفخر الرازي ٢٠/٦/٢٠٦؛ أبوالسعود ٢١٦/٤؛ التحرير والتنوير ٣١٦/١٨

(٤) سورة هود آية (٥١) .

(٥) سورة سبأ آية (٤٧) .

(٦) سورة الإسراء آية (٣٤) .

(٧) ذكر ابن الأثير في النهاية أن السؤال في القرآن والسنة نوعان [أحدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تمس الحاجة إليه ، فهو مباح أو مندوب أو مأمور به . والآخر ما كان على طريق التكلف والتعنت فهو مكروه ومنهي عنه فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإنما هو ردع وزجر للسائل وإن وقع الجواب محنة فهو عقوبة وتغليظ] انظر النهاية ٣٢٨/٢ .
وقد وجه الدكتور الشافعي في رسالته المسئولية في القرآن أن ابن الأثير ربما خص كلامه على بيان حكم سؤال الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلص الدكتور الشافعي سبعة أوجه . وقد تمكنت من استفادة وجهين فأصبحت تسعة أوجه والله اعلم .

المسئولية وبيان مجالاتها وأهميتها في القرآن والسنة :

ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف بيان أهمية المسئولية وحدود مسئوولية كل فرد ومايترتب على ذلك من حساب ونقاش أمام الله تعالى في مواضع ونصوص كثيرة منها :

١ - في مقام تقريع اليهود والنصارى الذين كانوا يفتخرون بآبائهم وأنبيائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويعتقدون أن ذلك ينفعهم بيّن عز وجل أن كل أمة مسئولة عن أعمالها وعمّا قدمت من خير أو شر ولن تنفعهم أعمال آبائهم وأجدادهم وأنبيائهم (١) قال تعالى { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٢) .

٢ - في مقام التوبيخ والتقريع للعصاة،والتشريف والتعظيم للمطيعين ودفع الوهم بأن ما أصاب الأمم من هلاك في الدنيا هو نهاية العذاب أخبر عز وجل عن عذابهم يوم الحشر (٣) . قال تعالى : { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } (٤) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٣/١٠٠ ، ١٢٨ ، الخازن ٨٨/١ ؛ تفسيرابن كثير ١٤٥/٣ .

(٢) سورة البقرة آية (١٣٤) ومثلها (١٤١) .

والمعنى [يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ماهم أهله ولاتنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفوها إليهم،فإنهم أمة قد مضت لسبيلها لها ماكسبت من أعمالها من خير أو شر، ولكم مثل ذلك،فإن لكل نفس ماكسبت وعليها مااكتسبت،يعني كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل غيره] انظرتفسير الطبري ٣/١٠٠ ؛ تفسيرالخازن ٨٨/١ .

(٣) انظر : نظم الدرر ٣٥٦/٧ ؛ التحرير والتنوير - القسم الثاني ٢٦/٨ .

(٤) سورة الأعراف آية (٦) .

والمعنى [أن الله تعالى يسأل الأمم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به،ويسأل الرسل أيضاً عن إبلاغ رسالاته كما ورد عن ابن عباس في هذه =

٣ - في وعيد الكفرة وتأكيد سؤال الفرق جميعها يوم القيامة سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا : (١)

قال تعالى : { فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٢) .

٤ - في مقام التهكم بالمشركين وتوبيخهم على افترائهم ومقابلة نعم الله بالجحود وتوجيه العبادة لغيره(٣) قال تعالى :{ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ } (٤) .

= الآيه (فلتسألن الذين أرسل إليهم الرسل الآية قال : عمَّا بلغوا) انظر تفسير ابن كثير ١٤٥/٣ .

قال ابن عاشور [وسؤال المرسلين عن تبليغهم الرسالة إرهاب لأممهم لأنهم إذا سمعوا شهادة رسلهم عليهم أيقنوا بأنهم مسوقون إلى العذاب] انظر التحرير القسم الثاني من ٢٦/٨ .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٧٥/٤ وتفسير أبي السعود ٩٢/٥ التحرير والتنوير ٨٧/١٣ .

(٢) سورة الحجر آية (٩٢) .

[القسم لتأكيد الخبر بأن الله تعالى سيسأل النفر الذين افتروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال رب يغضب لرسوله وسيجازيهم بقولهم وفعلهم أشد العذاب] انظر ابن كثير والتحرير .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢٠٠/٤-٢٠١ ؛ نظم الدرر ١٨٢/١١ .

(٤) سورة النحل آية (٥٤ - ٥٦)

[قوله {فتمتعوا} أي إعملوا ماشئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلاً (فسوف تعلمون) أي إعملوا ماشئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلاً فسوف تعلمون عاقبة ذلك . وقوله (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) أقسم تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن إفترائهم وليجازينهم عليه أوفر الجزاء في نار جهنم) انظر : تفسير ابن كثير ٢٠٠/٤ - ٢٠١ .

٥ - في مقام بيان قدرة الله على كل شيء وأن حكمة الله اقتضت أن يكون في خلقه سعداء وأشقياء ليسألنهم يوم القيامة ويحاسبهم على أعمالهم فيجازيهم ربهم عليها (١) قال تعالى { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (٢) .

٦ - في معرض ذكر المنهيات التي يجب على المؤمن أن يتجنبها بيَّن عز وجل أن جوارح الإنسان ومداركه التي أنعم بها عليه مسؤولة عن أي عمل تعمله بها (٣) قال تعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (٤) .

٧ - لما أقام الله عز وجل البرهان القطعي على صحة نفي إله غير الله أثبت عز

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢٢٣/٤ . نظم الدرر ٢٤٤/١١ ؛ التحرير والتنوير ٢٦٧/١٤ .

(٢) سورة النحل آية (٩٣) .

والمعني [أن الله تعالى قادر على أن يجمع الناس ويجعلهم أمة واحدة على الحق ولكن مشيئته اقتضت أن يكون بعض الخلق على ضلالة وبعضهم على هدى ليسألهم يوم القيامة ويحاسبهم على أعمالهم فيجازيهم عليها .

قال ابن عاشور في قوله { ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء } قد يغتر به قصار الأنظار فيحسبون أن الضالين والمهتدين سواء عند الله وأن الضالين معذورون في ضلالهم إذ كان من أثر مشيئة الله فعقَّب ذلك بقوله تعالى { ولتسئلن عما كنتم تعملون } .

(٣) انظر : تفسر ابن كثير ٣٠٧/٤ ؛ نظم الدرر ٤١٣/١١ .

(٤) سورة الإسراء آية (٣٦) .

وقال ابن كثير [إن الله نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالى { اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم } وقوله (كل أولئك) أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسئولا) أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة وعمَّا عمل فيها] انظر : تفسير ابن كثير ٣٠٨/٤ .

وجل أنه وحده الإله الخالق المتفرد بصفات الألوهية وأنه لا يسأل عما يفعل (١) .قال تعالى : { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (٢) .

٨ - في إثبات مسئولية كل إنسان عن عمله وأنه لايسأل أحد عن فعل الآخرين (٣) قال تعالى : { قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (٤) .

٩ - في مقام تقريع الكفار على فتنتهم للمؤمنين جهلاً بالله وغروراً وإنكاراً للآخرة ذكر سبحانه وتعالى متعجباً منهم ومؤكداً لهم مسئولية كل إنسان عن عمله وإن كان من زيّن للآخر طريقاً كان شريكه في عمله إن خيراً أو شراً (٥).
قال تعالى:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٥٧/٤ . نظم الدرر ٤٠٢/١٢ .

(٢) سورة الأنبياء آية (٢٣) .
قال ابن كثير [أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولايعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه (وهم يسئلون) أي وهو سائل خلقه عما يعلمون كقوله تعالى { فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون } .

(٣) انظر : زاد المسير ٤٥٥/٦ . ابن كثير ٥٥٢/٥ ؛ التحرير والتنوير ١٩٣/٢٢

(٤) سورة سبأ آية (٢٥) .
والمعنى [أنكم لاتؤاخذون بما عملنا كما أننا لانؤاخذ بما تعملون من كفر وتكذيب والمراد إظهار التبروء من الكفرة والمكذبين بمعنى أننا ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيده وإفراده بالعبادة فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم بريئون منا كما قال تعالى { فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون }] .
انظر : تفسير ابن كثير ٥٥٢/٥ ؛ التحرير ١٩٣/٢٢ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣١١/٥ ؛ نظم الدرر ٤٠٢/١٤ ؛ الواضح ١٩٤/٢ . التحرير والتنوير ٢٢١/٢٠ .

وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (١) .

١٠ - في مقام التقريع والتوبيخ أخبر تعالى أن يوم الحشر يميز الله بين الكفار والمؤمنين في الموقف والمحشر والنشر (٢) قال تعالى { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ } (٣) .

---

(١) سورة العنكبوت آية (١٢ ، ١٣) .

- قوله (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ..) أخبر سبحانه وتعالى عن كفار قريش وإغرائهم للمؤمنين بدعوتهم إلى إتّباعهم وترك الإسلام والإنضمام إليهم وإدعاء المشركين بأنهم سيتحملون عن المؤمنين أوزارهم فأثبت الله تعالى أن كلاً يحمل أوزاره بل أن دعاة الشرك والضلال يحملون أوزارهم وأوزار من أضلوهم - من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً - كما قال تعالى { ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم } ومن الحديث الصحيح (.. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من إتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً) .

قوله { ليسئلن عما كانوا يفترون } أي مؤاخذون ومحاسبون بجميع ما اختلقوه من الإفك والتضليل سواء ما أضلوا به أتباعهم وماحاولوا به تضليل المسلمين وقد شمل ذلك كله لفظ الإفتراء كما ذكر ابن عاشور .

(٢) انظر: تفسيرابن كثير ٦/٧ ؛ أبوالسعود ١٨٨/٧؛ التحرير والتنوير٢٣/١٠١ .

(٣) سورة الصافات آية (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) .

قوله { احشروا } الحشر جمع المتفرقين في مكان واحد .

- { الذين ظلموا } المشركون لقوله تعالى { إن الشرك لظلم عظيم } .

- { وأزواجهم } المراد كل من وافقهم في الشرك أو كانت فيه صفة من صفاتهم وذكر الأزواج إبلاغ في الوعيد والإنذار لئلا يحسبوا أن النساء المشركات لاتبعة عليهن . (إهدوهم إلى صراط الجحيم) أي أرشدوهم إلى طريق جهنم (وقفوهم إنهم مسئولون) أي قفوهم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا . وذكر ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال (إحبسوهم إنهم محاسبون) .

١١ – في مقام الإنكار على المشركين إفتراءهم على الله تعالى وتهديدهم ووعيدهم من الله عز وجل (١) قال تعالى { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ } (٢) .

١٢ – في بيان أنواع مسئولية كل إنسان عما يعمل وبيان أنواع المسئولية عن كل ماوقع في حدود مسئوليته أخبر النبي صلى الله عليه وسلم صحابته وأمته عامة بأن كلاً مسئوول عما وكل به في قوله عليه الصلاة والسلام « ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الأعظم الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته » (٣)

١٣ – وفي بيان أهم وأعظم الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه » (٤) .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢٢١/٦؛ تفسير أبي السعود ٤٣/٨؛ التحرير والتنوير ١٨٤/٢٥ .

(٢) سورة الزخرف آية (١٩). قوله { وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً } أي إعتقدوا فيهم ذلك فأنكر الله تعالى عليهم قولهم ذلك فقال (أشهدوا خلقهم) أي شاهدوه وقد خلقهم إناثاً (ستكتب شهادتهم) أي بذلك (ويسئلون) عن ذلك يوم القيامة وسؤالهم سؤال تهديد وإنذار بالعقاب وليس مما يتطلب عنه جواب كقوله تعالى { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } .
قال ابن عاشور [ومنه قول كعب بن زهير :
لذاك أهيب عندي إذا كلّمه ∴ وقيل إنك منسوب ومسؤول
أي مسئول عما سبق منك من التكذيب الذي هو معلوم للسائل .

(٣) خ مع فتح الباري ١١١/١٣ ك الأحكام باب قول الله تعالى { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } .

(٤) ت : ٦١٢/٤ ك صفة القيامة باب في القيامة ؛ وقال عقبة حسن صحيح .

تبيَّن من النصوص السابقة أن تعميق الشعور بالمسئولية يتحقق بإتباع الآتي :

أولاً : تعميق الشعور بالمسؤولية عما يفعله الإنسان من خير أو شر .

إن المسؤولية لاتكون إلا إذا وجد نوع من الإختيار أو قدر منه ومحاسبة المسئول تنبني على إختياره أساساً، حيث أن الله تعالى قد منحه وسائل الإدراك، والعقل، والإرادة، وبيَّن له طريق الخير، وطريق الشر، فإذا سلك طريق الخير فبإختياره، وإن سلك طريق الشر فبإختياره، ومن هنا تنشأ المسئولية وتصبح امراً أساسياً لجهاد النفس ، فإن الشعور بالمسئولية عن كل مايفعله الإنسان من خير أو شر قاعدة أساسية لجهاد النفس، ولا يتم هذا الشعور إلاَّ إذا توفَّر الإيمان باليوم الآخر فهو [الوازع الحقيقي والدافع الذي يكمن وراء الشعور بالمسئولية الجدّية الحقه] (١) .

وأنه لاشعور محققاً للسعادة، ومثمراً للخير الأبدي بدون هذا الإيمان ، فإن الإنسان إذا آمن إيماناً صادقاً - مقروناً بالخضوع والتسليم والإذعان وعدم التأبي - بأن هناك يوماً آخر تشخص فيه الأبصار ويكون فيه الحساب على كل صغيرة وكبيرة وأن كل إنسان مسئول أمام الله تعالى عن أعماله وسيجد كل ماعمله مسجلاً عليه حاضراً في ذلك اليوم الذي قال تعالى عنه : { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (٢) .

إن هذا الإيمان يدفع بالإنسان إلى الشعور بأنه مسؤول ومطالب بالوفاء أمام الله تعالى عن كل ما أنعم الله به عليه ويؤمن أن الله خلقه لعبادته وللخلافة في الأرض لقوله تعالى { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } (٣) .

---

(١) أصول التربية الإسلامية . للنحلاوي (٩٨) .

(٢) سورة الإسراء آية (١٣) .

(٣) سورة البقرة آية (٣٠) .

وقوله تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (١) .

ولتعميق الشعور بالمسئولية ينبغي للإنسان أن يعلم علماً يقينياً بأنه مسؤول عن كل مايقوم به من عمل من خير أو شر لقوله تعالى { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (٢) .

وأنه وحده الذي يتحمل جزاء عمله فلا يتحمل عنه من ذنبه أحد كما أنه لايتحمل من ذنب غيره شيئا ولايعاقب عليه لقوله تعالى { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ } (٣) .

وقوله تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (٤) .

وقوله تعالى { قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (٥) .

ثانياً : شمول المسئولية لجميع نواحي الحياة وعن جميع نعم الله

أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه سيسأل عباده عن نعمه فيم استعملوها وسخّروها وسيسأل جوارحهم التي هي من نعمه فيم سخروها وذلك مادل عليه قوله تعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (٦) فقد نهى الله عز وجل عن تتبع ماليس للعبد علم يقين به لأنه سيسأل يوم القيامة سؤال مؤاخذة بالتقصير، ومجاوزة الحد في استعمال ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر والفؤاد

---

(١) سورة الذاريات آية (٥٦) .
(٢) سورة الأنبياء آية (٢٣) .
(٣) سورة الأنعام آية (١٦٤) .
(٤) سورة العنكبوت آية (١٣)(١٢) .
(٥) سورة سبأ آية (٢٥) .
(٦) سورة الإسراء آية (٣٦) .

وستسأل هذه الجوارح عنه فيم عمل بها، وفيم استعملها في طاعة الله ورضاه، أم في معصيته وسخطه، لأن العبد إذا أدرك أن هذه الجوارح من نعم الله عليه كان حتماً عليه ألاَّ يسخِّرها إلاَّ في طاعة الله ورضاه، فلا يسخِّر سمعه إلاَّ فيما يرضي ربه، ولايصرف بصره إلاَّ في طاعة ربه، ولايصرف قلبه إلاَّ في عبادة ربه، وطاعته، والتصديق بأوامره، واجتناب نواهيه . فالإنسان مسؤول أمام الله تعالى سؤال مناقشة، ومحاسبة، ومجازاة، وهذا دليل على شمول مسؤولية العبد عن كل جانب من جوانب حياته، وعن كل شيء في حياته صغيراً كان أو كبيراً، ومن كل ما أنعم الله به عليه، ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه » (١) .

ثالثاً : شمول المسئولية لكل عبد مكلف :

لتعميق الشعور بالمسئولية يجب التيقن والإيمان بأن المسئولية تشمل كل عبد دون إستثناء، فالأنبياء مسؤولون وهم صفوة البشر، والعباد مسؤولون وهم عامة الناس وخاصَّتهم، مهما اختلفت مراكزهم ودرجاتهم وقد دل على ذلك قوله تعالى : { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } (٢) .

وفي سؤال الرسل عما أرسلوا به هل بلّغوه أم لم يبلّغوا - والله أعلم بهم - زيادة ترهيب لأممهم وبيان شمول مسؤوليتهم ومحاسبتهم ومجازاتهم .

وفي قوله تعالى { فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٣) تأكيد لسؤال جميع العباد - والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - فدلالة الآية شمول السؤال لكل عبد عن عمله .

---

(١) ت : ٦١٢/٤ ك صفة القيامة باب في القيامة وقال أبوعيسى حسن صحيح .

(٢) سورة الأعراف آية (٦) .

(٣) سورة الحجر آية (٩٢) .

فإذا ماتيقن العبد من سؤاله عن كل عمله صغيره وكبيره،فإنه سيدرك أهمية المسؤولية،وسيشعر بالمسؤولية تجاه كل مايصدر عنه،وفي ذلك مصالح للفرد والمجتمع . فإن الفرد الذي يشعر بالمسؤولية هو إنسان صالح والمجتمع يتكون من الأفراد وبصلاح الفرد يصلح المجتمع .

رابعاً : الإيمان بأن عدم الشعور بالمسؤولية سبب لتحقق الخسارة الأخروية وذلك مادل عليه قوله تعالى { ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ } (١) .

وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى يوم القيامة يميز في الحشر بين المؤمنين،والكافرين،والظالمين،ونحوهم،فيحشر كل فئة إلى مصيرها،ثم يسألون سؤال تقريع وتوبيخ { وقفوهم إنهم مسؤولون } .

وعدم الشعور بالمسؤولية ظلم للنفس،ومجاوزة لحدود الحق،لأن العبد مسؤول عن نعم الله عليه،وعن استعمالها فإذا لم يشعر بالمسؤولية هذه كان من الظالمين يوم القيامة،واستحق ما أعده الله تعالى للظالمين من العقاب .

خامساً: الإيمان بما أخبر تعالى عن سؤال العبد يوم القيامة،حتى بعد مناقشة الحساب،والعقاب،والجزاء،فإنه يسأل بعد ذلك سؤال تقريع وتوبيخ وهو يساق للعذاب،لتقريره عن سوء فعله،وما جناه على نفسه بسوء إختياره وأنه إختار لنفسه الضلال لقوله تعالى { مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } (٢)

فأخبر عز وجل أنه من إهتدى،وأتبع الحق،واقتفى أثر النبوة،فإنما يجني عاقبة ذلك الجزاء الحسن،ومن ضل عن الحق،وزاغ عن السبيل،فإنما يجني على نفسه،ويعود وبال سوء إختياره عليه . فإنه لايحمل أحد ذنباً عن أحد،ولايجني جان إلاّ على نفسه ، ومن عدله عز وجل أنه مايسأل عباده ويحاسبهم ويكلفهم

---

(١) سورة الصافات (آية ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) الإسراء ، آية (١٥) .

إلاَّ بعد أن يبعث الرسل ليبينوا لهم الطريق وما عليهم من الحقوق والواجبات ومايكون لهم ، وإن العبد بعد ذلك سيناقش ويحاسب وقبل دخوله العذاب يقول تعالى { قفوهم إنهم مسؤولون } فإنهم سيسألون سؤال تقرير وتبكيت بهم ليزدادوا عذاباً إلى عذابهم وفي ذلك توجيه للمؤمنين بأن لايسلكوا مسلك الكفار وأن يعلم كل فرد أنه محاسب على كل صغيرة وكبيرة، فإذا سلك مسلك الكفار فإنه يلحقه مالحقهم من التبكيت والتقريع مع سوء مصيره وعقابه . وإذا سلك مسلك المؤمنين كان من أهل الخير والفلاح .

* * *

إن تعميق الشعور بالمسؤولية هو بداية طريق جهاد النفس، لأنه بتذكيرها الدائم والمستمر بمسؤوليتها عن كل ماتجني، فلن تختار إلاَّ سعادتها، واطمئنانها بقربها من خالقها، وبذلك يستطيع الإنسان أن يجذب نفسه عن الشهوات والملذات الدنيوية، ويسخرها لنيل رضا الله عز وجل ورحمته وغفرانه، والتمتع بلذة النظر إلى وجهه الكريم، والخلود في نعيمه، ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة أسوة حسنة الذين ربّاهم النبي صلى الله عليه وسلم على تحمل المسؤولية وقال لهم « ألاَّ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئوول عنه، ألاَّ فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

فجعل كل فرد مسؤولاً عن عمله ووثق روابطهم بمسؤوليتهم عن أداء الحقوق لبعضهم - لأنهم مسؤولون أمام الله عن ذلك .

وقد ربّى النبي صلى الله عليه وسلم صحابتَهَ على أداء الحقوق التي عليهم حتى وإن أدرك المسؤول أنه لن يدرك حقه في الدنيا فقال عليه الصلاة والسلام « ستكون آثره وأمور تنكرونها قالوا يارسول الله فما تأمرنا؟ قال :

تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم » وفي رواية « أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم » فعلى العبد أن يؤدي ما عليه من مسؤولية وأن يوقن أنه لن يستوفي حقه من مسؤولية الآخرين، فعليه أن يلجأ إلى الله تعالى، وألا يتخلف في أداء الحقوق الواجبة عليه والتي في مسؤوليته أمام الله تعالى قبل كل شيء .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التفريط في المسؤولية بما بثه في النفوس من المحاسبة يوم القيامة، وسؤال العبد بين يدي الخالق عن أداء الحقوق الواجبة عليه، وفي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين إكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه » .

الفصل الثاني
« الإيمان بنقاء الفطرة البشريه »

الفطرة في اللغة :

من الفَطر – بالفتح – يقال فَطَرَ الشيء يفْطُره فَطَراً فانفَطَرَ ، وأصل الفَطر الشق (١) .

قال ابن فارس : [الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه] (٢) .

يقال : فطر النبات الأرض بمعنى شقها (٣) .

ومنه أخذ فطر الصائم لأنه يفتح فاه . والفطور . مايفطر عليه . والفطرة الإسم (٤) وقد استعملت الفطرة في معانٍ متعددة :

١ – بمعنى الإبتداء والإختراع والإبداع :

يقال : فطر الله الخلق يفطرهم أي خلقهم وبدأهم (٥) .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما [قال : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى إحتكم إلى اعرابيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها] أي إبتدأت حفرها (٦) .

وقال الراغب : [هي إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال] .

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١٣/٣٢٥ ؛ الأساس ٣٤٤ ، لسان العرب ٥/٥٥ ؛ المصباح المنير (٤٧٦) ؛ تاج العروس ٣/١٧٠ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/٥١٠ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٣/٣٢٥ ؛ لسان العرب ٥٥ .

(٤) انظر : الصحاح ٢/٧٨١ ؛ لسان العرب ٥/٥٥ .

(٥) الصحاح ٢/٧٨١ ؛ جمهرة اللغة ٢/٣٧١ ؛ لسان العرب ٥/٥٥ ؛ أساس ٣٤٤ ؛ القاموس المحيط ٢/١١٠ .

(٦) انظر الصحاح ٢/٧٨١ ؛ النهاية في غريب الحديث ٢/٤٥٧ .

٢ - الخلقة والجبلة التي خلق الله عليها المولود في بطن أمه (١) .

قال الكوفي [الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقه] (٢)

وقد أنشد ثعلب : (٣)

هوّن عليك فقد نال الغنى رجل .·. في فطرة الكلب لا بالدين والحسب

الفطرة في استعمالات القرآن والسنة :

ورد استعمال كلمة (الفطرة) في القرآن والسنة في المعاني التالية :

أولاً : الشــق : (٥) .

منه قوله تعالى { تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ } (٦) .

ومنه قوله تعالى { .. فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ } (٧) .

ومنه قوله تعالى { إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ } (٨) .

وفي الحديث «إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ..» (٩) .

وفي رواية عن عائشه رضي الله عنها قالت «كان يقوم حتى تفطر قدماه .

---

(١) انظر الصحاح ٧٨١/٢ ؛ مقاييس اللغة ٥١٠/٤ ؛ لسان العرب ٥٦/٥ ؛ القاموس ١١٠/٢ ؛ المفردات (٣٨٢) الكليات ٣٥٦/٣ .

(٢) الكليات ٣٥٦/٣ .

(٣) انظر لسان العرب ٥٦/٥ .

(٤) القاموس المحيط ١١٠/٢ .

(٥) تفسير غريب القرآن لإبن قتيبة (٣٩١) ؛ الفائق في غريب الحديث ١٢٧/٣ ؛ النهاية في غريب الحديث ٤٥٧/٣ .

(٦) سورة الشورى آية (٥) .

(٧) سورة الملك آية (٣) .

(٨) سورة الإنفطار آية (١) .

(٩) خ مع فتح الباري ٥٨٤/٨ ك التفسير باب (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك)

والفطور الشقوق إنفطرت إنشقت؟ (١) .

ثانياً : الابتداء والاختراع : (٢) .

منه قوله تعالى { فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .. } (٣)

وقوله تعالى { قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ } (٤)

وقوله تعالى { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً } (٥)

ثالثاً : الخلقة والجبلة التي خلق الله عليها الخلق من معرفتهم له وإستعدادهم لملّة الإسلام (٦) .

من ذلك قوله تعالى { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ .. } (٧) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه { فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } » (٨) .

---

(١) خ مع فتح الباري ١٤/٣ ك التهجد باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم (ذكرها تعليقاً) .

(٢) انظر : تفسير الطبري (غير المحقق) ٤٨٧/١١ ؛ تفسير ابن كثير ٤٦٩/٤ ؛ الفائق ١٢٧/٣؛ النهاية في غريب الحديث٤٥٧/٣؛ غريب الحديث للهروي ٢١/٢

(٣) سورة الأسراء آية (٥١) .

(٤) سورة الأنبياء آية (٥٦) .

(٥) سورة الأنعام آية (٧٩) .

(٦) انظر : الفائق /١٢٧ ؛ النهاية ٤٥٧/٢ ؛ غريب الحديث لإبن الجوزي ١٩٩/٢.

(٧) سورة الروم آية (٣٠) .

(٨) خ مع فتح الباري ٢١٩/٣ ك الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه .

م : ٢٠٤٧/٤ ك القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

ومنه حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم رجلاً دعاءً ثم قال « فإن مت مت على الفطرة » (١) .

رابعاً : السنـة :

منه حديث حذيفة رضي الله عنه أنه [رأى رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال : ماصليت ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله محمداً صلى الله عليه وسلم] (٢) .

ويبين ذلك رواية [ولو مت مت على غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم] (٣) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ؛ والسواك .. » (٤) .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « الفطرة خمس أو خمس من الفطرة » (٥) .

وتأويل الحديث [إن هذه الخصال من سنن الأنبياء الذين أمرنا أن نقتدي بهم لقوله تعالى { فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }] (٦) .

والفطرة المقصودة في بحثي هي ما كانت بمعنى الخلقة والجبلة التي خلق الله الناس عليها .

---

(١) خ مع فتح الباري ١٠٩/١١ ك الدعوات باب إذا بات طاهراً

(٢) خ مع فتح الباري ٢٧٥/٢ ك الأذان باب إذا لم يتم الركوع .

(٣) خ مع فتح الباري ٢٩٥/٢ ك الأذان باب إذا لم يتم السجود .

(٤) م : ٢٢٣/١ ك الطهارة باب خصال الفطرة .

د : مع مختصر سنن أبي داود ٤٢/١ ك الطهارة باب السواك من الفطرة .

(٥) م : ٢٢٣/١ ك الطهارة باب خصال الفطرة

(٦) معالم السنن مع مختصر سنن أبي داود ٤٢/١ .

الفطرة في نصوص القرآن والسنة :

١ - لما ذكر الله عز وجل هدايته للبشر عامة بإرسال الرسل وإنزال الكتب في قصة بني إسرائيل وأخذ الميثاق عليهم أعقبه ببيان هدايته عز وجل لهم بما أودعه في فطرتهم وركب في عقولهم من الاستعداد للإيمان به، وتوحيده وقدرهم بذلك (١) في قوله تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ } (٢) .

٢ - في مقام الإخبار بأن التوحيد دين الفطرة وتقرير المشركين بوحدانيته عز وجل (٣) .

قال تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

---

(١) انظر: تفسيرالطبري المحقق ٢٢٢/١٣؛زاد المسير ٢٨٤/٣؛ تفسيرالمنار ١٦٥/٩

(٢) سورة الأعراف آية (١٧٢) .

والمعنى كما ذكر ابن جرير [واذكر يامحمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به] تفسيرالطبري المحقق ٢٢٢/١٣ . والمراد :[أن الله عز وجل قد أخرج ذرية بني آدم وأخذ عليهم الميثاق فخلقهم على فطرة الإسلام، وأودع في أنفسهم الإيمان به، وجعل من مدارك عقولهم الضرورية أن كل فعل لابد له من فاعل، وكل مخلوق لابد له من خالق، وكل صنعة لابد لها من صانع، وأن فوق كل العوالم الممكنة الحادثة سلطاناً أعلى على جميع الكائنات، فهو الأول، والآخر، وهو المستحق للعبادة وحده لذلك قال { وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم } بمعنى أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك (ألست بربكم) تقريرلهم بذلك (قالوا بلى شهدنا) أنك ربنا . وذلك قطعاً لحججهم يوم القيامة وإبطالاً لأعذارهم قال { أو تقولوا يوم القيامة إنا كنَّا عن هذا غافلين } فأخبرهم سبحانه أنه لايقبل منهم الأعذار يوم القيامة بعد ما أقام عليهم من حجة الفطرة والعقل] انظر : مراجع التفسير السابقة .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣٣٧/٥ ؛ التحرير والتنوير ٢٦/٢١ .

ليقولن الله فأنى يؤفكون } (١) .

وقد تكرر هذا المعنى في مواطن من القرآن الكريم حيث يشنع على المشركين عدم إيمانهم بتوحيد الله مع اعترافهم بربوبيته .

قوله تعالى { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون } (٢) .

ومنه قوله تعالى { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله } (٣)

ومنه قوله تعالى { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم } (٤) .

٣ - في مقام الأمر بوجوب إقامة الوجه لدين الله وحده بعد إقامه الحجة على المشركين وإقامة الأدلة على أن اليوم الآخر حق (٥) قال تعالى { فأقم وجهك

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦١) .

والمعنى كما ذكر ابن كثير [أن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض، والشمس والقمر، وتسخير الليل والنّهار، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدّر آجالهم ..] .

وقوله (فأنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن توحيد الله وعن إبطال إشراكهم به مالايخلق شيئاً . والإستفهام للإنكار والتعجب] انظر التحرير .

(٢) سورة لقمان آية (٢٥) .

قال ابن عاشور [إن ذلك تسخيف لعقولهم التي تجمع بين الإقرار لله بالخلق وبين إعتقاد إلهية غيره] .

التحرير والتنوير ١٧٩/٢١ وانظر ابن كثير ٣٩٤/٥ .

(٣) سورة الزمر آية (٣٨) .

(٤) سورة الزخرف آية (٩) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٨/٥ ؛ التحرير والتنوير ٨٨/٢١ .

لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } (١) .

٤ – في بيان أن توحيد الله أمر بدهي فطري وأن جميع الخلق خلقوا على هذه الفطرة ثم يخضعون بعد ذلك للمؤثرات الخارجية فإن كانت حسنة وافقت الفطرة واستقامت على الدين وإن كانت سيئة انحرفت عن طريق الدين والاستقامة في ذلك. ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » .

ثم يقول أبوهريرة رضي الله عنه { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } (٢) .

وفي رواية « ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهّودانه وينصّرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ؟ (٣)

---

(١) سورة الروم آية (٣٠) .

بمعنى [فسدد وجهك وعدّل إتجاهه إلى الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكمّلها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم لفطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره .. كما في الحديث (خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم) وقوله { لاتبديل لخلق الله } أي لاتبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها] انظر: تفسير ابن كثير.

(٢) خ مع فتح الباري ٢١٩/٣ ك الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه .

م : ٢٠٤٧/٤ ك القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

(٣) خ مع فتح الباري ٤٩٣/١١ ك القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين .

وفي رواية « ما من مولود يولد إلاَّ وهو على الملَّة » (١) .

وفي رواية « إلاَّ على هذه الملَّة حتى يبين عن لسانه » (٢) .

وفي رواية « ليس من مولود يولد إلاَّ على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه » (٣) .

٥ - في بيان الصفات التي يعرف بها في الدنيا صفات أُهل الجنة ما رواه مسلم بسنده عن عياض بن حمار الجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) م : ٢٠٤٩/٤ ك القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .
ومعنى قوله [(ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة فابواه) أن كل مولود من بني آدم يولد متهيئاً للإسلام حتى يقع التغير من الأبوين فإن كان أبواه يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين كان على ملتهما بتعليمهما إياه لدينهما وترغيبهما فيه أو كونه تبعاً لهما في دينهما فيكون حكمه حكمهما في الدنيا فإن بلغ إستمر عليه حكم الكفر . وإن كانت سبقت له السعادة أسلم والإمات على كفره] انظر : شرح النووي ٢٠٨/١٦ ؛ شرح الأُبي والسنوسي على صحيح مسلم ٩٠/٧ .
قوله (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء) بضم التاء وفتح التاء الثانية أي تلد البهيمة بهيمة مجتمعة الأعضاء سليمة من النقص .
وقوله (حتى تكونوا أنتم تجدعونها) بمعنى [أنتم الذين تحدثون عليها التغيير وتنتقصون من أعضائها وإلاَّ فإنها حين تولد تولد سليمة الأعضاء غير ناقصة. فكذلك المولود حين يولد يولد على الفطرة النقية مهيئاً لقبول الإسلام حتى تؤثر عليه العوامل الخارجية فتغير من تشكيل فطرته وتكدر نقاءها الذي وجدت عليه]. انظر المراجع السابقة .
- قوله (الله أعلم بما كانوا عاملين) بمعنى [أن الله خلقهم على الفطرة وقد سبق في علمه من سيكون مسلماً ومن سيكون كافراً فهو أعلم بهم] ؛ زاد المسلم ٣٤٠/٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

قال ذات يوم في خطبته « ألاَّ إن ربي أمرني أن أعلِّمكم ماجهلتم مما عَلمني يومي هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وأنهم أتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم » (١) .

فقد تبين من هذه النصوص الكريمة أن الله تعالى خلق الفطرة وجعلها بطبعها مستعدة إلى الإقرار بوجود رب خالق قادر على كل شيء ، وبأنه وحده يستحق الإفراد بالعبودية ، وهذه النفوس المستقيمة إن لم تتلوث بأقذار الشرك والضلالات فإنها تقر بطبعها بوجود الخالق . هذه الفطرة هي التي تفسر الظاهرة التي لاحظها الباحثون في تاريخ الأديان وهي [أن الامم جميعاً إتخذت معبودات تتجه إليها وتقدسها] (٢) لأن الفطرة تدعو الإنسان إلى الإتجاه إلى الخالق إلى إفراده بالعبادة .

فقد خلق الله الخلق جميعاً على فطرة الإسلام ثم يخضعون بعد ذلك للمؤثرات الخارجية حسنه كانت أو سيئة . فإن كانت مؤثرات فاسدة وعقائد ضالة إنحرفت بهذه الفطرة وكدَّرت صفاءها بأقذار الضلالة والشرك ، فالمعرفة الفطرية طبيعة مركوزة في كل نفس مؤمنة أو كافرة والنفوس بطبعها

---

(١) م : ٢١٩٧/٤ ك الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنه وأهل النار .

(نحلته) النحل [العطية والهبة إبتداء من غير عوض ولا استحقاق يقال نحله ينحله نحلاً بالضم والنحلة بالكسر] النهاية ٢٩/٥ .

قال النووي [قوله تعالى « وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم » أي مسلمين وقيل المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر وقال ألست بربكم قالوا بلي . وقوله (وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) أي إستخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عمَّا كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل] وقال النووي[وكذا فسره الهروي وآخرون].

انظر شرح النووي على صحيح مسلم . ١٩٧/١٨ .

(٢) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة (١٤٩) .

تحسها وتشعر بها وإن غابت عنها أحياناً فإنها سرعان ماتجد نفسها مضطرة إلى اللجوء إليها عند الشدائد كما دل عليه قوله تعالى { وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١) .

ولو لم تكن النفوس مفطورة على هذه المعرفة لما تطلعت إليها وقد قررت السنة ماقرره القرآن وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » ولم يقل : أو يسلمانه لأن الإسلام هو دين الفطرة التي يولد عليها كل مولود .

فإذا كان الأمر كذلك فإن الإيمان بنقاء الفطرة البشرية وصفائها من كدر الشرك ودنس الضلالات والإنحرافات والإيمان بأن هذه الضلالات والإنحرافات ماهي إلا مؤثرات خارجية يتحقق التخلص منها بالرجوع بالفطرة إلى طبيعتها وأصلها الذي جبلت عليه من الإيمان بالله والإنقياد له بالطاعة هذا الإيمان ركن أصيل في مجاهدة النفس وتنقيتها وردّها إلى طبيعتها التي خلقت عليها وتوثيق صلتها بخالقها .

فإن الله خلق الخلق جميعاً على الفطرة فكانوا أمة واحدة، وحين لابسوا الحياة واختلطوا بها اختلفت بهم وجوه الحياة وتفرقت بهم السبل فأرسل الله الرسل وأنزل الكتب ليبينوا للناس الطريق إلى الله ويدعوهم للرجوع إليه وإفراده بالعبادة قال تعالى { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } (٢) .

وبيّن الله للبشرية طريق الحق والهدى وبيّن لهم طريق الضلالة والشقاء ومنحهم الوسائل والأدوات التي بها يميزون بين الحق والباطل وبين الخير

---

(١) سورة يونس آية (١٢) .

(٢) سورة البقرة آية (٢١٣) .

والشر وذلك مادل عليه قوله تعالى { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً } (١) . وقوله { أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (٢) .

فمن إختار طريق الهداية والرشاد، كان عليه مجاهدة نفسه وتطهيرها من دنس الشرك، ودرن الضلال والفساد، كان عليه أن يحليها بالرجوع بها إلى طبيعتها التي خلقت عليها من معرفة الخالق والإيمان به، والسمو بالنفس إلى نيل الفلاح والفوز برضاه . قال تعالى { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا } (٣) .

قال الحافظ ابن القيم [قد شهدت الفطرة والعقول بأن للعالم رباً قادراً حليماً عليماً رحيماً كاملاً في ذاته وصفاته لايكون إلاَّ مريداً للخير لعباده مجرياً لهم على الشريعة والسنة الفاضلة العائدة بإستصلاحهم، الموافقة لما ركّب في عقولهم من استحسان الحسن، واستقباح القبيح، وماجبل طباعهم عليه من إيثار النافع لهم المصلح لشأنهم، وترك الضار المفسد لهم وشهدت هذه الشريعة له بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه المحيط بكل شيء علماً] (٤) .

(١) سورة الإنسان آية (٣) .
(٢) سورة البلد آية (١٠) .
(٣) سورة الشمس آية (٧ - ١٠) .
(٤) مفتاح دار السعادة ٣٠٤/١٥ .

الفصل الثالث
إدامة التفكير في خلق الله

التفكير في اللغة :

التأمل : (١)

والإسم الفِكرُ والفِكْرَه والمصدر الفَكْرُ بالفتح يقال : أفكر وفَكّر وتفَكّر (٢) .

وعرَّفه ابن فارس : [بأنه تردد القلب في الشيء. يقال فكر إذا ردد قلبه معتبراً] (٣) .

وعرَّفه أبو هلال العسكري فقال : [التفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل] (٤) .

[النظر طلب معرفة الشيء من جهته ومن جهة غيره] (٥) .

مما سبق يتضح أن التفكير هو تصرف القلب بالنظر في الدلائل للإعتبار.

---

(١) انظر : الصحاح ٧٨٢ ؛ لسان العرب ٦٥/٥ ؛ القاموس المحيط ١١١/٢١ ؛ تاج العروس ٤٧٦/٣ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) مقاييس اللغة ٤٤٦/٤ .

(٤) الفروق اللغوية (٥٨) .

(٥) المرجع نفسه (٥٧) .

التأمل في استعمالات القرآن والسنة :

ورد ذكر التفكر في القرآن والسنة بمعنى النظر والتأمل في آيات الله المبثوثة في ثنايا الكون للعظة والإعتبار في مواضع منها :

١ - قوله تعالى : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } (١) .

٢ - ومنه قوله تعالى : { كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٢) .

٣ - ومنه قوله تعالى : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٣) .

٤ - ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « تفكّروا في كل شيء ولا تفكّروا في ذات الله » (٤) .

---

(١) سورة الأنعام آية (٥٠) .

(٢) سورة يونس آية (٢٤) .

(٣) سورة النحل آية (٤٤) .

(٤) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة /٢٦٠ ؛ وعزاه إلى ابن أبي شيبة والأصبهاني وأبي نعيم في الحلية ؛ وأورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى أبي الشيخ في العظمة عن ابن عباس وأقره المغاوي .
وقال السخاوي عقب الحديث وأسانيده ضعيفة لكن إجتماعها يكتسب قوة . والمعنى صحيح . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « لايزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله . فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله » .
والحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦٧/٦ عن عبدالله بن سلام .
والديلمي في الفردوس ٥٦/٢ عن ابن عباس .

التفكر في خلق الله وبيان فضله في نصوص القرآن والسنة :

١ - لما ضرب الله مثل المنفق في سبيل الله بمثل حبة أنبتت سبع سنابل ضرب هذا مثلاً للمنفق رئاء الناس (١) قال تعالى { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } (٢) .

٢ - في بيان كمال قدرة الله عز وجل وعظيم شأنه والتنويه بشأن أصحاب العقول النيرة المستقيمة (٣) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري المحقق ٥/٥٤١ ؛ تفسير ابن كثير ١/٥٦٦ ؛ التحرير والتنوير ٣/٥٣ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٦٦) .

والمعنى ماذكره ابن كثير وابن عاشور مارواه البخاري [قال عمر رضي الله عنه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت { أيود أحدكم أن تكون له جنة } قالوا : الله أعلم . فغضب عمر : فقال : قولوا : نعلم أو لانعلم . فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين . قال عمر : قل يا ابن أخي ولا تحقِّر نفسك قال ابن عباس : « ضربت مثلاً لعمل . قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس يعمل . قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله] انظر فتح الباري ٨/٢٠١ .

وقوله { كذلك يبين الله لكم الآيات } [أي كهذا البيان الذي فيه تقريب المعقول بالمحسوس بين الله نصحاً لكم رجاء تفكركم في العواقب حتى لاتكونوا على غفلة] التحرير والتنوير ٣/٥٥ .

وقوله { لعلكم تتفكرون } قال ابن جرير [لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها وتعملوا بما فيها من أحكامها فتطيعوا الله به] انظر : تفسيرالطبري المحقق ٥/٥٥٤ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢/١٧٤؛ المنار ٤/٢٩٩ ؛ التحرير والتنوير ٤/١٩٥ .

قال تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (١) .

٣ - في مقام إبطال شبهات المشركين وإنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩٠ ، ١٩١) .
والمعنى [أن الله تعالى جعل في خلق السموات والأرض وما بث فيهما آيات كونية دالة على وحدانية الله تعالى ورحمته فإن المتأمل في ظواهر آيات الكون يدهش فكيف بالعلماء وهم يكتشفون من دقائق الإبداع العظيم الدال على كمال قدرته سبحانه وتعالى وماخفي عنهم مما لم يتوصلوا إليه أكثر إبداعاً وبياناً لكمال قدرة الخالق، فمن ينظر إلى الأجرام السماوية ونظام دورانها وتعاقبها وأقرب مثل المجموعة الشمسية(ومايسمى بالنظام الشمسي نسبة إلى الشمس التي تفيض أنوارها على أرضنا فتكون سبباً للحياة النباتية، والحيوانية، والإنسانية، والكواكب التابعة لها مختلفة في المقادير والأبعاد وقد إستقر كل منها في مداره وحفظت النسبة بينه وبين الآخر نسبة إلهية منتظمة حكيمة وهي مايعبر عنه بالجاذبية العامة] انظر المنار ٥٧/٢ .
- وقوله { لآيات لأولي الألباب } أي [ذوي العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها] تفسير ابن كثير ١٧٥/٢ .
- وقوله { الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً .. ويتفكرون في خلق السموات والأرض } إشارة إلى أن التفكر لاتكون فائدته في الآخرة إلاّ بالذكروأن الذين يشتغلون بعلم مافي السموات والأرض وهم غافلون عن خالقها ذاهلون عن ذكره يمتعون عقولهم بلذة العلم ويحرمون أرواحهم لذة الذكر ومعرفة الله عز وجل] انظر المنار ٢٩٩/٤ بتصرف .
- قوله { ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار }[بيان أن التفكر يورث الإنسان شعوراً بالتقصير في شكر المنعم فتعلو همة الإنسان بطلب الكمال فينطلق اللسان بالدعاء والذكر وقلبه بين الخوف من عذابه ورجاء نعيمه]. انظر المنار ٣٠٠/٤ بتصرف .

وإبطال معاذيرهم أخبرهم عز وجل بحقيقة الرسالة وإقترانها بالآيات وبيّن أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يتحدى الأمة لأنه خليفة عن الله والمبلغ لدعوته عز وجل (١) قال تعالى { قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } (٢) .

٤ - ضرب الله مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة زوالها لأخذ العظة والحذر من الفتنة بها والركون إليها (٣) .

قال تعالى : { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٢٥ ؛ المنار ٧/٤٢١ ؛ التحرير والتنوير ٧/٢٤٠ .

(٢) سورة الأنعام آية (٥٠) .

قوله { لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك } الخزائن جمع خزانة بكسر الخاء وهي البيت أو الصندوق الذي يوضع فيه مايريد الإنسان أن يحفظه ويمنع غيره من التصرف فيه . والمعنى : قل أيها الرسول لهؤلاء المنكرين للرسالة ولا يميزون بين شؤون الألوهية والرسالة فيطلبون من الآيات الكونية مايعلمون أن البشر لايقدر عليها لأنهم لايتصورون أن يكون الرسول بشراً وإنما يتوهمونه ملكاً أو إلهاً قادراً على مالايقدر عليه البشر بأنك ماخرجت عن كونك رسولاً مبلغاً عن ربك وأنك بشر مثلهم لاتبلغ إلاّ ما أوحي إليك لاتخرج عن ذلك ولا تدعي غير ذلك { قل هل يستوي الأعمى والبصير } بمعنى هل يستوي من إتبع الحق وهدي إليه مع من ضل فلم يهتد إليه عز وجل وهذا تشبيه لحال المشركين في فساد الوضع لأدلتهم وأقيستهم والمؤمنين الذين إهتدوا ووضعوا الأشياء مواضعها .. وقوله { أفلا تتفكرون } إستفهام إنكاري لأنّ عدم إستواء الأعمى والبصير بديهي لايسعهم إلاّ الإعتراف بعدم إستوائهما فلا جرم أن يتفرع عليه إنكار عدم تفكرهم فيميّزوا بين ضلالة الشرك وهداية الإسلام. انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٩٥ ؛ الأمثال في القرآن الكريم (٢٥٠) .

وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (١) .

٥ - في مقام التذكير بنعم الله على خلقه،وما يغدقه عليهم من النعم التي يتقلبون في متاعها،مما هو جدير بالعاقل أن يتأمل،ويعمل النظر والفكر في إبداع الخالق،وإعمال القلب والجوارح في الذكر والشكر للمنعم (٢) .

---

(١) سورة يونس آية (٢٤) .
إن الله سبحانه وتعالى ضرب مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وسرعة إنقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بعد نزول الماء من السماء فتزينت الأرض بأنواع النبات والثمار مما يأكل الناس وتأكل الأنعام .
(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أي إستكملت واستوفت رداءها وبهجتها وحسنها من النبات (وأزينت) أي وبلغت كمال رونقها بما إشتملت عليه من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان والثمار المتنوعة (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) أي بسبب إستكمالها ووصولها إلى ذلك الحسن والجمال فأعتقدوا أنهم قادرون على حصاد ثمارها والإنتفاع بها .
(أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً) أي نزل بها ماقدرنا من الهلاك عليها ليلاً أو نهاراً في حين غفلتهم بالنوم ليلاً أو اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم نهاراً { فجعلناها حصيداً } أي يابساً بعد الخضرة والنضارة وجعلناها شبيهة بما حصد وقطع من أصله (كأن لم تغن بالأمس) أي كأنها ماكانت غنية بنباتها وثمارها بالأمس القريب ذلك مثل الحياة الدنيا فإن الله جعلها لحياة الناس وتكليفهم بما أمروا بأدائه وبما نهوا عن اتيانه لتستقيم لهم الحياة فيها فإذا ماركنوا إليها فإنهم لاينتفعون بها في الآخرة لذلك قال تعالى (كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون) أي تبين الحجج والبراهين والأدلة فيعتبر بهذا المثل في زوال الدنيا وسرعة فنائها حتى يتفكر الناس في خلق الله ويعملوا النظر في آيات الله في الكون وأن مابثه في الأرض من نعيم هو ليس للخلود والركون إليها وإنما للتزود منها لأنها دار فناء وليست دار بقاء .
انظر المواجع السابقة .

(٢) انظر: تفسير الطبري غير المحقق ٨٥/١٤ ؛ تفسير ابن كثير ١٨٤/٤؛ التحرير والتنوير ١١٣/١٤ .

أ - قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُم مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (١) .

ب - قال تعالى { وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (٢) .

جـ - قال تعالى { وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } (٣) .

د - وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (٤) .

هـ - وقال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٥) .

---

(١) سورة النحل آية (١٠ ، ١١) .

(٢) سورة النحل آية (١٢) .

(٣) سورة النحل آية (١٣) .

(٤) سورة النحل آية (١٤) .

قوله تعالى[{ لآية لقوم يتفكرون } (لآيات لقوم يعقلون) (لآية لقوم يذكّرون) ووجه اختلاف الأوصاف لمراعاة إختلاف شدة الحاجة إلى قوة التأمل، بدلالة المخلوقات الناجمة عن الأرض يحتاج إلى التفكر وهو إعمال النظر المؤدي إلى العلم، ودلالة ماذرأه في الأرض من الحيوان محتاجة إلى مزيد تأمل في التفكير للاستدلال على إختلاف أحواله، وتناسله، وفوائده، فكانت بحاجة الى التذكر وهو التفكر مع تذكر أجناسها واختلاف خصائصها وأما دلالة تسخير الليل والنهار والعوالم العلوية فلأنها أدق وأحوج إلى التعمق. عبر عن المستدلين عليها بأنهم يعقلون والتعقل هو أعلى أحوال الاستدلال] نقله ابن عاشور عن الفخر في درة التنزيل انظر التحرير والتنوير ١١٨/١٤ .

(٥) سورة الروم آية (٢١) .

و - وقال تعالى { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (١) .

فقد أوضحت هذه النصوص الكريمة أن السبيل إلى معرفة الخالق عز وجل والإستدلال على وجوده،وتوحيده،وعلمه،وكمال قدرته،ورحمته بعباده،ونفاذ مشيئته،وبالغ حكمته،وتنزهه عن كل مالايليق به من عجز ونقص،وكل صفة لا كمال فيها،كل ذلك لايكون إلا بالنظر في أيات الله الكونية،وتدبيره المحكم في السموات والأرض ومابينهما،وماترتب على ذلك من ليل ونهار، وشهور وأعوام،وفصول ،إن تدبير الله في كونه من السموات والأرض ومابينهما من أسباب ومسببات،وإحكام وتنسيق في كل مادبر من مخلوقات،وإنعكاس هذا التدبير من الله تعالى فيما دبَّره من السموات والأرض على جميع الأشياء الجزئية فيهما من كواكب،ونجوم،وشمس،وقمر ، ومايجلبه هذا النظام المحكم من ليل ونهار،ومايكون من تدبير في الفصول والأعوام والشهور من ربيع وصيف وخريف وشتاء ، ومايترتب على ذلك من هبوب رياح ونزول أمطار ، وإنضاج ثمار،ومد وجذر في البحار،وغير ذلك مما نشهده من حركة الشمس والقمر،ومايتبع هذه الحركة من آثار في عالمنا الأرضي براً وبحراً وجواً (٢) .

إن كل هذا يكشف للعقول النيرة،ما إتصف به الله عز وجل من جميع صفات الكمال،والجلال،ويكشف لها إن الله هو الذي يستحق العبادة وحده لا غير،وأنه هو المشرِّع لاغيره،فلا أحد يستحق العبادة إلاَّ هو ، ولا تشريع إلاَّ تشريعه ، ولاحكم إلاَّ حكمه . فالقرآن الكريم يدعو إلى التفكر في مخلوقات الله والنظر في آياته ،نظر علم،ومعرفة،واستدلال،وعظة،واعتبار، في آيات كثيرة في القرآن الكريم – كما سبق وذكر في موضعه – ويدعو إلى تحرر العقول من

---

(١) سورة الزمر آية (٤٢) .

(٢) الأمثال في القرآن /٧٩ .

قيود الدنيا وأغلال الشهوة والملذات والركون إليها ، وتقليد الآباء فيما هم عليه من ضلال العقيدة والمنهج والغاية .

كما دل عليه قوله تعالى { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ } (١) .

وقوله تعالى { أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ } (٢) .

وعقب بيان مابث الله تعالى من الآيات في الحياة الدنيا وزهرتها وبيان سرعة زوالها قال تعالى { كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٣) .

وقد أشاد القرآن الكريم بأهل التفكر والتدبر للحض على حذو سيرهم ومنهجهم وأثنى عليهم بقوله تعالى بعد ذكر الآيات المبثوثة في الكون { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٤) { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٥) .

{ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٦) { كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (٧) .

وفي موضع آخر قال تعالى : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } (٨) .

فذكر عز وجل أن حقائق الآيات وحكمة خلقها لاتتجلى إلا لأهل التفكر والتدبر والنظر والإعتبار .

---

(١) سورة الروم آية (٨) .
(٢) سورة الغاشية آية (١٧ - ٢٠) .
(٣) سورة يونس آية (٢٤) .
(٤) سورة الرعد آية (٣) .
(٥) سورة النحل آية (١١) .
(٦) سورة الزمر آية (٤٢) ونظيرها سورة الجاثية آية (١٣) .
(٧) سورة يونس آية (٢٤) .
(٨) سورة الانعام آية (٥٠) .

والحكمة من التفكر،والنظر،والتأمل،هو تحقق الإيمان،وتثبيته في قلوب المؤمنين،حيث أن التفكر والتأمل الدقيق،والإعتبار بعجائب صنع الله في خلقه،يوصل إلى صريح التوحيد،وتثبيت الإيمان في النفوس،مما يرقى بالعبد إلى مرتبة الخشية التي أثبتها تعالى لعباده العلماء في قوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ } (١) . قال القرطبي [يعني بالعلماء الذين يخافون قدرته فمن علم أنه عز وجل قدير،أيقن بمعاقبته على المعصية،كما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه « إنما يخشى الله من عباده العلماء » قال الذين علموا أن الله على كل شيء قدير] (٢) ولايعلم قدرة الله إلا من تفكر في خلق الله،وصنعه عز وجل،وعلم أنه قدير على كل شيء .

قال ابن الطفيل [إن الآيات التي تدعو إلى التفكر،والتأمل،والتدبر إنما هي للحث على العبرة والعظة لزيادة الإيمان وتثبيته] (٣) .

وقد ذكر عز وجل في كتابه الكريم الحكمة من خلق السموات والأرض ومابينهما واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما بأن ذلك كله أدلة لأولي الألباب أصحاب العقول السليمة والتفكر السديد الذي يدرك بحقائق الأشياء على جلياتها قال تعالى { إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ } (٤) .

فدل على مواضع النظر،والتفكر،والعبرة،حيث يقع الإستدلال على الصانع،فإن النظر في السموات والأرض وما بينهما،والتفكر في حدوثهما،وتقديرهما ، واختلاف الليل والنهار،وتعاقبهما،وتقارضهما بالطول والقصر،واعتدالهما،أدلة واضحه دالة على صانع حكيم قادر عليم،ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

(١) سورة فاطر آية (٢٨) .

(٢) تفسير القرطبي ٣٤٣/١٤ ؛ وانظر تفسير ابن كثير ٥٨٠/٥ .

(٣) فلسفة ابن طفيل (٣٨) .

(٤) سورة آل عمران آية (١٩٠) .

وفي بيان كمال العبودية ذكر عز وجل صفات أولي الألباب فقال تعالى :
{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ } (١) .

وذلك إشارة إلى أصناف العبودية بأقسامها من إقرار باللّسان، وتصديق بالقلب، والعمل بالجوارح . فإن أولي الألباب يذكرون الله ذكراً دائماً في جميع أحوال حياتهم وسائر أوقاتهم، وعلى اختلاف هيئاتهم، وتلك عبودية اللّسان، وعبودية الجوارح، فإن ذكر الله يجلي القلوب، ويطهر النفوس، وينوّر العقول، فقد شغلوا قلوبهم، وجوارحهم، وعقولهم بذكر الله عز وجل، وجمعوا إلى الذكر التفكر في خلق الله، وتلك عبودية، وبذلك جمعوا بين الذكر، وبين العلم، فهم في جميع أحوالهم مداومون على ذكر الله، ودائمون على التفكر في خلقه، وفي ملكوته، وفي آياته عز وجل المبثوثة في الكون، فزادهم ذلك إيماناً، وثبته في نفوسهم، فإن تفكرهم في مخلوقات الله تفكر علم وعبادة، وليس تفكر علم مادي نظري، وإنما علم استدلوا به على عظمة الصانع، واستحقاقه العبادة وحده لأنه الخالق وأستدلوا من خلقه على حكمة وجود الخلق فقالوا { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ } (٢) . وهذا تصوير دقيق للنهاية المنطقية والنتيجة الحتمّية التي يصل إليها المفكر عن طريق التأمل في ملكوت الله الخالق عز وجل، فإن النظر في آيات الله والتأمل في خلقه تجاوب مع فطرة الإنسان التي جبل عليها من معرفة الخالق، فاستجاشت المشاعر إحساساً بالحق ، واعترافاً به، وإدراكاً لحكمة خلقه، فكانت نتيجة ذلك التفكر أن أدركوا أنه عز وجل ما خلق الخلق عبثاً وما أوجد الكون لهواً ولعباً .

فقالوا { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً } وذلك إقرار منهم بأنهم أدركوا عظمة الخالق وحكمته، فإنه عز وجل ما أوجد ذلك عبثاً وذلك ما أثبته سبحانه في

---

(١) سورة آل عمران آيه (١٩١) .
(٢) سورة آل عمران آيه (١٩١) .

غير موضع من القرآن الكريم بقوله { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }(١){ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى } (٢) .

وبعد أن تجلّت الحقيقة، وعرفوا حكمة وجود المخلوقات، وأنه تعالى خلق الخلق وبث الآيات لنهاية، وأجل مسمّى عنده، وأن إليه المرجع والمآب، فإما نعيم وإما عذاب، جأرت قلوبهم بالدعاء، وألسنتهم بالتضرع والسؤال، خوفاً وخشية من عذابه وعقابه. فقالوا { فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } وذلك بيان لشدة خوفهم وخشيتهم من عذاب الله، لإدراكهم لعظمته عز وجل .

ثم أعقبوا ذلك الدعاء ببيان علّة خوفهم ودعائهم فقالوا { رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } (٣) . فكان إعرابهم عن خوفهم وخشيتهم من عذاب النار، هو خوفهم من الخزي الذي يلحق بأهل النار على الأشهاد يوم القيامة . والخزي : الذل والهوان والفضيحة التي تلحق بأهل النار يوم القيامة .. وما كانت خشيتهم وخوفهم إلاّ بعد أن أدركوا عظمة الخالق، فاستحيوا من الخزي والهوان في ذلك اليوم، وما كان حياءهم من الخزي إلا لشدة حيائهم من الخالق عز وجل، أن يدّر عليهم النعم فلا يؤدوا حقه عليهم فيستحقوا عقابه وعذابه .

وتوالي بيان ثمرة التفكر ونتائجه بأنهم استمروا في الدعاء بعد الإستجارة بالله عز وجل من عذابه فقالوا { رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } (٤) . أولئك أصحاب الفطرة السليمة الذين إستجابوا بدلالة فطرة

---

(١) سورة الدخان آية (٣٨ - ٣٩) .

(٢) سورة الأحقاف آية (٣) .

(٣) سورة آل عمران آية (١٩٢) .

(٤) سورة آل عمران (١٩٣ - ١٩٤) .

الكون على الخالق ، ولدعوة الرسل فآمنوا،ثم طلبوا من الله الخالقِ العفو عن تقصيرهم،وتكفير سيئاتهم،وأن يرفعهم الدرجات العلا . ثم أثبتوا إيمانهم بما وعدهم به الله عز وجل على لسان رسله،فدعوا الله أن يوفيهم ذلك فقالوا { رَبَّنَاوَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ }

وذلك إقرار وإيمان كامل وثبات ويقين .

تلك ثمرة التفكر في خلق الله،وذلك التسلسل الطبيعي للتأمل في آيات الله ، ودلالة ذلك على استحقاقه وحده عز وجل الذلّ والخضوع،والعمل لنيل رضاه والجنة (١) .

قال سيد قطب [والدعاء في مجموعه يمثل الاستجابة الصادقة لإيحاء هذا الكون،وإيقاع الحق الكامن فيه في القلوب السليمة المفتوحة ..] (٢) .

<u>مما سبق تبينت النتائج التالية :</u>

<u>أولاً</u> : أن التفكر لايكون في ذات الله وانما في خلق الله (٣) كما قال تعالى { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (٤) . وقوله صلى الله عليه وسلم « لاتفكروا في الله وتفكروا في خلق الله » (٥) .

<u>ثانياً</u> : أن التفكر في خلق الله يوصل إلى حقيقة الإيمان،ويزيد تثبيته في قلوب المؤمنين (٦) .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٤٧٣/٧ ؛ المحرر الوجيز لابن عطية ٣١٨/٣ ؛ في ظلال القرآن ٥٤٢/١ - ٥٤٧ ؛ التيسير في أحاديث التفسير ٢٩٨/١-٣٠٠ ؛ الأساس لسعيد حوي ٩٦٠/٢ - ٩٦٤ .

(٢) في ظلال القرآن ٥٤٧/١ .

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به (٢٩) .

(٤) سورة آل عمران آيه (١٩١) .

(٥) سبق تخريجه . (٣٦٧)

(٦) انظر : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به (٢٩) ، فلسفة ابن الطفيل (٤٨) .

ثالثاً : أن التفكر مفتاح الرحمة ويذهب الغفلة ويحدث الخشية والتقوى كما دل عليه قوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } (١) .

وقال الغزالي [إن التفكر ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ويحدث التقوى ولذلك قال تعالى { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } (٢)] (٣) .

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى كثيراً مايتمثل ويقول :

إذا المرء كانت له فكـرة .·. ففي كل شيء له عبرة (٤) .

وذكر صاحب إتحاف السادة (٥) أن سفيان بن عيينة كان يقول [الفكرة نور تدخله قلبك] (٦) وقد قيل [الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية فيتوب] (٧) وقد قيل [الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وماجليت القلوب بمثل الأحزان ولا إستنارت بمثل الفكرة] (٨) .

رابعاً: التفكر في خلق الله وإدامة النظر في آياته عبادة لله تعالى لذلك قرن الله عز وجل بين ذكر الله تعالى وبين التفكر في آياته في (٩) . قوله تعالى : { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (١٠) .

---

(١) سورة فاطر آية (٢٨) .

(٢) سورة طه آية(١١٣) .

(٣) انظر :إحياء علوم الدين مع إتحاف السادة المتقين ١٠/١٦٩ . (بتصرف)

(٤) انظر : إحياء علوم الدين مع إتحاف السادة ١٠/١٦٣ .

(٥) صاحب إتحاف السادة هو السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي .

(٦) (٧) إتحاف السادة ١٠/١٦٣ .

(٨) دليل الفالحين ١/٧ .

(٩) انظر في ظلال القرآن ١/٥٤٥ .

(١٠) سورة آل عمران آية (١٩١) .

خامساً: أن ثمرة التفكر في آيات الله، تحقق الإيمان وتثبيته في القلوب، فإن الإيمان عقيدة تملأ القلب نوراً، وتثمر العمل الصالح، وهو من أجلّ النعم، وأكرم صلة بين العبد وخالقه، فالصلة بين الإيمان والعمل الصالح صلة وثيقة، وعلاقة قوية، فإذا قوي أحدهما قوي الآخر، وإذا أهمل عمل الصالحات مايلبث أن يضمر الإيمان في القلب، ويطفأ نوره، ويموت القلب بذلك (١) .

سادساً: أن إدامة التفكر في خلق الله والنظر في آياته يورث حب الخالق عز وجل والسعي لنيل رضاه والجنة وذلك أرقى درجات الإيمان وأعلى ثمرات جهاد النفس لأن التفكر في عظمة الخالق وقدرته يشعر العبد بصغاره وأنه ذرة من ذرات الكائنات التي خلقها الخالق وأبدع في خلقها وأنعم عليها وهو الغني والعبد فقير محتاج، هذا الشعور يورث كسر النفس عن العلو والطغيان والجحود، ويجبلها على الإعتراف بفضل الخالق عليها، وأنه وحده يستحق العبادة والتنزيه، والتقديس، وثمرة جهاد النفس الخضوع والذل لله تعالى وحده والركون إليه دونما سواه والسعي لنيل رضاه عز وجل .

---

(١) انظر : توحيد الخالق للزنداني ٦٢/١ .